

# حوار في العراق حول اللغة كأداة للتعبير في عصر التكنولوجيا

نشرت جريدة التأخي في عددها الصادر بتاريخ 28 / 10 / 1970 مقالا  
بمنسوان :

(( اللغة كأداة للتعبير في عصر التكنولوجيا )) ، والمقال يتضمن مجموعة من  
الآراء في الموضوع لعند من رجال العلم والفكر واللغة والنقد من بينهم الدكتور  
السادة : عبد اللطيف البديري رئيس جامعة بغداد وداود سلمان علي وحسن  
فهيم جمعة ، والإستاذة السادة : كوكيس عواد ، وجبرا ابراهيم جبرا ،  
وجرجيس فتح الله مدير تحرير التأخي .

والكيمياء والرياضيات وما جرى مجراها يحاولون  
الكتابة بالعربية في موضوعات اختصاصاتهم فتتقاضى  
عليهم الكتابة ولا تستقيم لهم العبارة وإذا كتبوا كانت  
لفتهم مختلفة لا تفي بما يرومون التعبير عنه . فما  
مرد ذلك ؟

لعل للغة العربية ضلعا في هذا النقص بسبب  
افتقارها الى كثير من مصطلحات تلك العلوم . ولكن في  
وسعنا القول ان كل لغات العالم الراقية تعاني مثل  
هذه المشكلة . فهي مشكلة لا تقتصر على العربية دون  
غيرها ، بل هي عامة تمس سائر اللغات الشرقية  
والغربية على حد سواء .

وهذه اللغة الانكليزية ، وهي في طليعة اللغات  
التي تحتضن ضروب التأليف في مختلف العلوم . كيف  
حلت تلك المشكلة ؟

انها لجأت - في ما لجأت اليه - الى «استمارة»  
كلمات لا تدخل تحت حصر من لغات اخرى لا سيما  
من اليونانية واللاتينية وأدخلتها في صلب المصطلحات

وفيما يلي موجز للمقال المذكور :

إذا كان المقصود من الموضوع التعبير عن  
الافكار العلمية في قالب كتابي مستساغ وباللغة العربية  
فان مرد هذا الضعف هو لغوي اكثر مما هو علمي إذ  
ان اكثر الاختصاصات كالتطب والهندسة والتكنولوجيا  
تدرس بلغة اجنبية ، فاذا ما حاول احدهم صياغة رأى  
ما أو فكرة كتابة وفي اللغة العربية يموزه الكثير من  
المصطلحات وهو ما لا يتوفر في معاجمنا العلمية  
الحديثة في الوقت الحاضر وان توفر فهناك تباين  
شاسع أو واسع بين ما يقر في بلد عربي عن بلد آخر .  
وبعد كل هذا فان الكتابة هي موهبة لا يتساوى جميع  
الناس في التعبير فيها . اما عن حل هذه المحنة  
أو المشكلة فانه يتطلب وقتا غير قليل لتتفق المجامع  
على مصطلحات موحدة تنشر بين المتخصصين في  
العلوم ليمارسوا الكتابة فيها والزمن كفيل برفع  
مستوى التعبير نطقا وكتابة عند هؤلاء المتخصصين .

ومن جهة اخرى فاننا نرى اليوم جماعة من ذوي  
الاختصاص في العلوم ، كالتطب والهندسة والفيزياء

التي تعد اليوم انكليزية بحثة . ولم تجد اللغة الانكليزية في تلك الاستمارة غيرا ولا منقصة . بل ان ابناء تلك اللغة عدوا الاستمارة دليلا على مرونة لغتهم وقابليتها على ان « تطعم » بما تكنه اللغات الاخرى .

فما احراانا نحن ابناء العربية ان نسلك اليوم هذا السبيل فنستعير ما لا وجود له في لغتنا ، ونلبسه صيغة عربية مقبولة فنكتسب بذلك الوفا من الالفاظ الاصطلاحية المعربة .

ولسنا نقول ان « التمريب » هو المباد الوحيد الذي يركن اليه في هذا الباب . كلا ، فان في كتب التراث العربي من الالفاظ القديمة ما يجب العود اليه ، ونفض غبار النسيان عنه ، واحياؤه بالاستعمال . اثنا نشر في كتب التراث القديم ، على الالفاظ اصطلاحية غاية في الكثرة ، وقد تناثرت في معجمات اللغة وفي كتب العلوم المختلفة . والا كيف تسنى لائمة العلماء القدامى كالفرايبي وابن سينا وابن الهيثم والبيروني والزهراوي والخوارزمي ومن جرى مجراهم في ميادين العلم ، نم كيف تسنى لهم ان يغموا تلك التصانيف النفيسة في بابها ويعبروا فيها عن الحقائق العلمية بمبارة سليمة قوية ؟

وفي هذا ما يبعد الشبهة عن ضعف اللغة العربية مع تسليمنا بفارق الزمن وبواقع الحال التي تتجلى اليوم في اتساع العلوم العصرية وترامي اطرافها . فنقد اخذ العلم الحديث يسير بخطى سريعة جدا لا تجارى الا بالجهد المتصل والدأب المنسق .

لن يفوتنا التنويه بمزية تتحلى بها العربية ، وهي « الاشتقاق » لبيئنا نجد اللغات الغربية تعتمد كثيرا على « النحت » نجد العربية « لغة اشتقاقية » يتاح للباحث ان يستعين بهذه المزية العظيمة ويخرج منها بفوائد جمة تعود على لغة العلم باوفى الشمار .

وبعد هذا التحليل القيم عن دور اللغة في التعبير في عصر التكنولوجيا وشرح الاسباب الحقيقية التي تجعل كثيرا من الاختصاصيين في الميدان العلمي كالاطباء والمهندسين قاصرين عن الكتابة في ميادين اختصاصهم بلغة سليمة نجد سؤالا هاما آخر فرض نفسه في الموضوع ذاته وهو كيف استطاع الدكتور يعقوب صروف والاستاذ احمد زكي ان ينشرا عدة كتب ومقالات في موضوعات علمية عويصة في الفلك والرياضيات والجيولوجيا والنبات والكيمياء والفيزياء بلغة سليمة يستسيغها الذوق وترتضيها قواعد اللغة .

ان الجواب على ذلك يكمن في الحقائق التالية : ان الطبيب والمهندس والعالم المختص بأحد العلوم العصرية لا شك في انه قد اجتاز في اثناء دراسة مراحل دراسية : ابتدائية متوسطة ، اعدادية . لنضع دراسته العالية ونقتصر على المراحل المذكورة فلم يدرس في سنن هذه المراحل اللغة العربية صرفا ونحوها وانشاء؟ فابن ذهب تلك الدراسة ؟ وهي لو احتفظ بها ، ففي ما ارى بالغاية اللغوية التي يبتغيها العالم المختص . فلماذا نراه ، بعد ذلك يكتب بأسلوب يمتوره ضعف ؟ ولماذا يخطئه في قواعد الصرف والنحو ، وهي امور سبقت له دراستها ؟

لعل من يقول ان هذا العالم المختص بمد ان تعمق في فرعه لم يعد يتسنى له الاستمرار على العناية بلفظه لتتركها وشأنها انصرانا منه لفرعه . وقد يكون هذا صحيحا . اما ان نرجع ذلك النقص الى اللغة نفسها ونرميها بما ليست فيه ، فامر فيه كثير من التجني عليها .

وبديهي ان ذوي التخصص هم عادة اناس على قسط كبير من الذكاء والاطلاع ولعله من العبث ان يذكرهم المرء بان اداة التعبير نفسه ان يكون موافقا ومن العبث كذلك ان يذكرهم المرء بان العناية بالناحية الادبية من الفكر الانساني لا يجوز اهمالها مهما اهتم الشخص بالتقضية العلمية نفسها . ربما كان هذا بعض السبب في ان الكثير من الجامعات تصر على ان يدرس طلاب العلوم التكنولوجيا على الاقل موضوعا ادبيا واحدا كل سنة عليهم ان ينجحوا فيه بدرجة عالية . فضلا عن الناحية الانسانية التي بهذا يتقنى العالم على صلة بها فانه يتمكن من تلك القوة التعبيرية - القوة اللفظية والاسلوبية - التي تجعله قادرا على صياغة افكاره العلمية في اشكال مستسافة . والذي اهرقه هو ان البعض من اقدر العلماء هو ايضا من اشد الناس فصاحة وقوة في التعبير - مما يجعلنا نقول ان من كان ضئيل الحظ من الفصاحة وقوة التعبير ربما كان ايضا قليل الحظ من القدرة العلمية الحقيقية - ولو انه لا بد من رفض التعميم في مثل هذا المجال .

اما محنة التأليف والترجمة في العلوم عندنا فهي ذات شقين ( او اكثر ) : اولا ، محنة المؤلف النادر الذي يمشق ما يكتب او يترجم فيه بحيث يكون مستعدا للتضحية بوقته وجهده من اجل الكتابة والترجمة مهما تكن نتائج النشر . ثانيا ، محنة القارئ العربي الذي ما زال بعيدا عن الاقبال على الكتب

لا يستطيع التعبير عن أفكاره العلمية في قالب كتابي مستساغ .

وأول هذه الأسباب هو ضعف تعليم اللغة العربية في الدراسة الابتدائية والثانوية وهي المرحلة التي يتعلم فيها الطالب قواعد اللغة وأسسها وحسب علمي أن وزارة التربية تتعاون في الوقت الحاضر مع مركز البحوث التربوية التابع لجامعة بغداد لوضع كتب جديدة لتعليم اللغة العربية في المدارس الابتدائية والثانوية .

والسبب الآخر هو أن تعليم هؤلاء في المرحلة الجامعية على الإغراب يكون بلغة أجنبية في العراق إذ لا زلنا نعتمد على المراجع العلمية الأجنبية ولمدم توفر هذه باللغة العربية أخذنا بطريقة التدريس بلغة أجنبية .

والسبب الثالث هو أن لغة البيت ولغة الشارع تختلف كثيرا عن اللغة الفصحى ولوجرت محاولة لتقريب اللغة العامية من اللغة الفصحى وعدم استعمال الكلمات العربية ونشر الفصحى عن طريق الإذاعة والتلفزة فبعد مرور وقت طال وقصر سنجد أن اللغة العامية تتقرب من الفصحى .

وهناك سبب رابع وهو عدم تشجيع التأليف باللغة العربية في المجالات العلمية ويجب أن يكون هذا من الشروط المطلوبة في الترقيات العلمية التي تتطلبها الجامعات من أعضاء الهيئة التدريسية .

العلمية رغم دخول العصر التكنولوجي . كيف نعالج هاتين المحتنتين ؟ لا بد من العودة بذلك إلى الجامعة وما تيسره من فرص للتأليف وما تخلقه من حب حقيقي للمعلم في نفوس الطلاب . القضية تربوية ، وحضارية معا . وتحتاج إلى دراسة كثيرة الشعب لا تجدي معها إشارة سريعة . في عجالة كهذه .

ولا ننكر أن الصعوبة التي يحسها المختصون في العلوم هي صعوبة حقيقية لا ينفعنا مطلقا محاولة التقليل من شأنها . وقد اتضحت لي أنا شخصا - يقول الاستاذ جرجيس فتح الله - هذه الصعوبة عندما قمت بنقل كتاب - تراث الإسلام - المعروف إلى العربية قبل ستة عشر عاما ، وبمدها أخذت أكتب وأترجم إلى العربية بعض الكتب والبحوث الخاصة بنظرية الموسيقى العربية وقرائها . فقد أدركت من الوهلة الأولى سبب وقوف - لجنة النشر للجامعيين - المصرية التي تالفت في العام 1935 لنقل الكتاب الأول إلى العربية فاخفقت في منتصف الطريق ، أي عندما اصطدمت بآبواب الطب والرياضيات والهندسة والقانون والتعريف الخ ...

وزيادة في الإيضاح يجدر بنا أن نشير إلى أن هناك أسبابا كثيرة تجعل من حملة الشهادات العالية المتخصصين في العلوم كالأطباء والمهندسين والتكنولوجيين في وضع لا يستطيعون فيه الكتابة في اختصاصاتهم بلغة سليمة بل حتى أن البعض منهم

# العوامل الطارئة على اللفنة دراسة لقضايا اللفنة وتصحيح والتوليد العربيه... في ضوء علم اللفنة الحديث الدكتور محمد سعيد : كلية دارالعلوم جامعة القاهرة

فقال : اوليس بظريف ابن اخي يتكلم بالفارسية ،  
فلن معاوية ان الكلام بالفارسية لحن « ومن ذلك  
البيت المشهور للفزاري

منطق صائب وتلحن احيانا  
وخير الحديث ما كان لحنا

ومن معانيها ايضا « التورية » باستخدام معنى  
قريب وارادة معنى بعيد ، وعلى ذلك الف ابن دريد  
كتابه « الملاحن » قاصدا به استخدام الكلمات وارادة  
معان اخرى لا تخطر لأول وهلة على الدهن عند سماع  
الكلمة ، وفي مجال المعنى ايضا اطلقت على الخطأ في  
المعاني ، وذلك باستعمال الكلمة او التركيب كله على  
غير وجهه الذي قرره له العلماء ، وقد الف المفضل  
ابن سلمه كتابه « الفاخر فيما تلحن فيه العامة » من  
هذا النوع من الخطأ في المعاني ، وجاء في مقدمته  
قوله : « هذا كتاب معاني ما يجري على السن العامة  
في امثالهم ومحاوراتهم من كلام العرب ، وهم لا يدرون

لكتابة هذا البحث حول معنى اللحن في الكلام  
العربي وتطور استعماله ومقاومته ينبغي - كما هو  
واضح في عنوانها - تناول الامور الآتية :

1 - معرفة المقصود باللحن وبيان مظاهره مع  
تقديم نماذج لها .

2 - بيان تطور استعماله في الكلام العربي  
باختصار .

3 - حركة المقاومة العلمية التي تمثلت في  
جهود العلماء لتنقية اللحن .

لقد بحث كثير من الدارسين في كلمة « اللحن »  
وتمدد معانيها ، وتطور هذه المعاني ، ويذكر في هذا  
الصدد ان من معانيها « الفطنة والذكاء » استنادا الى  
قول الرسول ( لعل احدكم ان يكون لحن بحجته من  
بعض ) او التطرف في الحديث بخلطه بالكلام الاجنبي  
او الكلام المتعمد فيه الخطأ كما روى ابن دريد انه  
« قيل لمعاوية : ان عبد الله بن زياد يلحن في كلامه ،

معنى ما يتكلمون به من ذلك ، فيبناه من وجوهه على اختلاف العلماء فى تفسيره .

فهذه المعاني وغيرها تندرج تحت كلمة « لحن » وربما استعملت فى تصور متفاوتة خاضعة فى ذلك لتطور الدلالة كما هو شأن الكلمات فى كل اللغات أو استعملت بمعان متعددة فى عصر واحد بعد أن تجمعت حول الكلمة ، والذي يبين أحد هذه المعاني ظروف الدلالة للنص الذى وردت فيه .

ولا علينا من ذلك كله ، فان اللحن الذى تقصده هنا هو « خروج الكلام الفصيح من مجرى الصحة فى بنية الكلام أو تركيبه أو امرأه بفعل الاستعمال الذى يشيع أولا بين العامة من الناس ، ويتسرب بعد ذلك الى لغة الخاصة » واللحن بهذه الصفات امر طاريء على اللغة الفصحى ، اذ ان المفترض فى نطق العرب لها أولا هو الصحة والسلامة امتدادا على الفطرة والسليقة ، فهذا هو الاصل ، فما حاد عن هذا الاصل الفطري المتوارث فهو خطأ ، ويوصف نطقه حينئذ بأنه « لحن » وغالبا ما يضاف « اللحن » الى « العوام » أو « العامة » تنبيها على الاصل الذى جاء منه الخطأ فى الاستعمال .

— قال ابن دريد : فاما اللحن فى العربية ، لانك اذا قات ( ضرب عبد الله زيد ) لم يدر ايهما الضارب ولا المضروب ، فكانك قد عدلته عن وجهه ، فاذا امرت عن معنك فهم (1) عنك .

— سمع ابو عمرو بن العلاء ان ابا حنيفة يبطل القود الا ما كان قتلا بحديد ، فقال له ابو عمرو: ارايت ان ضربه بكذا ، ارايت ان ضربه بكذا ، قال لو ضربه بأبو قبيس لم يكن عليه قود ، فقال ابو عمرو: هذا كلام شنع ، قال : وما الشنع ؟ قال : ولا تعرف الشنع ايضا !! (2)

— روى الزجاجي : كان سيبويه مستمليا لحمام بن سلمة — وكان حمام فصيحاً — فاستملاه يوما قول رسول الله ( ص ) : ليس من اصحابي أحد الا ولو شئت اخذت عليه ليس ابا الدرداء ، فقال سيبويه ( ليس ابو الدرداء ) فصاح به حمام : لعنت

يا سيبويه ، ليس هذا حيث ذهبت وانما هو استثناء ، فقال سيبويه : لا جرم والله لاطلبن علما لا تنحني معي ، فمضى ، ولزم مجلس الاخفش مع يعقوب الحضرمي والخليل وسائر النحويين (3) .

— قال ابن الجوزي : واعلم ان غلط العامة يتنوع ، فتارة يضمنون المكسور ، وتارة يكسرون المضموم وتارة يمدون المقصور ، وتارة يقصرون المدود ، وتارة يشددون المخفف ، وتارة يخففون المشدد وتارة يزيدون فى الكلمة ، وتارة ينتقصون منها ، وتارة يضعونها فى غير موضعها ، الى غير ذلك من الاقسام (4) .

ويستنبط من النماذج السابقة الدلالة على السمات التى يوصف الكلام من اجلها « باللحن والخطأ » فابن دريد يرى الاخلال بالامراب فى مثل ( ضرب عبد الله زيد ) لحن فى العربية ، وهذا حق ويفسره بالمدول عن الوجه فيه من نصب (زيد) فى العبارة السابقة ، وهذا حق ايضا لكنه يتوسع فى فهم المدول عن الوجه فى الكلام بما يشمل الدلالة ايضا « لم يدر ايهما الضارب ولا المضروب فاذا امرته فهم منك » وهذه وجهة لفهم اللحن فى المعنى ، ويصادفها المرء كثيرا فى الكتب التى تناولته بالدراسة ، وان لم تصل الى الفهم الشائع منه من الخطأ فى الاعراب .

وابو عمرو بن العلاء يصف نطق ابي حنيفة ( ضربه بأبو قبيس ) بأنه « كلام شنع » مستخدما صيغة المبالغة فى وصف الخطأ الامرابي فى الكلام الذى هو « اللحن » وهو ما ذكره صراحة حمام ابن سلمة لسيبويه حين اخطأ فى مثل ما اخطأ فيه ابو حنيفة من قوله ( ليس ابو الدرداء ) ، اذ صاح به حمام ( لعنت يا سيبويه ) فمن ذلك يتضح ان اللحن يطلق على الخطأ فى الاعراب اذا حدث فى اللغة الفصحى ، فاستعمل فيها تأثرا بما شاع بين العوام وفى الكلام الدارج ، كما انه يشمل ايضا ما عدده ابن الجوزي من ضم المكسور وكسر المضموم الخ . . وهذا فى معظمه يتعلق ببنية الكلمات ، وقد سماه « غلط العامة » ايضا .

(1) الملاحن ص 6 .

(2) مجالس العلماء ص 110 .

(3) السابق ص 154 .

(4) تقويم اللسان ورقة 2/ .

3 - ومن ذلك (الحشمة) يضمها الناس موضع الاستحياء ، قال الاصمعي ، وليس كذلك انما هي بمعنى الغضب ، وحكى عن بعض فصحاء العرب انه قال : ان ذلك لما يحشم بني فلان ، اي يغضبهم (3) .

4 - ويقولون ( بكرت اليك ) بمعنى هدوت خاصة ، وقال ابو بكر ( ابن دريد ) البكور التعجل في جميع اوقات الليل والنهار ، يقال : انا ابكر اليك العشية ، وانشد ابو زيد لضمرة بن ضمرة :

بكرت تلومك بعد وهن في الندي  
بسل عليك ملامتي ومقابلي

يقال : بعد وهن ، يعني حيناً من الليل (4)

5 - قولهم للثوب ( وشاح ) قال محمد ( الزبيدي ) والشواح نظمان من لؤلؤ يخالف بينهما ، ويعطف احدهما على الآخر ، وتتوشح به المرأة على كشحها (5) .

6 - ويقولون ( ذو نفع ضر ) فيضمون ، قال محمد ( الزبيدي ) والصواب ( ضر ) بالفتح ، واما ( للضر ) فهو السقم ، قال الله عز وجل : « وان يمسك الله بضر فلا كاشف له الا هو » (6) .

7 - ومن ذلك ( الاستحمام ) يكون عندهم بالماء الحار والبارد ، وليس كذلك ، انما الاستحمام بالماء الحار خاصة (7) .

8 - قول المتكلمين ( هذه المحسوسات ) خطأ ، والصواب ( المحسات ) لانه يقال : احسست الشيء بمعنى ادركته ، فاما المحسوس فهو المقتول ، ممن حسه اذا قتله (8) .

9 - وتقول ( استخفيت من فلان ) والعامية تقول ( اختفيت منه ) وانما الاختفاء الاستخراج ومنه قيل للنباش ( مخف ) (9) .

10 - وتقول ( اصبح القوم ) اذا صاحوا وجلبوا ، والعامية تقول ( ضجوا ) وانما يقال ( ضجوا ) اذا جزموا (10) .

ومما ذكره ابن الجوزي قوله « وتارة يضمون الكلمات في غير مواضعها » وانهم من ذلك ما يشمل تاليف الكلام العربي ووصف الكلمات في التراكيب اللغوية ، وما يشمل معاني الكلمات في استخدامهما على غير ما قرره لها علماء اللغة ، وهذا الاخير جانب اطلق العلماء عليه ايضاً انه « لحن وخطا » وان لم يكن من الكثرة والشهرة ما للاخلال بالامراب او بنية الكلمات .

فقد اندرج تحت ما اطلق عليه « اللحن » امور ثلاث ، اقلها شهرة واهتماماً الخطأ في المعنى باستعمال اللفظ او التركيب في غير ما هو له من المعنى ، واعظمها شهرة وكثرة واهتماماً من علمائنا الخطأ في بنية الالفاظ او الامراب ، وساقدم هنا امثلة قليلة لهذه المظاهر الثلاثة ، الهدف منها تقديم النماذج لا الاستقصاء ، فان مؤلفات اللحن وحدها - فيما استقرانه - بلغت اكثر من اربعين مؤلفاً ، تحوي مادة لغوية ضخمة لهذه المظاهر الثلاثة ، وسياتي عرض ذلك فيما بعد .

اولاً : من نماذج الخطأ في المعاني :

1 - مما تضمنه العامة في غير موضعه قولهم ( خرجنا نتنزه ) اذا خرجوا الى البساتين وانما ( التنزه ) التباعد عن المياه والارياض ، ومنه قيل : فلان يتنزه من الاقدار ، اي يتباعد منها ومنه قول الهدلي :

اقب طريد تنزه الفلاة لا يرد الماء الا اثيابا (1)

2 - ومن ذلك ( الطرب ) يذهب الناس الى انه في الفرح دون الجرع ، وليس كذلك انما الطرب خفة تصيب الرجل لشدة السرور او لشدة الجرع ، قال الشاعر وهو النابغة الجعدي :

واراني طرباً نسي الرهم

طرب الواله او كالمختبل (2)

(1) اصلاح المنطق ص 287 .

(2) 3 - 2) أدب الكاتب ص 18 - 19 .

(3) 4 - 5 - 6) انظر لحن العوام ص 137 - 206 - 244 .

(7) لحن العوام ص 256 .

(8) ذيل الفصيح ص 102 .

(9) 10) رسالة في اغلاط العوام ورقة 101 .

يخلط فيه العامة ، والعرب تقول ( دخل في خماس الناس ) أي فيما يواريه ويستتره منهم حتى لا يبين (1)

2 - ويقولون ( مقداف السفينة ) قال محمد ( الزبيدي ) والصواب ( المجداف ) ومنه جذف الطائر بجناحيه يجذف جدوفا ، اذا كان مقصوفا ، فرأيته كأنه يرد جناحيه الى خلفه ويدارك الضرب (2) .

وواضح ان الخطأ في هذين المثالين سببه التطور الصوتي ، لقرب المخرج بين كل من الخاء والغين في ( خماس وغمار ) وكذلك بين كل من الجيم والقاف في ( مجداف ومقداف ) وربما نقلت الجيم اولا ( ج ) ثم تطورت الى القاف .

3 - قال الجاحظ : كان هند عمر بن عبد العزيز رجلا ، فجعلنا يلحنان ، فقال الحاجب ( قوما فقد اوديتما امير المؤمنين ) قال عمر : انت آذى لي منهما (3) .

4 - قال ابو عمرو : يقال : ازلت له زلة ولا يقال (زلت) وقد اقلقت الباب فهو مغلق ، ولا يقال (مغلق) وقد اقلفته فهو مقفل ولا يقال (مقفل) (4) .

5 - ويقولون ( هبت الارياح ) مقياسة على قولهم (رياح) وهو خطأ بين ، والصواب ان يقال ( هبت الارواح ) كما قال ذو الرمة :

اذا هبت الارواح من نحو جانب  
به اهل مي هاج قلبي هبوبها

والعلة في ذلك ان اصل ( ربح ) ( روح ) لاشتقاقها من ( الروح ) وانما ابدلت الواو ياء في ( ربح ورياح ) للكسرة التي قبلها ، فاذا جمعت على ( ارواح ) فقد سكن ما قبل الواو ، وزالت العنة (5) .

6 - ويقولون للمطهرة ( مبيضة ) وبعضهم يقول ( مبيضاء ) والصواب ( مبيضة ) بالهمزة ، والجمع ( مواضيء ) (6) .

ويكفي هذه الامثلة العشرة لهذا النوع من الخطأ في المعنى ، او ما وصف بأنه « لحن العوام » والملاحظ على هذه الامثلة - وشبهها كثير - ان الحكم عليها باللحن كان من زاوية الاستعمال في فترة خاصة ، فالتزم هذا الاستعمال وتوقف ، ولم يؤخذ في الاعتبار بالنسبة لها تطور الدلالة التي قد تتغير من جيل لجيل ، فالكلمات ليست احجارا جامدة ، ولكنها وسيلة اجتماعية يطرا عليها التفسير في معانيها ، والتطور في دلالاتها بحسب العرف القوي السدي يستخدمها ، ومن المفيد ان نلاحظ ايضا ان معاني هذه الكلمات العشر التي حكم عليها بالخطأ ظلت منذ القديم سائدة حتى الوقت الحاضر - وانه لا يخطر ببال احد استعمالها بالعرف الذي رأى العلماء انه هو العرف الصحيح ، فمن ذا الذي يفهم من ( خرجنا ننتزه ) التبعاد عن المياه والارياح ، ومن ( الطرب ) الحزن والسرور معا ، ومن ( الحشمة ) معنى الغضب لا الاستحياء ، ومن ( البكور ) التعجل عامة ، ومن ( الوشاح ) نظمان من اولاد لا الشوب ؟؟ ومن الذي يستخدم (الضر) بالفتح في مقابل النفع، ويتترك (الضر) بالضم ويفهم من ( الاستحمام ) انه للماء الحار خاصة ، ومن (لاختفاء) الاستخراج لا التوارى عن العيون !! فمن الواضح ان تفكير علماء اللغة على هذا النحو تفكير التزم التعميد والتحديد ولم ياخذ في اعتباره المرونة والتطور ، فبقيت دراستهم في واد والاستعمال في واد آخر ، ولست مغالبا ان قلت : ان هذه الجهود كلها افادت من حيث الدراسة في ذاتها ، لكنها لم تتفق مع طبيعة اللغة ، ولذلك لم تغد كثيرا في تعديل ما اطلق عليه ( اللحن ) في عصرهم او بعد عصرهم .

ثانيا : من نماذج الخطأ في بنية الكلمات :

1 - قولهم ( دخل في غمار الناس ) هذا مما

- (1) الفاخر فيما تلحن فيه العامة ص 246 .
- (2) لحن العوام ص 69 .
- (3) البيان والتبيين ج 3 ص 24 .
- (4) اصلاح المنطق ص 227 .
- (5 - 6) لحن العوام ص 169 - 174 .

7 - ويقولون ( يوم مهول ) ، والصواب ( يوم هائل ) و ( امر هائل ) يقال : هالني الشيء يهولني هولا ، فهو هائل (1) .

8 - يقولون (استهتر الرجل فهو مستهتر) (بالكسر) والصواب (استهتر فهو مستهتر) (بالفتح) وهو الذي يخلط في اقواله وافعاله ، حتى كأنه بلا عقل (2) .

9 - وتقول : هذه مروحة ومخدة ومقنعة ومنحفة وملة ومذبة ومغرفة ومقطرة ومطرقة ومدقة ومقرعة ومنطقية ومبسررد ومطررد ومبضع ومنديل والمساح - موضع بطريق مكة - والرنج - النجم - كله بكسر الميم والعامة تفتحها (3) .

10 - ويقولون في جمع بيضاء وصفراء وسوداء ، ييضاوات وصفراوات وسوداوات ، وهو لحن فاحش ، لان العرب لم تجمع فعلاء التي هي مؤنث افعال بالالف والتاء ، بل جمعتها على ( فعل ) نحو بيض وصفر وسود ، كما جاء في القرآن ( ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ) وفي قول امرئ القيس :

وتحسب سامي لا تزال تسرى طلا

من الوحش او بيضا بميثاء محلال (4)

فالنماذج العشر السابقة - ومثلها كثير - تتعلق ببنية الكلمة العربية ، وتدخل تحت مباحث علم الصرف ، وترتب على ذلك ان الحكم عليها « باللحن والخطا » جاء في ضوء القواعد الصرفية لبعضها يتعلق باختلال بنطق حروف الكلمة بوضع حرف مكان آخر في ( شمار وخمار ) و ( مقدار ومجداف ) او باجراء الاعلال وتركه على غير مقتضى قوانين الاعلال والابدال كما في ( ازلتت وزلت ) او صياغة المشتقات على غير الطريقة المحددة لها في شكل الحروف وكميتها مثل ( مفلق ومفلوق - مقفل ومقفل مهول وهائل - مروحة ومروحة .. الخ ) . او في الهمز والتسهيل كما في ( ميضاه وميضاة ) او بناء الفعل للمماوم والمجهول حسبما ورد من العرب وقررت كتب الصرف كما في ( استهتر واستهتر واستضحك

واستضحك ) او في صيغة الجمع للمفرد كما في ( ييضاوات وييض ) . فكل هذه المباحث قرر لها علماء النحو والتصريف مبادئ محددة ، وفي ضوء هذه المبادئ غالباً نظروا الى طريقة استعمال اللغة على مدى العصور ، فكل ما وجدوه مخالفاً لها ، حكموا عليه « باللحن » ونسبوه الى العوام .

ومن المفيد ان يعرف ان هذا النوع من الخطا قد حظي بعناية العلماء من ائمة فائقة في « كتب لحن العامة » مما لم ينل مثله المظهران الاخران من مظاهر اللحن اللذان يتعلقان بالمعاني او التركيب والاهراب ، ولعل ذلك يرجع الى الاعتقاد بان هذا المظهر من اللحن اشد خطورة على اللغة من المظهرين الاخرين لما يترتب عليه من « تشويه اللغة » وطمس المعاني واضطرابها ، بالاضافة الى ما اطمانوا اليه من ضخامة الجهود النحوية التي تقى من « اللحن » في الاهراب بالنسبة للجهود في بنية الكلمات ووضع القوانين لها .

ثالثاً : من نماذج الخطا في التركيب والاهراب :

1 - تقول ( شكرت لك ونصحت لك ) ولا يقال ( شكرتك ونصحتك ) وقد نصح لفلان وشكر له ، هذا كلام العرب ، قال الله تعالى ( واشكروا لي ولا تكفرون ) ( ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم ) (5) .

2 - قال الاخفش : اخبرني المبرد قال : انشدني سليمان بن عبد الله بن طاهر لنفسه :

وقد مضت لي هشرونان ثنتان

فقلت له : ايها الامير ، هذا لحن ، لان امراباً لا يدخل على امراب (6) .

3 - من اللحن قولهم ( العوام ) فيه تبارك وتعالى ( هذه صفة ذاته ، وهو مبين بالذات ) قال محمد ( الزبيدي ) ولا يجوز ان يلحق الالف واللام ( ذو ولا ذات ) في حال افراد ولا تثنية ولا جمع ، ولا تضاف الى المضمرات ، وانما تقع ابداً مضافة الى

(2،1) لحن لعوام ص 253 - 255 .

(3) تقويم اللسان ورقة 25 .

(4) تصحيح التصحيف وتحريير التحريف ورقة - 104 .

(5) ما تلحن فيه العوام ص 25 .

(6) الوشح ص 357 .



9 - ( عند ) لا تقع الا ظرفا او مجرورة بمن ،  
وتقول العامة ( ذهب الى عنده ) لحن (7) .

10 - وتقول ( ما رايت من امس ومن ايام ) وهو  
غلط ، لان ( من ) تخص المكان ومد ومد يختصان  
الزمان (8) .

وبلاحظ على الامثلة العشرة السابقة ان الكثير  
منها يتعلق بتأليف التركيب العربي ، والامر الذي  
استقر عليه هذا التأليف بين النحاة ، وما جاء مخالفا  
للطرائق المنظمة لذلك ، ينبغي ان يدخل دائرة «اللحن  
والخطا» كما هو واضح تماما في ( ادخل باللسن  
السجن ) و ( شكرت لك ونصحت لك ) و ( لا افعل  
هذا قط ) والصحيح فيه ( ما فعلت هذا قط ) وكذلك  
( لا غير ) والقواعد تقضي بان التعبير الصحيح هو  
( ليس غير ) - كما ان بعض الاخطاء تعود - في نظر  
النحاة - الى استخدام الادوات بطريقة غير ما استقر  
عليه الامر - وبخاصة حروف الجر - كما في ( ذهب  
الى عنده ) وصحتها ( جئت عنده ) و ( جئت من عنده )  
وكذلك ( ما رايت من امس ) وتقضي القواعد استخدام  
( منذ ) في هذا الموضع - كما يعود اللحن هنا كذلك  
الى الشكل الامرابي ، وخروج الكلام عن مقتضاه ،  
كما في ( مشرونان ) اذ قال المبرد منبها على الخطا  
فيها « ايها الامير ، هذا لحن ، لان امرابا لا يدخل على  
امراب » وكذلك قول ابي حنيفة ( يدخل الجنة قوم  
حفاة مراة منتنين ) حيث صححها له ابو زيد الانصاري  
بقوله ( منتنون ) تشبيها على الخطا الامرابي في  
الصفة .

وطريقة تأليف الكلام واستخدام الادوات  
النحوية والامراب كلها من المباحث التي يتناولها النحو  
مع غيرها من المباحث التي تتعلق بالتركيب اللغوي  
واسراره .

والذي افهمه ان ايراد مثل هذه الاخطاء النحوية  
في دراسة « لحن العامة » هو ايراد لما حدث في  
« اللغة الفصحى » وفي الاستعمال الخاص لهذه اللغة

الظاهر ، - الا ترى انك لا تقول ( اللو ولا الدوان ولا  
الدون ولا الذات ولا الذوات ولا ذوك ولا ذوه ولا ذوهما  
ولا ذوهن ولا ذواتها ، ولا تقول : مررت بذاته ولا  
بذاتك ) وقد غلط في ذلك اهل الكلام واكثر المحدثين  
من الشعراء والكتاب والفقهاء (1) .

4 - قال ابو زيد الانصاري : لقيت ابا حنيفة ،  
فحدثني بحديث فيه ( يدخل الجنة قوم حفاة مراة  
منتنين قد احمشتهم النار ) فقلت له : انما هو  
( منتنون قد محشتهم النار ) فقال : ممن انت؟؟ فقلت:  
من اهل البصرة ، فقال : اكل اصحابك مثلك؟؟ قلت:  
بل انا اخسهم حظا في العلم ، فقال : طوبى لقوم  
يكون مثلك اخسهم حظا (2) .

5 - ويقولون ( ادخل باللسن السجن ) والصواب  
ان يقولوا ( ادخل اللسن السجن ) لان الفعل تارة  
يعدى بهمزة النقل كقولك ( خرج واخرجه ) وتارة  
بالباء ، كقولك ( خرج وخرجت به ) فاما الجمع بينهما  
فممتنع (3) .

6 - العامة تقول ( فعل الغير ذلك ) فيدخلون  
على (غير) اداة التعريف ، والمحققون من النحويين  
يمنعون من ادخال الالف واللام عليه ، لان المقصود  
بدخول آلة التعريف على النكرة ان تخصصه لعينه ،  
فاذا قيل (الغير) اشتملت هذه اللفظة على ما لا يحصى  
كثرة (4) .

7 - والعامة تقول ( لا افعل هذا قط ) في  
المستقبل ( ولا افعله ابدا ) وهو غلط ، والصواب ان  
تقوله في الماضي ( ما فعلت هذا قط ) اي فيما انقطع  
من عمري (5) .

8 - ( غير ) اسم ملازم للاضافة في المعنى ،  
ويجوز ان يقطع عنها لفظا ، ان فهم المعنى وتقدمت  
عليها كامة ( ليس ) ، وقولهم ( لا غير ) لحن ، ويقال  
( قبضت عشرة ليس غيرها ) (6) .

(1) لحن العوام ص 12 .

(2) شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ص 38 .

(3) - 4 تصحيح التصحيف وتحريف التحريف ورقة 59 - 240 .

(5) تصحيح التصحيف وتحريف التحريف ورقة 254 .

(6) المنفى ج 1 ص 157 .

(7) المنفى ج 1 ص 651 .

(8) رسالة في اغلاط العوام ورقة 122 .

اللحن على أن النحاة انفسهم قد خطاوا فيما بعد قول  
النابغة الذبياني :

نبت كاني ساورتنني ضئيلة  
من الرقش في انيابها السم نافع

وقالوا : كان حقه ان يقول ( ناعما ) لا ( نافع )  
فان النكرة لا تصف المعرفة .

وعلى كل حال فان كلمة «اللحن» قد تردت بين  
العرب مع ظهور الاسلام فيما نقل عن عهد المبكر ، اذ  
نقل ان الرسول (ص) قال : انا من قريش ، ونشأت  
من بني سعد فاني لي اللحن ، ونقل عن الصديق (ص)  
نوله : لان اقرا فاسقط احب الي من ان اقرا فالحن .  
وكان قصة الكتاب المشهور الذي بعث به من العراق  
ابو موسى الاشعري الى عمر بن الخطاب وجاء فيه  
« من ابو موسى الاشعري » وما رد عليه عمر من قوله:  
اضرب كاتبك سوطا واحدا واجز عطاه سنة (2) .

فان هذه الروايات المتناثرة - ان صححت - تدل  
على معرفة اللحن في ذلك العصر وفيما قبل ذلك  
العصر الاسلامي المبكر ، اذ ان استخدام اللفظة في  
ذلك الوقت المبكر وفهم المقصود منها حينذاك قد  
سبقه ما يسوغ هذا الاستخدام وذلك الفهم ، وفي  
ذلك دلالة غير مباشرة على حدوث ذلك في الجاهلية  
وان لم ينقل ذلك وتنقل مظاهره .

وحين تاخر الزمن قليلا - في عهد الامويين في  
القرن الاول الهجري - اصبح اللحن قضية ذات  
خطر في استعمال اللغة ، وهذا طبيعي اذ اتسعت  
الدولة الاسلامية ، وكثرت دواعي الاختلاط بالاجانب  
من الحرب والجوار والخدمة والمعايشة ، وجاءت من  
ذلك روايات تصور مواقف حدث فيها اللحن بين  
الخاصة وفي حضرة الخلفاء ، وهي لهذا السبب  
نفسه استحقت الرواية والتناقل ، ولنا ان تخيل  
الاطعنا الكثيرة مما لم ينقله احد او يعني به ، لانه كان  
يحدث بين الناس العاديين من جمهرة العرب  
والمسلمين ، واكبر الدلالة على ضخامة ذلك وكثرته انه  
كان سببا في بداية النحو العربي حول النصف الاول  
من القرن الاول الهجري على اختلاف الرواة فيمن  
تنسب اليه تلك النشأة .

في مجالات المواقف الجادة من القول بين العلماء  
والخاصة ، ويصح بناء على ذلك قبول ما رآه بعض  
الدارسين من ان « المصوام » الذين اضيف اليهم  
« اللحن » في كتب « لحن المصوام » هم مصوام  
العلماء والخاصة ، فهو رأي يقبل من هذه الاخطاء  
القليلة التي تتعلق بالتركيب والاصراب اما ليس  
ذلك من مظاهر اللحن المتعلقة بالمعاني او بنية الكلمات،  
وكذلك في هذا المظهر في اضافته الى العامة من  
الناس العاديين ، فالغلب ظني ان كل ذلك كان شائعا  
الى حد الكثرة ، وانه لم يكده القرن الثاني ينقضي  
حتى تنوحت العاميات وكثرت الاخطاء بين الناس  
العاديين والمتخصصين على سواء .

لكن : متى بدأ اللحن في الكلام العربي وكيف  
تطور ؟

لا يستطيع الوصول الى حقيقة حاسمة من هذه  
الظاهرة في العصر الجاهلي - شأنها في ذلك شأن  
كثير من ظواهر اللغة والادب من هذا العصر - فان  
كثيرا من شؤون الجاهلية تكاد تكون مطموسة  
تماما ، او على الاقل غير مؤكدة ، اذ تعتمد على الظن  
الغالب لا الادلة المتينة ، والغالب ان اللغة العربية في  
العصر الجاهلي كان لها مستويات متعددة ، تختلف  
فيما بينها باختلاف القبائل وعرف كل قبيلة في  
لهجتها ، وان اللغة العامة التي كانت وسيلة التفاهم  
بين الجميع حدث فيها احيانا اللحن والخطا ، ولو صح  
ان الاهتمام باللغة ودراستها قد تقدم به الزمن الى  
العصر الجاهلي ، لجاتنا كتب في «لحن العامة» من  
هذا العصر كما حدث في القرن الثاني الهجري وما  
تلاه حين نضجت الدراسة وتنوحت ، وكان اللحن احد  
المظاهر التي اهتمت بها . وقد روى ان طرفة بن العبد  
قال وهو صغير :

يا لك من قبرة بمممر  
خلا لك الجو فيبيضي واصفري

ونقري ما شئت ان تنقري  
قد رفع الفخ فماذا تحلدري

لا بد يوما ان تصادي فاصبري (1)

فما هو الوصف الذي كان من المتوقع ان يطلقه  
النحاة على عبارة ( ماذا تحلدري ) غير الضرورة او

(1) بلوغ الارب في معرفة احوال العرب ج 3 ص 110 .  
(2) انظر : مراتب النحويين ص 5 - 6 .

والمنف مع من يلحن في كلامه كما هو واضح في ذلك الإنكار والردع من الحجاج لهند بنت أسماء - كما تدل في الجانب المقابل على أن «الخلو من اللحن» يمثل الجانب الشريف الذي يستحق به صاحبه الفخر والثناء ، كما هو واضح من أسلوب الإعجاب الذي يقرر به الاصمعي هذه الحقيقة عن الشمبي وعبد الملك والحجاج وابن القرية .

فما روي من « مواقف اللحن » في القرن الاول الهجري قد لابسه العار والاحتقار او الإنكار والردع، او استحقاق من يعري عنه الفخر وحسن الذكر مما يفهم منه أن اللحن كان يمثل في ذلك الوقت أمرا جديدا خطيرا ، او بعبارة أدق : أن شيوعه بين الناس كان ظاهرة جديدة خطيرة يستحق من يبرأ منها الثناء والشكران ، كما يستحق مرتكبها الزجر والتكران .

فإذا ما تأخر الزمن الى القرن الثاني الهجري - وبخاصة النصف الثاني منه وما تلاه - أصبح ما كان احساسا بالخطر خطرا حقيقيا ملموسا ، وما كان مواقف متناثرة تذكر فتنكر أمرا شائعا بين الناس من غير تكيز ، وترتب على ذلك نشاط علمي متنوع ، ففي رواية اللفه رحل العلماء للبادية ، وانصرفوا عن الحضرة بعد ان شاع فيه اللحن ، فلم تعد اللفه - في نظرهم - اهلا للنقل والاحتجاج ، وفي الدراسة اللغوية نشطت حركة التنقية التي بدأت في هذه الفترة بكتاب الكسائي الذي لا يزال موجودا بين ايدينا لأن من « ما تلحن فيه العامة »

\* قال الرشيد يوما لبنيه : ما ضر احدكم لو تعلم من العربية ما يصلح به لسانه ، أسر احدكم ان يكون لسانه كلسان عبده أو أمته (4) !! .

\* ودخل الفراء يوما على الرشيد ، فتكلم بكلام لحن فيه ، فقال جعفر بن يحيى : يا امير المؤمنين انه قد لحن . فقال الرشيد للفراء : اتلحن يا يحيى ؟ فقال : يا امير المؤمنين : ان طباع اهل البدو الأعراب ، وطباع اهل الحضرة اللحن ، فإذا حفظت أو كتبت لم اللحن ، وإذا رجعت الى الطبع لحننت ، فاستحسن الرشيد كلامه (5) .

\* كان لخالد بن يزيد بن معاوية اخ ، فجاه يوما فقال : ان الوليد بن عبد الملك يعبث بي ويحتقرني ، فدخل خالد على عبد الملك - والوليد عنده - فقال : يا امير المؤمنين ، ان الوليد قد احتقر ابن عمه عبد الله واستصفره - وعبد الملك مطرق - فرفع رأسه وقال : ( ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها - الآية ) فقال خالد ( واذا أردنا أن نهلك قرية - الآية ) فقال عبد الملك : افي عبد الله تكلمني وقد دخل علي فما اقام لسانه لحننا !! فقال خالد : افعلني الوليد تمول !! فقال عبد الملك : ان كان الوليد يلحن ، فان اخاه سليمان ، فقال خالد : وان كان عبد الله يلحن ، فان اخاه خالد - في كلام كثير طويل (1) .

\* تكلمت هند بنت أسماء بن خارجة ، فلحننت وهي عند الحجاج ، فقال لها : اتلحنين وانت شريفة في بيت قيس !! فقالت : اما سمعت قول اخي مالك لامرأته الانصارية ؟ قال : ما هو ؟ قالت : منطلق صائب وتلحن احيانا

وخير الحديث ما كان لحننا فقال لها الحجاج : انما مني اخوك اللحن في القول - اذا كنى الحديث مما يريد - ولم يعن اللحن في العربية فأصلحي لسانك (2) .

\* وروي عن الاصمعي قوله : اربعة لم يلحنوا في جد ولا هزل ، الشمبي وعبد الملك بن مروان والحجاج بن يوسف وابن القرية ، والحجاج افصحهم (3) .

والواضح من هذه الروايات الثلاث انها جاءت من شخصيات لها تميزها في العصر الاموي سواء من حدثت منه أو من حدثت في حضرته أو من قبلت منه ، ويعود هذا التميز الى أنهم من اصحاب الحكم او من اهل العلم في العصر الاموي ، فكيف كان الامر بين العوام من الناس ؟ ومع ذلك فانها تدل على العار والاحتقار اللذين يتعرض لهما من « يلحن » في حديثه ، كما هو واضح في تلك الملاحظة الحادة بين خالد بن يزيد وعبد الملك عن عبد الله بن يزيد والوليد ابن عبد الملك كما ان فيها دلالة على التشدد

(1) صبح الامشى ج 1 ص 168 .

(2) أمالي المرتضى - القسم الاول ص 15 .

(3) أمالي الزجاجي ص 20 .

(4) صبح الامشى ج 1 ص 168 .

(5) صبح الامشى ج 1 ص 173 .

على طرق السابطة ، وبقرّب مجامع الاسواق (2) «  
 وإذا كان اللحن قد امتد الى هؤلاء الاعراب والعلماء  
 المتقمرين في نطق اللغة ، فلنا ان تصور ما كان بين  
 عامة الناس الذين لا يجيدون اللغة بالطبع او بالصنعة .  
 اما في القرن الرابع الهجري - الذي انهى في  
 آخره الاستشهاد - فقد وصل الامر الى مده ، وطفى  
 اللحن على الخاصة والعامة وعلى اصحاب الطبع في  
 البادية واصحاب الصنعة في الحضر .

\* يقول الامدي : والمتأخرون لا يكادون  
 يسلّمون من اللحن ، وهذا في اشعارهم كثير جدا (3) .  
 \* ويقول ابو جعفر النحاس : وقد صار اكثر  
 الناس يظن على متعلمي العربية جهلا وتمديا حتى  
 انهم يحتجون بما يزعمون ان القاسم بن مخيمرة قال :  
 النحو اوله شغل ، وآخره بني (4) .

والامدي وابو جعفر النحاس من علماء القرن  
 الرابع الهجري الذين عاصروا فترة نهاية الاستشهاد  
 باللغة الذي كان من اهم عوامله شيوع اللحن بين  
 الناس حتى الشعراء انفسهم ، واصبح اللحن لا  
 يكاد احد من المتأخرين يسلّم منه - كما يقول الامدي  
 من معاصريه - وصار اكثر الناس يظن على متعلمي  
 العربية جهلا وتمديا - كما يقول النحاس - ومن قبل  
 كان تعلم العربية من الامور التي يتواصى بها الناس ،  
 ويحض عليها الخلفاء والحكام ، وهكذا انقلب الامر ،  
 فاصبح تعلم العربية من طريق الصنعة النحوية موضع  
 سخرية الناس « والنحو اوله شغل وآخره بني » -  
 تماما كما كنا نعيش اليوم في عصرنا الحاضر .

وليس من المفيد كثيرا ان نتابع تطور « قضية  
 اللحن » بمد عصر الاستشهاد ، فقد اصبح « اللحن »  
 هو القاعدة بين الناس في حياتهم العامة ، وتسرب  
 الى التأليف العلمي نفسه ، كما هو واضح في بعض  
 موسوعات التاريخ في القرن السادس وما بعده -  
 وستأتي نماذج من ذلك - حتى قال احد المتأخرين  
 « ان اللحن قد فشا في الناس والالسنة قد تغيرت ،  
 حتى صار التكلم بالاعراب عيبا ، والنطق بالكلام  
 الفصيح عيا (5) » .

لماذا كان موقف علماء اللغة من هذه الظاهرة ؟

\* وكان الرشيد مما يعجبه فناء الملاحين في  
 الزلازل اذا ركبها ، وكان يتأذى بفساد كلامهم ولحنهم ،  
 فقال : قولوا لمن معنا من الشعراء يعملوا لهؤلاء  
 شعرا يفتون فيه ، فوجه الى ابي العتاهية - وهو  
 سجين - فصنع لهم « زهديته » التي ابكت الرشيد  
 حين سمعها منهم ، وفيها :

نح على نفسك يا مسكين ان كنت تنوح

لتموتن وان عمرت ما عمر نوح (1)

وقد اخترت هذه النماذج الثلاثة قصدا عن  
 « عهد الرشيد » الذي عاصر الفترة الاخيرة من  
 القرن الثاني ، وهي تدل على الامور الآتية :  
 ان اجادة الفصحى اصبحت صناعة يحث  
 الرشيد ابتناءه على الاخذ منها بما يصلح النسان كيلا  
 يكونوا كمن يخالطونهم من العبيد والاماء في اللحن  
 والخطا .

وان العلماء انفسهم كانوا يلحنون في حياتهم  
 العادية ، ولم يروا ذلك هيبا يفض من شأنهم ، وقد  
 اعترف بذلك الفراء قائلا « اذا حفظت او كتبت لم  
 الحن ، واذا رجعت الى الطبع ، لحنن » ونال هذا  
 الاعتراف استحسان الرشيد ، لانه الحقيقة .

وان العامة كانوا اشد من ذلك لحننا ، ويمثلهم  
 هؤلاء الملاحون في الزلازل الذين يفتون على مقتضى  
 طبيعتهم ، فيعجب فناءهم الرشيد لكنه يتأذى بفساد  
 كلامهم ولحنهم ، فمنع من نفسه التأذي بتقديم الكلام  
 الفصيح لهم لكن من السلي يمنع ذلك منهم او من  
 غيرهم حين يفتون او يتكلمون في غياب الرشيد !!

وقد استمرت موجة اللحن قوية مندفعة ،  
 واطرد نموها بتأخر الزمن ، فالقرن الثالث اقل حظا  
 في الفصاحة من القرن الثاني ، وفي الجانب المقابل  
 عظم اللحن اكثر من ذي قبل .

وقد روى الجاحظ نوادر كثيرة عن « اللحن في  
 القرن الثالث » في كتابه البيان والتبيين مما سمعه  
 ووصفه ، وعابه على من يتكلفون الفصاحة من علماء  
 اللغة والاعراب ، فقال : « ان اقبح اللحن لحن اصحاب  
 التعمير والتعميب والتشديق والتعطيط والجهورية  
 والتفخيم ، واقبح من ذلك لحن الاماريب النازلين

(1) انظر : الالهاني ج 3 ص 171 .

(2) البيان والتبيين ج 1 ص 146

(3) الموازنة ج 1 ص 416 .

(4) صبح الامشى ج 1 ص 171 .

(5) صبح الامشى ج 1 ص 173 .

وقد بدأت هذه المقاومة منذ القرن الثاني الهجري ، واستمرت فيما تلا ذلك من عصور والجدول الآتي « لكتب لحن العوام » ومؤلفيها - مما عرفته على قدر جهدي - يوضح ذلك :

لقد نظر علماء اللغة اليه من زاوية « الخطأ » فقاوموه بمنف ، ومع ذلك لم ينتصروا في معركتهم معه ، بل أن العكس هو الصحيح ، إذ انتصر اللحن بقلبة الاستعمال وقهر المجتمع اللغوي المتطور باستمرار .

الإشارة الى ما هو موجود	المؤلف وتاريخ وفاته	اسم الكتاب
مطبوع	(172) عني بن حمزة الكسائي	1 - ما يلحن فيه العوام
	(207) يحيى بن زياد الفراء	2 - ما يلحن فيه العامة
	(210) لابي عبيدة معمر بن المثنى	3 - ما يلحن فيه العامة
	(231) لابن نصر احمد بن حاتم الباهلي	4 - ما يلحن فيه العامة
مطبوع	(244) لابي السكيت يعقوب بن اسحاق	5 - اصلاح المنطق
	(248) لابي عثمان المازني	6 - ما يلحن فيه العامة
	(250) لابي حاتم السجستاني	7 - ما يلحن فيه العامة
مطبوع	(276) لابي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة	8 - تقويم اللسان ( ادب الكاتب)
	(290) لابي حنيفة احمد الدينوري	9 - لحن العامة
	(291) لابي العباس احمد بن يحيى ثعلب	10 - ما يلحن فيه العامة
	(300) لابي الهيثام كلاب بن حمزة العقيلي	11 - ما يلحن فيه العامة
	(377) هاشم بن احمد الحلبي	12 - اللحن الخفي
مطبوع	(380) لابي بكر محمد بن الحسن الزبيدي	13 - لحن العوام
	(395) لابي هلال العسكري	14 - لحن الخاصة
مطبوع	(501) عمر بن مكي الصقلي	15 - تثقيف اللسان
مطبوع	(516) لابي محمد القاسم بن علي الحريري	16 - درة الفواص
مطبوع	(539) لابي منصور الجواليقي	17 - تكملة اصلاح ما تفلط فيه العامة
مصور	(597) لابي الفرج عبد الرحمن الجوزي	18 - تقويم اللسان
مصور	(600) ابن هشام محمد بن احمد اللخمي	19 - لحن العامة
مصور	(727) محمد بن احمد بن جامع	20 - ناظر انسان عين الماني
	(733) لابن هاني محمد بن علي السبتي	21 - لحن العامة
مخطوط	(911) جلال الدين السيوطي	22 - غلطات العوام
مطبوع	(940) لابن كمال احمد بن سليمان	23 - التنبيه على غلط الجاهل والنيبه
مطبوع	(971) رضى الدين محمد بن ابراهيم الحنبلي	24 - بحر العوام فيما اصاب فيه العوام
مصور	(1000) مصطفى بن محمد خسرو زاده	25 - غلطات العوام
مطبوع	(1307) محمد صديق بن حسن البخاري	26 - لف القمط لتصحيح ما استعملته العامة
مصور	( ) ( مجهول )	27 - افلاط العوام والخواص
مصور	( ) ( مجهول )	28 - سقطات العوام
مطبوع	(1322) حسن توفيق العدل	29 - اصول الكلمات العامية
مطبوع	( ) حسن علي البدرابي	30 - تهذيب العامي والحرف

## ملاحظات على مقاومة العلماء اللحن :

1 - بنظرة واحدة الى الجدول السابق الذي امكنني معرفة مافيه من كتب لحن العوام - الموجود منها والمفقود - يتضح ان مقاومة العامة كان شديدا في القرن الثاني والثالث والرابع ثم بدأ يقل تدريجيا بمد ذلك ، ولهذا دلالة ، حيث قاوم العلماء بقوة مظاهر اللحن في الفترة التي كانت اللغة موردا للدراسة ، والصلة قريبة بين المادة التي امتقدوا تقاوتها حين ترد من البادية ، وبين تنقية الفصحى المستخدمة في الحضرة قياسا عليها .

2 - كان من المفترض ان تعتمد التنقية على استقراء لاستعمال اللغة التي يماصرها المؤلف والتي تستعمل بين الناس في عصره ، ولكن الذي حدث - فيما اطلمت عليه منها - لم يكن كذلك ، بل اعتمد اللاحقون على جهود السابقين ، فكانوا ينقون غالبا ما اورده من سبقوهم في كتبهم وعلى سبيل المثال اعتمد ابن قتيبة في « تقويم اللسان » على ابن السكيت في « اصلاح المنطق » واعتمد الزبيدي في « لحن العوام » على من سبقه من العلماء ، فكان يذكر اسماءهم دون كتبهم - واعتمد ابن الجوزي في « تقويم اللسان » على كتب من سبقوه ، وذكر في مقدمة الكتاب انه جمع فيه ما رآه مبددا في كتب من سبقوه ، وانتخب من ذلك ما تم به الجاوي دون ما يشذ استعماله ويندر ، ونقل السيوطي كتاب ابن الجوزي بومته ، ونسبه لنفسه تحت عنوان « غلطات العوام » .

3 - يلاحظ انه يقصد بالعوام والعامة فيما اطنمت عليه من تلك الكتب الناس العاديون بدليل النص احيانا على الخواص والخاصة ، ولكن الذي قصدوه بالتنقية هو اللغة الفصحى بعد ان أصبحت تستعمل في مستوى خاص ، وتسرب اليها « لحن العوام » فبقيت النسبة الى العوام ، وان كان المقصود بذلك ما حدث في اللغة الفصحى التي يستعملها الخاصة ، وبذلك نفهم قول الزبيدي ( في مقدمة كتابه « لحن العوام » ص 8 ) « فهذا مما انسده العامة عندنا ، فأحاولوا لفظه او وضعوه غير موضعه ، وتابعهم على ذلك الكثرة من الخاصة ، حتى ضمنتها

الشعراء الثعاعهم ، واستعمله جلة الكتاب ومنية الخدمة في رسالهم ، ولتأقوا به في محافلهم ، فرأيت ان أنبه عليه ، وأبين وجه الصواب فيه » .

وعلى ذلك فانه لا معنى للتكلف بتوجيه معنى (العامة) الى «عامة العلماء» كما حاول ذلك بعض الدارسين في العصر الحديث .

4 - تمنيت ان اجد في احد هذه الكتب حديثا من « اللحن » فكرة وموضوعا ، لكن لم تتحقق لي تلك الامنية في احدها ، اذ يتجه الحديث ليها مباشرة - بمد مقدمة قصيرة - الى ايراد الكلمات وبيان خطئها او صحتها امتناذاً منى النقل في غالب الاحيان كما سبق ذلك .

5 - ومع نظرة الى هذه الجهود الطيبة المخلصة في الجدول السابق - والى غيرها مما لم امره - يتساءل المرء : هل نجحت كل هذه الجهود في حل قضية اللحن ، وايقاف تياره المتدفق ؟

تسأل يتضح المقصود منه في الفقرة التالية ان شاء الله .

### نظرة النحاة الى اللحن بين القواعد والاستعمال :

ان تحديد نظرة النحاة الى اللحن امر يسير لا يمر فيه ، فقد نظروا اليه من زاوية « الخطأ » واعتبروه انحرافا عن الطريقة الصحيحة التي ينبغي ان ياتي عليها النطق العربي السليم ، ولم يؤخذ في الاعتبار لديهم قوة الاستعمال وقهره ، وما يترتب على ذلك من تطور وتغير ، فان اللغة - شأنها شأن الظواهر الاجتماعية كلها - تتطور باستمرار في معانيها وبنيتها وتراكيبها ولا تخضع طويلا للقواعد المنسقة والنظام الجميل ، لان اللغة نظامها الذي يفرضه استعمالها بين المتكلمين بها ، وعمل الباحث اللغوي ملاحقة التطور لا مصادره ، وملاحظته لا تجميده ، فان المصادرة والتجميد لا يمكن تحقيقهما بالنسبة للغة نفسها ، وان امكن ذلك بالنسبة لدراستها ومن يدرسونها .

ونظرة النحاة لما اسماه « اللحن » من زاوية « الخطأ » كان سندها « القواعد الحادة » التي وضعوها والزموا انفسهم بها ، وان لم يستطيعوا فرضها على الاستعمال المتطور باستمرار .

ويمكن توضيح ذلك وتأيبده بالامور الثلاثة الآتية :

- 1 - جهود النحاة فى مقاومة اللحن ودورانها حول القواعد .
- 2 - خضوع النحاة انفسهم لسطوة اللحن مع انهم حراس القواعد .
- 3 - التصاعد الذى قام - واستمر قائما - بين القواعد المصنوعة وواقع الاستعمال .

لقد ارتبطت بداية النحو بحدوث اللحن ، والروايات التى رويت عن ذلك كلها تقر هذه الفكرة صراحة او تمثيلا بوصف صورة النطق الملعون فيه والذي كان الدافع المباشر لوضع القواعد، ويبدو ان هذه الصلة بين القواعد واللحن فى فترة البداية ظلت قائمة بعد ذلك مع تقدم الزمن ونضج الدراسة ، وهى صلة قوامها التنافر بين القواعد وما خرج من هذه القواعد من مظاهر اللحن ، على ان تكون القواعد - من وجهة نظر النحاة - هي الحكم فى هذه المظاهر ، او بعبارة اخرى ان القواعد هي « الصواب » وان ما لا يتفق معها من مظاهر الاستعمال هو « الخطأ » .

\* قال ابن سلام : اضطرب كلام العرب ، فغلبت السليقة ولم تكن نحوية ، فكان سراة الناس يلحنون ، ووجوه الناس ، فوضع ابو الاسود باب الفاعل والمفعول به والمضاف وحروف الجر ، والرفع والنصب والجزم (1) .

\* وروى القفطى عن ابي الاسود قال : دخلت على امير المؤمنين علي - عليه السلام - فاخرج لي رقعة فيها ( الكلام كله اسم وفعل وحرف جاء لعنى ) قال : فقلت : ما دعائك الى هذا ؟ قال : رايت فسادا فى كلام بعض اهلي ، فاحببت ان ارسم رسما يعرف به الصواب من الخطا ، فاخذ ابو الاسود النحو من علي - عليه السلام - ولم يظهره لاحد (2) ، ثم اظهره ليما بعد .

وينبغي التوقف فى فهم هاتين الروايتين عن نشأة النحو عند عبارتين فيهما هما ( غلبت السليقة ولم تكن نحوية ) و ( رايت فسادا فى كلام بعض اهلي فاحببت ان ارسم رسما يعرف به الصواب من الخطا ) فان هاتين الروايتين تؤيدان ما نزعناه من طبيعة الصلة بين القواعد والسليقة غير النحوية التى يطلق عليها « اللحن » منذ البداية ، واتخاذ القواعد - منذ البداية ايضا - سلطة للتمييز بين « الصواب والخطا » كما قال - عليه السلام - ان صحت نسبة الرواية الثانية .

وقد بقي هذا الفهم نفسه قائما على مدى الزمن ، اذ طبقة الدارسون ، وخضع له الناطقون بل ازداد مع تقدم الزمن قوة وثباتا ، وفى الوقت نفسه اطرده نمو طرفي القضية من « القواعد » و « السليقة غير النحوية » فزادت مؤلفات النحو تضخما ، وفى الجانب المقابل كان اللحن يزداد انتشارا ، وحين الف سيبويه « كتابه » كان اللحن فى الحضر خطرا صرف العلماء عن لغته الى البداية .

كما انه بالاطلاع على الكتب التى الفت نصا فى مقاومة اللحن - مر جدول عرضها فى الفقرة السابقة - يتضح فيها هذا الفهم نفسه الذى يجعل القواعد مقياسا للصواب فيما رسم باللحن والخطا من معاني الكلمات وينبئها وتراكيبها ، ويتبين ذلك فى طريقة العرض او فى ذكر القواعد احيانا لتصحيح الخطا .

\* قال الكسائي : وتقول : شكرت لك ونصحت لك ، ولا يقال : شكرتك ونصحتك وقد نصح فلان لفلان وشكر له ، هذا كلام العرب (3) .

\* وقال ابن السكيت : باب ما جاء على ( فعلت ) بالفتح مما تكسره العامة او تضمه يقال ( ما عسيت ان اصنع ) قال الله جل ذكره ( فهل عسيتم ان توليتم ) ولا ينطق منها باستقبال (4) .

\* وقال الحريري : يقولون : انضاف الشيء اليه وانفسد الامر عليه ( وكلا اللغتين ليستا من كلام

- (1) طبقات فحول الشعراء ص 12 .
- (2) انباه السرواه ج 1 ص 5 .
- (3) ما تلحن فيه العامة ص 25 .
- (4) اصلاح النطق ص 188 .

العرب ، وإنما يقال (اضيف الشيء اليه ولسد الامر عليه ) فلا يأتي منهما ذلك (1) .

فهذه نماذج يتبين منها كيفية الطريقة التي سلكها العلماء في جهودهم لمقاومة اللحن ، وإذا كان الكسائي يصحح الخطأ قائلاً ( هذا كلام العرب ) فابن السكيت والحريري يذكران « القواعد » مقاييس التصويب للاستعمال الموسوم بالخطأ واللحن ، فقامدة ابن السكيت في المثال السابق هي « ما جاء على فطت بالفتح مما تكسره العامة او تضمه » وقامدة الحريري « المطاوعة تأتي من الثلاثي المتعدي ، أما الثلاثي اللازم فلا يأتي منه ذلك .

هذا هو طابع الجهد الذي بذل في مقاومة اللحن ، يلخصه انه « التمسك بالقواعد أساساً للتصويب ، وإيراد ما لا يوافق من مادة اللغة للحكم عليه بالتخطئة »

أما الأمر الثاني الذي يدل على سطوة القواعد على اذهان الدارسين بمقدار ما يدل على سطوة الاستعمال على السنة المتكلمين فيمثل تلك المفارقة الطريفة من أفراد من علماء النحاة نسب إلى بعضهم انه كان يتقعر ويغرب في حديثه على الناس حتى لا يكاد يفهم ، ونسب إلى البعض الآخر انه كان يلحن في كلامه ، وربما اعترف أحياناً بوقوع ذلك منه ، ولم يعتبره شيئاً يفض من شأنه .

وعلى الرغم من أن هذين المظهرين يمثلان طرفين متباينين في الكلام فإن النظرة المدققة تكشف انهما يصدران من ظرف لغوي واحد هو « سطوة الاستعمال » الذي وصفه ابن سلام بقوله « غلبت السليقة ، ولم تكن نحوية » فقد دلح ذلك بعض النحاة التي التظاهر أحياناً من التمكن من تلك السليقة النحوية : فأهربوا في حديثهم ولغموه ، واستسلم آخرون للاستعمال اللغوي الشائع ، فخضعوا له معترفين بأنه الواقع وأن خالف قوانين النحو وقواعد الإعراب .

ومن النحاة الأول الذين روي عنهم التقصير والإعراب عيسى بن عمر الثقفي ( ت 149 ) الذي روي عنه ذلك في كتب الطبقات التي ترجمت له ، ومن ذلك هذا الموقف الطريف الذي كان يضرب فيه بالسياط لوديعه أضعافاً وهو يصيح قائلاً : « والله

ما كان إلا أياً في أسفاط قبضها مشاروكه (2) » وروي ذلك أيضاً عن أبي علقمة النحوي الذي ساق السيوطي منه المشهد الطريف التالي :

\* مر أبو علقمة يوماً على عبد حبشي وصقلي ، فإذا الحبشي قد ضرب بالصقلي الأرض فأدخل ركبتيه في بطنه ، وأصابه في عينيه ، وهض أذنيه ، وضربه بمصا فشجه ، وأسأل دمه ، فقال الصقلي لأبي علقمة : أشهد لي ، فمضوا إلى الأمير : فقال له الأمير : بم تشهد ؟! فقال : أصلح الله الأمير ، بينا أنا أسير على كودني ، إذ مررت بهذين العبدتين ، فرأيت الاسم قد مال على هذا ، لا يقع ، فحطاه على فدفد ، ثم ضغطه برضفتيه في أحشائه ، حتى ظننت انه تدعج جوفه ، وجعل يلج بشنائه في جحمتيه يكاد يفتؤهما ، وقبض على صناريه بيديه ، وكاد يحدهما ، ثم علاه بمنسأة كانت معه ، فمجنفه بها ، وهذا اثر الجريان عليه بينا .

فقال الأمير : والله ما فهمت مما قلت شيئاً .

فقال أبو علقمة : قد فهمناك ان فهمت ، واعلمناك ان علمت ، وأدبت اليك ما علمت وما أقدرد ان اتكلم الفارسية .

فجهد الأمير في كشف الكلام حتى ضاق صدره ، ثم كشف الأمير رأسه ، وقال للصقلي : شجني خمسا ، وأعطني من شهادة هذا (3) .

وقد يشير هذا المشهد ابتسامة الشفقة على أبي علقمة الذي يحمل نفسه هذا الجهد الثقيل من التقعر والإعراب ، أمام الأمير الذي يعاصره ولكنه لا يستطيع فهم كلامه ، لانه يمثل الاستعمال العادي للكلام ، ومع ذلك فإن لأبي علقمة من ظروفه الخاصة ومن ظروف عصره ما يقدم له المصدر في طريقته الفريية ، فهو نحوي قام في نفسه ان الكلام العادي داخله الفساد ، ومن حقه ان يستعمل طريقة توالق لغة النحو التي يستنبط منها قواعد .

أما لحن علماء النحو في حياتهم المادية واعترافهم بذلك ، فهو مظهر مهم ، إذ ان في هذا الاعتراف نفسه دلالة على سطوة الاستعمال حتى

(1) درة الفواص ص 22 .

(2) معجم الإدياء ج 16 ص 149 .

(3) بنية الوعاة ج 2 ص 139 .



على النحاة الذين يناصبون القواعد ، ويفرضون سلطانها على الاستعمال اللغوي .

\* اورد الاصفهاني ان مروان بن ابي حفصه وجه كلامه لحمد الرواية في حضرة الوليد بن يزيد فقال : ما كلام هذا في مجلس امير المؤمنين وهو لحانة !! فتهاقت الشيخ ، ثم قال : يا ابن اخي ، انا رجل اكلم العامة ، واتكلم بكلامها (1) .

\* ودخل الفراء يوما على الرشيد ، فتكلم بكلم لحن فيه ، فقال له جعفر بن يحيى : يا امير المؤمنين انه قد لحن ، فقال الرشيد للفراء : اتلحن يا يحيى !! فقال : يا امير المؤمنين ، ان طباع اهل البدو الاعراب وطبعا اهل الحضرة اللحن ، فاذا حفظت او كتبت لم اللحن ، واذا رجعت الى الطبع لحننت ، فاستحسن الرشيد كلامه (2) .

\* وقال ابو الطيب اللغوي : كان على المدني لا يغير الحديث وان كان لحننا ، الا ان يكون من لفظ النبي ( ص ) فكانه يجوز اللحن على من سواه (3) .

فهذه المواقف المتناثرة - على قلتها - قد اعترف فيها بعض النحاة على انفسهم باللحن وانهم يخضعون له جريا على استعمال بقية الناس ، لكنهم في مجال الدراسة ، لم يأخذوا ذلك في الاعتبار ، بل حكموا القواعد في ذلك ، وحكموا على مظاهر اللحن بالخطا

اما الامر الثالث والاخير - فيما نحن بصدده - فهو التصدع بين القواعد المصنوعة واستعمال اللفظة ؛ وهذا امر حدث مبكرا ، ونقلت اليها بعض نماذجه في المشاحنات التي كانت تحدث بين العلماء والشعراء ، ومن ذلك ما حدث بين ابي اسحاق والفردق وبين الاخفش وشار وبين ابن خالويه والتمثلي - ونماذجه اشهر من ان تذكر - وفي هذه المواقف - على قلتها - يتمثل ايضا الصراع بين القواعد في يد النحاة والاستعمال اللغوي الذي لا يخضع لتلك القواعد .

وإذا كانت تلك المواقف القليلة تمثل هذه الظاهرة فقط ، فان واقع الامر اخطر من ذلك وأكثر ، اذ ان مظهر الصراع بين القواعد التي استمسك بها النحاة والاستعمال اللغوي الذي لا يتوافق مع تلك القواعد - على الاقل منذ القرن الثاني الهجري - ترتب عليه

اتساع الهوة دائما بين طرفي القضية ، فعانى النحاة من ذلك قديما ، وما زالت هذه المعاناة قائمة حتى اليوم .

اخيرا :

يتضح من عرض الامور الثلاثة السابقة لموقف النحاة مما اطلق عليه « اللحن » تأييد ما افتتحت به هذه الفقرة من رؤياهم له من زاوية « الخطا » وان الذي وجه هذه الرؤية هو مقياس (القواعد لا الاستعمال) وضع ذلك في جهودهم اللغوية ، وبعض مواقف حياتهم الشخصية ، وفي هذا الفراق والخصومة القائمة بين كلا الامرين القواعد والاستعمال .

تلك وجهة نظرهم ، اما مدى توفيقهم فيها ، فله حديث آخر في القسم الاخير من هذا البحث ان شاء الله .

— \* —

### « التصحيف والتحريف »

معنى التصحيف والتحريف وعلاقتها باختلاف المعنى والبنية والاعراب :

« التصحيف والتحريف » لفظتان بينهما صلة حميمة ، وقد جمعهما العلماء احيانا عنوانا لمؤلف واحد ، كما فعل ابو احمد السكري في مؤلفه « شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف » وكما فعل من بعده الصفدي في كتابه الموسوعي « تصحيح التصحيف وتحريف التحريف » وقد شرح « التهانوي » في « كشاف اصطلاحات الفنون » المقصود منهما في مكان واحد .

وتعود الصلة بين اللفظتين - مع التجاوز منها فيهما من جنبات لفظي - الى ان مجال البحث فيهما - كما فهمه المتقدمون من العلماء - واحد ، وهو البحث من الخطا الذي يحدث في نطق الكلمة العربية نتيجة الخطا الاملائي في قراءة الحروف المكتوبة ، سواء اكان الخطا في نطق الحروف او شكلها او تبادلها الامكنة .

فالتصحيف والتحريف مظهران للخطا في قراءة الخط المكتوب ، ويترتب على ذلك نطق كلمة جديدة

(1) الاثاني ج 14 ص 110 .

(2) صبح الامشى ج 1 ص 173 .

(3) مراتب النحويين ص 6 .

قد تكون صحيحة لفة ومعنى ، لكنها غير الكلمة التي قصدنا صاحبها حين نطق بكلامه ، أو نطق كلمة ذات بنية معرفة في صيغتها ، ويرجع احرافها الى التغيير في حروفها أو الشكل الداخلي لها ، بل ان مؤلفات « التصحيف والتحريف » قد ورد فيها أحيانا أمثلة - وان كانت قليلة - لاختلاف اعرابية تعود أيضا الى الخطأ في الكتابة أو التوسع في فهم ما يطلق عليه « التحريف » بما يشمل ما يطلق عليه اسم « اللحن » ويتضح هذا المظهر الأخير في كتاب الصفدي ( ت 764 ) « تصحيح التصحيف وتحريف التحريف » إذ اورد كثيرا من أمثلة « اللحن » في كتابه ، ويؤيد هذا نصا ما أورده في بداية كتابه من انه نقله من السابقين عليه ، وقال « لم يكن لي في هذا غير التهذيب وحسن الصرف في التيوب الا ما يتخلل انحاء ذلك من تفسير وتقييد وتقرير وتمهيد » وقد حدد ما اعتمد عليه من كتب السابقين ، وكان منها ما هو نص في « لحن العوام » مثل « ما لحن فيه العامة » للزبيدي ، و « تثقيف اللسان » لابن مكى و « درة الفواص » للحريري ، و « تقويم اللسان » لابن الجوزي الخ .. فما صنعه الصفدي يحتمل امرين ، الرغبة في تضخيم كتابه فأورد فيه ما يتعلق « باللحن » أيضا وان لم يكن من « التصحيف والتحريف » أو التوسع في فهم المقصود « بالتحريف » بما يشمل اللحن أيضا ، وسواء اكان هذا أو ذاك ، فان ما يهم في هذا الموضوع ان الصفدي قد اورد في كتابه كثيرا من أمثلة « اللحن » وان غيره من سابقيه قد ورد ذلك عنهم على قناعة .

التي رويت امثلتها من علماء القرن الثاني الهجري مما نقلته ابنا كتب الادب العامة أو الكتب المؤلفة نصا في موضوع « التصحيف والتحريف » فيما بعد ، وقد جاءتنا هنا وبين تلك المؤلفات مقتصرزة على تلك اللفظة وحدها واقدماها - فيما اعلم - ما صحف فيه الكوفيون لنصولي ( ت 335 ) و « التنبيه على حدوث التصحيف » لحمزة بن الحسن الاصهاني ( ت 360 ) ويبدو ان كلمة « التصحيف » استخدمت وحدها اولا في وصف خطأ القراءة لما هو مكتوب ، ثم انضمت اليها فيما بعد كلمة « التحريف » مع تداخل المقصود منهما أو تخصيص كل واحدة منهما بنوع من خطأ القراءة كما سيتبين بتفصيل فيما بعد .

هذه مقدمة عامة عن لفظتي « التصحيف والتحريف » من حيث الصلة بين معنيهما واستخدام العلماء لهما ، لندرج من ذلك الى بيان الامور الآتية عن هذين المظهرين من مظاهر الخطأ في اللغة من وجهة نظر علمائنا الاقدمين :

- 1 - التحديد النظري لمعنى التصحيف والتحريف .
- 2 - سبب وقوع ذلك في الكتابة العربية خاصة .
- 3 - علاقة مظاهر الخطأ التي تربت على ذلك في المعنى والبنية والاهراب والبحث في اللغة مع انها تعود اصلا الى رسم الكتابة .

قبل سوق ما ذكره العلماء عن معنى « التصحيف والتحريف » ينبغي اولا معرفة انواع التغيير التي يمكن ان تحدث في قراءة الكتابة العربية ، ويترتب عليها رواية خاطئة ، وهي اربعة يوضحها للجدول الآتي :

لكن « ليس معنى ما تقدم ان كل واحدة من اللفظتين « التصحيف والتحريف » لم تكن تستخدم الا ومعها الاخرى ملازمة لها ، فان لفظ « التصحيف » استخدمت وحدها كثيرا في مواقف الخطأ في القراءة

تغيير في الازراب	تغيير في الحروف		تغيير في الحركات		تغيير في النقط	
	تغييرها	الكلمة	تغييرها	الكلمة	مقابلهما	الكلمة
لو قرأ قاريء في الصحف ( ان الله	الماء	المايس	جمهور	جمهور	الثوم	الثوم
يسريء ميين	بفغان	بفغان	دمشق	دمشق	الفصل	العسل
المشركين ورسوله)	راجل	رجل	عفريت	عفريت	رجل	رحل
يكسر اللام في (رسوله)	بن الله من	بن الله من	رصاص	رصاص	غم	غم
	وجيل	وجيل				
	شواته	سراينة	قنديل	قنديل	القاضية	القاضية

وهذه النماذج السابقة قد ورد لها مواضع ونصوص تؤيدها ليس هنا مجال ذكرها ، فان القصد من ذكرها هنا ايضاح انواع التغيير تمهيدا لايراد آراء العلماء من التصحيف والتحرير .

\* قال حمزة الاصفهاني : اجاب اهل المعاني في معاني التصحيف فقالوا : ان يقرأ الشيء بخلاف ما اراده كاتبه ، وعلى غير ما اصطلح عليه في تسميته ، واما لفظ ( التصحيف ) فان اصله ، - فيما زعموا - ان قوما كانوا اخذوا العلم عن الصحف من غير ان يلقوا فيه العلماء ، فكان يقع فيما يروونه التغيير ، فيقال عندها : قد صحفوا فيه ، اي : رووه عن الصحف ، ومصدره ( التصحيف ) مفعوله ( مصحف ) فاما ( المصحف ) فمأخوذ من ( اصحف اصحافا ) واصله ان الصحف جمعت فيه ، فقيل : قد اصحف - ولو سمي التصحيف تغييرا او تبديلا جاز (1) .

\* قال ابو احمد العسكري : فاما معنى قولهم ( الصحفي والتصحيف ) فقد قال الخليل : ان الصحفي الذي يروي الخطأ على قراءة الصحف باشباه الحروف . (2)

\* قال المراكشي : المخالفة في الحديث ان كانت بتغيير حرف او حروف مع بقاء صور الخط ، فان كان ذلك بالنسبة للنقط فالمصحف ، وان كان بالنسبة للشكل فالمحرف . . واما اللحن فلما يرجع للاهراب (3)

\* قال التهانوي : قالوا : مخالفة الراوي للثقات ان كانت بتغيير الحروف او الحروف مع بقاء صورة الخط في السياق ، فان كل ذلك بالنسبة الى النقط يسمى ذلك الحديث ( مصحفا ) وان كان بالنسبة الى الشكل والاهراب سمي ( محرفا ) - وابن الصلاح وغيره سمي القسمن ( محرفا ) . (4)

ومن هذه الروايات الاربعة لا يخرج المرء بتحديد حاسم موحد للمقصود بكل من التصحيف والتحرير ،

ولا يخرج كذلك بتحديد حاسم لما يشملته التصحيف والتحرير من انواع التغيير السابقة اذ ان الذي يفهم من حديث الاصفهاني والمسكري عن ( التصحيف ) انه كما قال اولهما نصا « ولو سمي التصحيف تغييرا او تبديلا جاز » فهو اذا مطلق تغيير او تبديل في قراءة الشيء على غير ما اراده كاتبه - كما عرفه الاصفهاني - او رواية الخطأ على قراءة الصحف باشباه الحروف - كما عرفه السكري رواية عن الخليل - سواء اكان ذلك في النقط او الشكل او الحروف .

لكن المراكشي يفرق فيما تناوله من التغيير الذي يحدث للحديث بين التصحيف والتحرير ، بان اولهما يكون في تغيير النقط فقط ، واما ثانيهما فيكون في الشكل ، ويتوقف عند هذا الحد ويزيد عليه التهانوي ان التحريف يكون في الشكل والاهراب ايضا ، وان بعض العلماء يسمي كل ما يحدث له تغيير « محرفا » .

والحقيقة ان المطلع على نماذج التصحيف والتحرير في مصادرها يلاحظ ان الامثلة التي ترد عن ذلك يتنوع التغيير فيها دون ان ينص على ان هذا تصحيف وذاك تحريف وان منها ما يتعلق بتغيير النقط او الشكل او الحروف واحيانا الالهراب .

ومن كل ذلك نستخلص الامور التالية دون تحديد حاسم :

اولا : ان كلا من التصحيف والتحرير يطلقان على رواية الخطأ الناتج عن قراءة الرسم العربي ويدلان على مطلق التغيير والتبديل فيما يتعلق بذلك .

ثانيا : يكاد يكون من المتفق عليه ان التغيير الذي يحدث في النقط والشكل والحروف املايا يندرج تحت « التصحيف والتحرير » اما التغيير في الشكل الالهرابي فالظاهر انه خارج عن هذا الموضوع ، فنماذجه قليلة في كتب المتقدمين الخاصة بالتصحيف والتحرير وان اكثر الصفايدي - وهو متأخر - من

- (1) التنبية على حدوث التصحيف ص 36
- (2) شرح ما يقع فيه التصحيف والتحرير ص 13
- (3) منح المغيث في جواز اللحن في الحديث ص 5
- (4) كشف اصطلاحات الفنون ج 3 ص 836 .

هذه النماذج في كتابه « تحرير التحريف » لأنه اعتمد فيه على كتب لحن العوام ، ونقل منها ما ضخم به كتابه .

ثالثا : ان كلمة « التصحيف » في هذا النوع من الخطا ذات شهرة تفوق في ذلك كلمة « التحريف » وربما كان ذلك لقرب دلالتها على هذا النوع وارتباطها بسببه الذي هو القراءة من الصحف .

رابعا : الفرق بين « التصحيف والتحرير » و « اللحن » ان النوع الاول يتعلق بالخطا المترتب على قراءة الخط ، اما الثاني فمتشبه خطأ النطق لعدم اجادة اللغة .

لكن ما هو السبب او الاسباب التي جعلت هذه الظاهرة تحدث في رواية اللغة ؟!

والاجابة على ذلك بمباراة مختصرة هي « يرجع السبب الاساسي في ذلك الى الخط العربي وقابليته للتصحيف » ذلك ان حروفه متشابهة يميز بينها النقط التي توضع فوقها او تحتها كما ان التمييز بين صيغ الكلمات يعتمد على الحركات التي اصبحت تابعة للحروف ، ولم تعتبر في الرسم العربي حروفا مستقلة ، بل رسمت اولا تقطعا فوق الحروف وتحتها وبين يديها ولما حدث الامجاء - وهو تقطع كذلك - ومع تقدم الزمن ، أحدث الخليل بن احمد رسمها ابعاضا للحروف ، كما هي الصورة المستعملة حتى اليوم .

فالخط العربي في البداية لم يكن منقوطة ولا مشكولا ، كما حدث ذلك في المصاحف الخمسة التي كتبها عثمان للامصار ، واستمر الناس يقرؤون فيها - على هذه الصفة - ما يقرب من نصف قرن من الزمان ، وفي عهد عبد الملك بن مروان - حين كثرت الخطا والتغيير - وضع نصر بن عاصم - فيما يقال - النقط على الحروف للدلالة على ما سمي فيما بعد « بالشكل » ثم كان الامجاء الذي يميز بين الحروف المتشابهة كالجيم والحاء مثلا ، وكانت نقط الشكل تباين في شكل المداد نقط الامجاء ، واستمر الامر كذلك على ما فيه من مشقة - الى ان أحدث الخليل - فيما يقال - الشكل الذي يرسم على هيئة ابعاض الحروف فاراح الناس بذلك من مشقة الكتابة بنوعين من النقط .

فطريقة الرسم العربي في تشابه حروفه وتمييزها بالنقط وضبط نطقها بحركات - لم يكن لها رسم خاص بها مطلقا ، ثم رسمت منفصلة وتابعة

للحروف العربية - يعود اليها المسئولية الاولى من ظاهرة « التصحيف والتحرير » .

ومع ذلك فقد عاون على اشاعة هذه الظاهرة وخطرها « النساخ » الذين يسمون « بالوراثين » اولئك الذين تنحصر جهودهم في احترام الوراثة لنسخ الكتب العلمية وبيعها للناس ، ولم يكن النساخ والوراقون غالبا على علم باللغة ، حتى يتمكنوا من التمييز بدقة بين كلمة وكلمة يعتمد التمييز بينهما على نقطة او حركة او تغيير احد الحروف ، وحينئذ يحدث الخلط بين ذلك في الكتابة ، وهذا نفسه معنى التصحيف والتحرير .

ويشارك في هذه المسئولية ايضا - على قلة - علماء اللغة انفسهم ، فان احدهم قد يفهم الكلمة فهما خاما يسوفه السباق له ، او يسوفه هو لنفسه ، ثم يقرأها ويرونها كما فهم وان لم يتفق ذلك الفهم مع اصلها وما قصدت منها صاحبها ، ويترتب على ذلك ايضا حدوث التصحيف ، وما يؤدي ذلك عناية مؤلفات « التصحيف والتحرير » بايراد تصحيحات العلماء في نسم خاص بهم ، بل ان بعض هذه المؤلفات يفرق بين البصريين والكوفيين في ذلك ، فيذكر اشهر العلماء من الفريقين مع ذكر نماذج من تصحيحات كل واحد منهم ، وأول اثر في هذا الموضوع - فيما اعلم - هو كتاب الصولي ، وعنوانه « ما صحف فيه الكوفيون » وقد اورد حمزة الاصفهاني في كتابه « التنبيه على حدوث التصحيف » نسا خاصا للعلماء سماه « تصحيحات العلماء في شعر القدماء ص 68 وما بعدها » وعدد من علماء المصريين خمسة وعشرين عالما ، فاورد نماذج من تصحيحاتهم ، وفعل مثل ذلك ابو احمد العسكري ، نجعل نسا خاما لـ ( ما وهم فيه علماء البحرين ) ونسما آخر من « ما وهم فيه علماء الكوفيين » .

لهذه الامور الثلاثة السابقة - الرسم العربي والنساخ وهم العلماء - يعود اليها مجتمعة مسئولية « التصحيف والتحرير » وان كان الرسم الكتابي اعظمها مسئولية في ذلك .

✽ قال حمزة الاصفهاني : الذي ابدع صور حروف كتابة العرب لم يفهمها على حكمة ، ولا احتاط لمن يجيء بعده وذلك انه وضع لخمسة احرف صورة واحدة ، وهم ( الباء والتاء والثاء والياء والنون ) .

وجه الحكمة فيه أن يضع لكل حرف صورة مبانسة  
للاخرى حتى يؤمن عليه التبديل. (1)

\* وقال الجاحظ عن تحريف النساخ : لربما  
اراد مؤلف الكتاب أن يصلح تصحيحا او كلمة ساقطة  
فيكون انشاء عشر ورفات من حر اللفظ وشريف  
المعاني يسر عليه من امام ذلك ذلك النقص ، حتى  
يرده الى موضعه من اتصال الكلام . . . . ثم يصير هذا  
الكتاب بعد ذلك نسخة لانسان آخر فيفسر فيه الوراق  
الثاني سيرة الوراق الاول ، ولا يزال الكتاب تتناوله  
الايدي الجانية والامراض المفسدة حتى يصير غاطا  
صرفا وكذبا مصمتا (2) .

\* وقال ابو احمد المسكري : فلاحتراس من  
التصحيف لا يدرك الا بعام عزيز ورواية كثيرة وفهم  
كبير وبمعرفة مقدمات الكلام وما يصلح أن يأتي بعدها  
مما يشاكلها ، وما يستحيل مضامته لها ومقارنته بها ،  
ويمتنع من وقوعه بعدها ، وتمييز هذا مستعصب  
عسر (3) .

فهذه النصوص الثلاثة متجمعة تحتوي على  
العوامل التي يحدث بها التصحيف والخطأ في رواية  
اللغة بناء على ذلك ، وأخطرها ما ذكره الاصمغاني من  
« اتخاذ الصورة الواحدة في الكتابة للدلالة على  
الحروف المتعددة » وهذا - في فهمي - نموذج للشباب  
بين الحروف في الصورة .

ترتب عليه التفسير والتبديل الذي هو معنى  
التصحيف والتحريف بصورة عامة تشمل هذا النموذج  
وغيره من مظاهر التفسير في الكتابة .

والجاحظ يصور بمرارة واسف ما يحدث  
لنصوص والمؤلفات من جنابة ونساذ بسبب تداولها  
بين النساخ - ومن ذلك التحريف طبعا - وما يعانیه  
المؤلف - ومثله المحقق - من مشقة اذا اراد اصلاح  
ما فيد او اكمال ما نقص .

و ضمانات الاحتراس من التصحيف تلخص  
- من النص الاخير - في كثرة الرواية وسعة الفهم  
واليقظة لسياق الكلام اوله وآخره ، وكل ذلك - كما

قال المسكري - مستعصب عسر حتى على العلماء ،  
ولا غرابة اذن في حدوث التصحيف منهم .

اما الفكرة الثالثة والاخيرة في هذه الفقرة فهي  
بيان الصلة بين خطأ التصحيف والتحريف - الذي  
يرجع في نشأته اساسا الى الرسم الكتابي - والبحث  
في اللغسة .

ان الذي يرد على الذهن لاول وهلة ان هذا النوع  
من الخطأ يتعلق بالرسم الاملائي وقصور الكتابة  
العربية ، وينبغي بحثه في هذا النطاق ، ولا شأن لذلك  
بدراسة اللغة التي تنجبه أصلا الى النطق لا الكتابة ،  
ويتفرع على ذلك ان الخطأ الذي يوجه باحث اللغة اليه  
اهتمامه هو خطأ اللغة حين تنطق ، أما الخطأ الذي  
ينود للكتابة ، فيتكفل به ما سماه ابن قتيبة في كتابه  
« ادب الكاتب » تقويم اليد .

ذلك امتراض وارد ، وفيه كثير من الحق ، فان  
قضية التصحيف والتحريف تعود الى الرسم العربي  
قبل أي شيء آخر ، ولو كان الامر مقتصر على ذلك  
ما كان لها مكان في البحث عن الصواب والخطأ في  
اللغة ، لكن خطأ الكتابة لم يقتصر عليها ، بل تعدى  
ذلك الى اللغة المنطوقة ، وبدا ذلك في مظهرين :

الاول : ان رواية اللغة مشافهة كان لها صلة  
قوية بالكتابة .

الثاني : ان قراءة الكتابة - وهي نطق - حملت  
اخطاء التصحيف والتحريف في معاني الكلمات وبنياتها،  
بل ومخالفة قواعد النحو أحيانا .

ان رواية اللغة بطريقة علمية منظمة بدأت نشاطها  
في القرن الثاني الهجري ، وأول الرواة العلماء - فيما  
هو مشهور - أبو عمرو بن العلاء ( ت 154 ) وحماد  
الرواية ( ت 155 ) ، وقد عاصروهم وجاء بعدهم رواية  
اللغة الذين يعود الفضل الى جهودهم الرائدة في جمع  
التراث اللغوي القديم كله ، ومن المعروف ان هؤلاء  
العلماء الرواة لم يقتصروا في رواية اللغة على ما  
عاصروهم فقط ، بل رووا الكثير من العصور التي  
سبقتهم في الجاهلية والاسلام مما لم يعاصروه ، ولم  
يسموا قائله ، وقد وصلهم ذلك من طرق متنوعة كان

(1) : التشبيه على حدوث التصحيف من 36 .

(2) : انظر : العيون ج 1 ص 79 .

(3) : شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف من 2 .

اهمها - كما قرر ذلك الباحثون في العصر الحديث (1) - ما كان مدونا بالرسم الكتابي وما دامت الكتابة لنصوص اللغة كالت مصدرنا للرواية الشفهية التي تظاهر بها العلماء ، فقد انعكس خطأ التصحيف والتحرير بداهة على تلك الرواية الشفهية نظقا وقد اورد حمزة ابن الحسن الاصبهاني في كتابه « التنبيه على حدوث التصحيف » عبارة منطقية من ارسطو تقول « كل كتابة تتشابه صور حروفها ، فهي على شرف تولد السهو والغلط والخطأ فيها ، لان ما في الخط دليل على ما في القول ، وما في القول دليل على ما في الفكر وما في الفكر دليل على ما في ذوات الاشياء » (2) ويصح فهم معنى هذه العبارة بطريقة اخرى بان نقول : ان ما في ذوات الاشياء يعكس على الفكر ، وما في الفكر يعبر عنه القول والخط يثبت التعبير بالقول ويحافظ عليه ، ويمكن الرجوع اليه حين ارادة النطق به مرة ثانية ، فاذا احتمل الخط الغلط والخطا والوهم ، ظهر ذلك في النطق .

ويؤيد هذا الفهم النظري السابق ما حدث فعلا في كتب التصحيف والتحرير ، اذ ان وصفها لتحرير العلماء وتصحيقاتهم فيما اوردته من مواقف وامثلة جاء صريح الدلالة على ان ذلك قد حدث نظقا لا كتابة ، وسماها لا رسما .

ومما ساقه حمزة الاصبهاني عن العلماء المصحفين نصا قوله :

\* ابو عبيدة : روى بيت امرئ القيس :

تجاوزت احراسا واهوالا معشرا  
على حراس لو يسرون مقتلى

اي : اظهروا ، والصواب في رواية الاصمعي ( لو يسرون مقتلى ) ومعناها : يظهرون .

\* ابو زيد : حكى ابن دريد عن ابن حاتم قال :

انشدت الاصمعي :  
( جايا ترى بيله مسجعا )

فقال : صحفت ، وانما هو ( ترى قليلة مسجعا )  
ثم قال : من انشدك ؟ قلت : اعلم الناس لتفاضل عنى -  
وانما عنى ابو حاتم ابا زيد .

\* اللحياني : املى اللحياني ( مثل استمان بدقنه ) فقام اليه ابن السكيت - وهو حدث - فقال يا ابا الحسن ، انما تقول العرب ( مثل استمان بدقته ) لان البعير اذا رام النهوض استمان بجنبه ، فقطع الاملاء . (3) .

فالرواية والانشاد والاملاء كلها من صفات المشافهة لا من صفات الكتابة ، مما يدل على ما نحن بصدده من ان التصحيف والتحرير وان كان منشؤهما الرسم والكتابة ، فقد حمل خطأهما نطق اللغة وروايتها

ولقد سبق ان مظاهر التصحيف والتحرير تكون في تبادل الحروف المتميزة بالنقط ، او الشكل الذي يحدد نطق هذه الحروف ، ويفرق بين الصيغ ، او وضع حرف مكان آخر واحلاله محله مما يفسر نطق الكلمة ، وينتج من ذلك احيانا مخالفة بعض الظواهر النحوية وان كان ذلك قليلا .

والذي يترتب على تبادل الحروف المتميزة بالنقط في التصحيف حدوث كلمات جديدة ذات معنى مخالف لما اراده منتج النص اصلا ، وقد تكون الكلمات المجردة من التصحيف لا معنى لها على الاطلاق ، وانما هي هراء لغوي لا يفيد شيئا .

اما تغيير شكل الحروف فيترتب عليه في النطق امثلة جديدة تتدرج تحت صيغ صرفية مخالفة لما كانت عليه قبلا ، وقد تخرج عن صيغ الصرف ومقتضيات اللغة اصلا ، فيحكم عليها بالخطا ، والاول من هذين النوعين انحراف في المعنى ، والثاني انحراف لغوي في بنية الكلمات .

وتغيير الحروف غير المميزة بالنقط يترتب عليه ايضا كلمات جديدة ذات معنى مغاير لما قصده منها صاحبها الاصلي ، او كلمات مجردة البنية يحكم عليها ايضا بالخطا .

(1) انظر : مصادر الشعر الجاهلي ، فقد تفصل البحث كله بانها طرق نقل اللغة الى العلماء ومنها الكتابة . وساق لذلك ادلة مقنعة .

(2) التنبيه على حدوث التصحيف ص 37 .

(3) انظر : السابق ص 69 و 77 و 93 على التوالي .

ففي النموذج الاول ترتب على تغيير نقط الحروف وجود كلمتين هما ( تعتر ) و ( تمنز ) تنازع حولهما الشيباني والاصمعي ، وكلاهما صحيح لفة ومعنى .

اما النموذج الثاني فان تغيير نقط حروف الكلمات فيه أنتج كلمات لا معنى لها حتى ظنها الجاحظ كلاما « بالمبرانية » وقدم للمعلم بسببها النصح الساخر قائلا « ايها المعلم ، انك ضائع بهذا البلد .

### ثانيا : التغيير في شكل الحروف :

\* قال خلف الاحمر : انشد المفضل للمخبل :

واذا لم خيالها طرقت  
هيني ، فماد شئونها سجم

فقلت : انما هو ( طرفت ) فلج ساعة ، ثم رجع عنه (3) .

\* قال ابو احمد العسكري : ومما يقع فيه التصحيف حتى شك في ذلك بعض العلماء ، فجعل له تفسيراً آخر - روى أن النبي (ص) أتاه الملكان ، فسقا بطنه ، ثم قال احدهما ( ايتني بالسكينة ) فرواه بعضهم ( ايتني بالسكينة ) بكسر السين على أنها مؤنث ( سكين ) وانما هي ( السكينة ) بفتح السين والكفاف غير المشددة .

قال : وقد فسره ابن الانباري على انه لفة في (السكين) واكثر اهل اللغة لا يرفون ادخال الهاء فيها، وهذا ذهاب عن الصواب (4) .

ففي النموذج الاول غيرت ( طرفت ) الى (طرقت) فوجدت كلمة جديدة ، وكل منهما تختلف عن الاولى في الصيغة الصرفية ، علاوة على ما غير من النقط فيها ، وكل منهما صحيحة من حيث الصيغة والمعنى .

اما الثاني فان التصحيف بتغيير الحركات أنتج كلمة ليست من اللغة ، وحكم عليها العسكري بانها « ذهاب عن الصواب » .

واما ما يترتب على التصحيف والتحرير من خطأ النحو ، فيبدو اذا حدث التغيير في شكل آخر الكلمة او استخدام اداة في تركيب لغوي لا يطلبها المعنى النحوي له ، وهذا الصنف وان كان قليلا الا انه يمثل جانبا يستحق الدراسة والاهتمام .

واليك نماذج قليلة تمثل الاصناف السابقة واحتمالاتها :

### اولا : التغيير في الحروف المميزة بالنقط :

\* عن ابي عمرو الشيباني قال : كنا بالرقبة فانشد الاصمعي :

عننا باطلا وظلما كما تمنز عن حجرة الربيض الطباء  
فقلت له : انما هي (تعتر) من العتيرة . والعنز : الدبح ، فقال الاصمعي ( تمنز ) اي : تطمن بالمنزرة ، وهي الحربة ، وجعل يصيح ويشغب ، فقلت : تكلم كلام النمل واصب ، والله لو نفخت في شبور يهودي ، وصحت الى التناد ، ما نفعت شيء ، ولا كانت الا (تعتر) (1) .

\* وعن الجاحظ قال : مررت بمعلم وهو يلقي صبيا :

يا ابا الفياش جنسى  
اخرج الفتيان غشا

لبش في الارض اياس  
شربوا املج مشا

فقلت : بالمبرانية هذا ؟ قال : لا ، هو بالعربية ، فلما تأملته اذا هو مكتوب :

يا ابا المباس حبسى  
اخرج الفتيان عشا

ليس في الارض اناس  
شربوا املج منسا

فقلت : ايها المعلم ، انك ضائع بهذا البلد ، قال : نعم ، قدور ومرزايق (2) .

(1) المزهج ج 2 ص 359 - شرح ما يقع فيه التصحيف والتحرير ص 93 مع اختلاف سير .

(2) محاضرات الادباء ج 1 ص 63 .

(3) التنبيه على حدوث التصحيف ص 78 .

(4) تصحيف الحديث ص 126 .

### ثالثا : التغيير في الحروف غير المنقوطة :

\* روى الاصمعي بيت « أوس بن حجر »

اجون تدارك ناقتي بقرالها  
واكبر ظني ان جونا سيفعل

قال ابن الاثيري : صحف الهمي ، انما هو  
( تدارك ناقتي بقرالها ) اي : ما دمت اطمع فيها (1).

\* ورد في كتاب « دليل لغة العرب » الكلمات  
الآتية والتعليق عليها .

الماس - الماذ تحريف

ببغان - ببغفلن تحريف (2)

وفي النموذج الاول واضح الفرق بين (قرى لها)  
و (قراها) بسبب تغيير الباء باللام، واما الامثلة الاخيرة  
فالصورة الحادثة بالتحريف صورة خاطئة لغويا ،  
فالكلمتان حرفتا نتيجة تغيير السين ظاء في الاولى ،  
وتغيير الباء هينا في الثانية .

### رابعا : ظواهر النحو في التصحيف :

\* عن ابن عمرو قال : انشدت الفرزدق ويده  
في يدي لابن احمر :

فاما زال سرح من معد

واجدر بالحوادث ان تكونا

فلا تصلى بمطروق اذا ما

سرى بالقوم اصبح مستكينا

(1) التنبية على حدوث التصحيف ص 74 .

(2) دليل لغة العرب ص 32 .

(3) شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ص 77 .

فقال لي : ارشدك ام ادعك ؟ قلت : ترشدني ،  
قال : اذا كان ممن يسرى بالحي ، فليس بمطروق  
وانما هو ( اذا سرى في الحي ) فعلت اني افعلت ذلك ،  
ونا الامر كما قال .

وهذا من التحريف لا من التصحيف (3) .

فمن الواضح ان الخطا في الجملة جاء من  
استخدام حرف الجر ( الباء ) في الموضع الذي  
يقتضي فيه المقام حرف الجر ( في ) وهو خطأ يعود  
الى المعاني التي ترد في النحو لاستخدام حروف  
الجر في مواطنها المناسبة ، وقد هلق المسكري على  
ذلك بانه من التحريف لا من التصحيف ، ويبدو ان  
هذا الفهم لما يشمله التحريف من بعض ظواهر النحو  
قد اتسع مداه فيما بعد حتى سوغ ذلك للصفدي في  
القرن الثامن الهجري ان يورد في كتابه « تصحيح  
التصحيف وتحريف التحريف » ما يشمل مظاهر اللحن  
في النطق ، ولا يقتصر في ذلك على النطق المترتب  
على الخطا في الكتابة .

واخيرا :

فان الذي سوغ لنا في البحث من الصواب  
والخطا في اللغة ان نعرض لقضية « التصحيف  
والتحريف » - مع انهما يرجعان اصلا لرسم الكلمات  
وكتابتها - ما تبين مما سبق عرضه من الصلة بين  
الكتابة والرواية الشفهية من ناحية ، وما ترتب على  
الامر من الخطا اللغوي المنطوق في معاني  
الكلمات وبنيتها الصرفية ، وبعض الظواهر النحوية .



# تعليق نقد

علاء الفاسي

الأستاذ بجامعة القرويين وجامعة محمد الخامس

ان هذا البحث طريف وقيم تناول فيه الدكتور محمد عبد قضايا اللحن ، والتصحيف والتوليد والتعريب في ضوء علم اللغة الحديث .

تحدث أولا عن معنى « اللحن » في الكلام العربي والتطور الذي حدث في استعماله ونفى وسائل مقاومته ، فقد عرف اللحن أولا بمعنى الفطنة والذكاء وبالتظرف في الحديث ، حينما يخلط بالكلام الاجنبي او الكلام الذي يعتمد فيه الخطأ .

ثم اطلق اللحن على التورية وهو الذي عمل له ابن دريد كتابه الملاحن .

ثم استعمل اللحن في الخطأ في المعاني . وفيه لف الفاضل بن سلمه كتابه الفاخر « فيما تلحن فيه العامة » .

كل هذه الاطلاقات استعملت في معنى اللحن، فصلها المؤلف واستدل لها ولكنه لم يذكر تاريخ التطور الذي تحدث عنه بالمعنى الدقيق للتاريخ . وعلى كل حال فالبحث يتناول بالذات اللحن بمعنى خروج الكلام الفصيح عن مجرى الصنعة في بنية لكلام او تركيبه او امرابه بفعل الاستعمال الذي يشيع اولا بين العامة ويتسرب بعد الى الخاصة .

ولا شك ان هذا اللحن امر طاريء على اللغة اذ المفروض في كلام العرب هو الصحة وما حاد عنه يعتبر خطأ .

ثم يتحدث المؤلف عن السمات التي يوصف من اجلها الكلام باللحن . ومنها الخطأ في الاضراب كتنصب الفاعل ورفع المفعول . وكذلك وضع الكلمات في غير موضعها وخطأ المعاني كقولهم خرجنا نتشره اذا خرجوا الى البساتين مع ان التنزه هو التباعد من المياه والارياض ، ومنها استعمال الطرب في الفرح فقط والحشمة في الاستحياء .

وقد اوضح المؤلف سر اعتبار هذا لحننا ، وزعم انهم لم يراعوا تطور الدلالة في الكلمة ، مع ان الكلمات ليست احجارا جامدة .

ثم حاول تفسير الخطأ في احوال بعض الحروف محل بعضها كقولهم دخل في غمار الناس ، مع ان العرب تقول دخل في خمار الناس - بالخاء لا بالعين - بالتطور الصوتي . وبعد ان حدد عشرة امثلة تتعلق ببنية الكلمة قال : ان الحكم عليها بالخطأ جاء في ضوء التواعد الصرفية ، ثم اشار الى نهاية العلماء بهذا النوع من الخطأ .

ثم ذكر امثلة مشرة ، لنماذج الخطأ في التركيب لاهراب كقولهم شكرت لك ونصحت لك ، والصواب شكرتك ونصحتك ، وبين ان الكثير منها يتعلق بتأليف التركيب العربي والامر الذي استقر عليه ، وهو من مباحث علم النحو . وقد اكد ان ايراد مثل هذه الاخطاء النحوية في دراسة ( لحن العامة ) ايراد لما حدث في اللغة الفصحى ، ويكون متصورا على اوساط العلماء وان اطلقوا عليهم العامة ، بخلاف النماذج الاخرى فانها تمت مختلف الطبقات .

وقد اوضح صعوبة الوصول الى معرفة تاريخ بدء اللحن وتطوره في العصر الجاهلي ، وان انتقد النحاة بعض المبررات الجاهلية لمغايرتها للقواعد النحوية والصرفية الموضوعتين من بعد .

ولكن اللحن تردد عند العرب مع ظهور الاسلام على انه كان معروفا . وفي عهد الامويين اصبح اللحن ظاهرة خطيرة في استعمال اللغة ، وترتب عنها نشاط علمي متنوع . جاء بامثلة منه كالرحلة للبادية وتأليف الكسائي كتابه الذي لا يزال موجودا بين يدينا ( ما لحن فيه العامة ) . واستمرت موجة اللحن قوية مندفعة ، فالقرن الثالث اقل فصاحة من القرن الثاني واكثر لحنا . وفي القرن الرابع وصل اللحن الى مداه .

فماذا كان موقف علماء اللغة من هذه الظاهرة ؟

نظر العلماء الى هذه الظاهرة من جهة الخطأ ، فقاوموه بعنف ، وبدأت مقاومتهم منذ القرن الثاني ، وهنا جاء بقائمة لاسماء العلماء الذين كتبوا في تقويم اللحن ، تصل حد الثلاثين كتابا .

ثم لاحظ ان هذه المقاومة كانت في القرون الثلاثة الاولى قوية ثم ضعفت بعد .

وقد اعتمد اللاحقون على جهود السابقين ، دون ان يحاولوا استشهادات جديدة وسماحات من العرب غالباً .

وتصدوا غالباً بالعامة الناس العاديين بدليل قولهم الخواص او الخاصة . وجهودهم كلها تنصرف الى تنقية اللغة الفصحى .

لا وجود في هذه الكتب لحديث عن اللحن فكرة وموضوعاً .

ثم يتساءل هل نجحت هذه الجهود التي قام بها اولئك العلماء ؟

وفي فصل خاص يحلل هذا الموضوع ارادة الجواب عن السؤال ، ويقول ان تحديد نظرة النحاة الى اللحن امر يسير ، لانهم نظروا اليه من زاوية الخطأ وامتبروه انحرافاً ولم يأخذوا في الاعتبار قوة الاستعمال وقهره والتطور الذي يمكن تربيته على ذلك . مع ان لحن النحويين انفسهم في الاستعمال دلالة على خطورة الاستعمال . والخلاصة انه يؤكد في النهاية ان ما اطلق عليه النحاة منظور اليه من زاوية الخطأ ، وقبل ان يبين مدى نجاحهم فيما قصدوا اليه ، جاء بفصل في :

معنى التصحيف والتحرير وملاقتهما باختلاف المعنى والبنية والاهراب ، وانتهى الى القول بان مجال البحث في الكلمتين واحد ، وهو البحث عن الخطأ الذي يحدث في نطق الكلمة العربية نتيجة الخطأ الاملائي .

ولم تستعمل الكلمتان دائماً في مكان واحد ، بل في معان لها صلة بالخطأ ، من جهة :

1 - من جهة التحديد النظري لمعنى التصحيف والتحرير .

2 - سبب وقوع ذلك في الكتابة العربية خاصة .

3 - علاقة مظاهر الخطأ التي ترتبت على ذلك .

وقد فصل هذه الجهات الثلاث وارجع السبب في ذلك الى الخط العربي الذي لم يكن منقوطة ولا مشكولة . ثم ميزت حروفه بنقط وحركات منفصلة وتابعة للحروف العربية ، ويسأل كذلك عن هذه

السئلة علماء اللغة الذين يعطون لانفسهم حرية رواية الكلمة كما فهموها من السياق .

فالمسؤول اذن الرسم العربي ، والنسخ ووهم العلماء .

وبعد ان اتى بنماذج تمثل الاسباب السابقة ، عقد فصلا لمقاومة التصحيف والتحريف بأسلوب الرواية وتنقية الاخطاء فذكر تطور ذلك على ما يأتي :

1 - ضبط الكتابة العربية بالنقط والشكل .

2 - ضرورة المشافهة في رواية اللغة .

3 - تنقية الاخطاء بجمعها في مؤلفات .

وقد جاء بانتقادات للعلماء على هذه الاسباب الثلاثة وعدم كفايتها لوفاية اللغة من التصحيف والتحريف .

ولاحظ ان هذا الجانب الذي هو تنقية اللغة بجمع ما صحف وحرف في مؤلفات جانب دراسي بدأ في القرن الرابع الهجري . كتب فيه المؤلفون الذين لم يكتفوا بنماذج التصحيف بل اضافوا الى ذلك تناول قضية التصحيف والتحريف من حيث نشأتها وعواملها .

ثم تساءل : اكان هذا الجهد حلا للقضية ؟

وقبل الجواب من ذلك فقد فصلا :

لمعنى التوليد في الالفاظ ومصادره اللغوية .

1 - ثم جاء بعرض تاريخي للمولد من حيث استعمال اللفظ ودراسة العلماء لمظاهره .

2 - وبالتحديد النظري لمعنى التوليد كما رواه الاقدمون .

3 - وتحدث عن مصادر التوليد في الالفاظ ودراسة العلماء لنماذجه .

وبعد ان فصل هذه الموضوعات تساءل ايضا عن :

مدى توفيق العلماء في مباحث التوليد ؟

وقبل الجواب منه ايضا انتقل الى بحث عن :

حركة التمريب وتطورها استعمالا ودراسة .

وطبعا فانه يعني بالتمريب معناه الاصيل الذي هو ادخال كلمة اعجمية في الكلام العربي وتبنيها ، لا بالمعنى الحديث الذي نستعمله حينما نطالب بتمريب التعليم والادارة مثلا .

وقد بين في هذه الفقرة :

1 - الصورة العلمية لحركة التمريب في الكلام العربي في عصر الاستشهاد

2 - الصورة العلمية لدراسة العرب في الكلام العربي بمد عصر الاستشهاد .

وقد اجاد في بحث الموضوعين وما تفرع عنهما وجود الدخيل في القرآن ، وجاء بقائمة المؤلفات المهمة في موضوع التمريب .

ولاحظ ان التأليف في هذه الظاهرة تأخر نسبيا .

وضمنت فكرة التمهيد لذكر الكلمات العربية بمقدمة علمية تتناول الافكار الخاصة بهذه الظاهرة .

3 - كلمة الدخيل جملة عنوانا لبعض الكتب في موضوع التمريب .

4 - من المؤلفات كتب في التصريب وضعت أخيراً الأمر الذي يدل على أنه لا يريد تناول التصريب في القديم فقط .

- أما الجانب اللغوي فقد عرض فيه نظراً لاقدمين للمعرب وجهودهم في إخضاعه لمسلك الصيغ العربية .

وقد فصل القول في هذا الجانب واتى بتدقيقات مهمة .

ثم تساءل ماذا يستنتج من موقف علمائنا الاقدمين آراء النقل من اللغات الأجنبية ؟  
يتلخص ذلك في امرين :

1 - قصر المعرب على العرب وحدهم الذين عاشوا في فترة زمنية خاصة .

2 - فرض قواعد الصيغ العربية على استعمال المعرب من لغات متعددة .

ولتقييم ذلك أحال المؤلف على القسم الأخير الذي يجب فيه من الأسئلة المتقدمة .  
وفي هذا القسم تناول رأي علم اللغة الحديث من :

1 - اللحن بين محكم القواعد وتطور الاستعمال

2 - التصحيف والتحريف من مظاهر الرسم العربي .

3 - الألفاظ المولدة في ضوء تطور اللغة .

4 - التصريب بين قبود النحاة وحاجة الاستعمال .

وقد فصل آراء العلماء اللغويين المعاصرين في هذه النقط وبين ميزة التسامح التي ظهروا بها آراء المسألة الأولى ، وادلى بآراء اللغويين عرب واهاجم ودعا الى :

1 - تنحية الفكرة القديمة عن المجموعة المدونة فيما لحن فيه العوام واعتبارها تطورا يهدينا الى دراستها في مراحل استعمالها

2 - النظر في هذه المادة ودراستها مع غيرها من النصوص الموثقة في عصرها ليعلم مدى انتشارها في الاستعمال فيقبل منها ما تحقق له ذلك . وتناول بعد ذلك امر التصحيف والتحريف وأبدى إعجابهم بجهود العلماء فيها وقال : ان العلماء بعد ان عرفوا الضعف الموجود في الرسم العربي لم يحاولوا تغييره ، وقال ان الرسم العربي شأن غيره في اللغات الأخرى قد يشتمل على عيوب ، وهذه العيوب ينبغي احتمالها والرضا عنها ارتكاباً لأخف الضررين ، واستدل على ذلك بنص للعالم اللغوي فنديس .

أما من المولد فقد اعتبر ان الألفاظ المولدة مظهر لتطور اللغة .

وان موقف النحاة من هذه الألفاظ قد تحكمت فيه اعتبارات اعترفوا بها ثم استسلموا لها ، وينتقد عليهم خروجهم عن واجب الاستقرار الى الحكم بالإباحة أو المنع على الألفاظ واعتبر ان الحق المعطى لبعض الناس في ظروف معينة ينبغي ان يعمم على كل جماعة وكل عصر فيقبل ما ولدوه من كلمات دعت اليها حاجة اللغة وهدت اليها سليقتها .

ثم انتهى باستخلاص نظرة المحدثين للعوامل الطارئة على اللغة .

1 - اعتبار التطور في اللغة من اساس النظرية الحديثة للمستوى اللغوي ، وتفسير هذا التطور حسب رأي - فيرس - التغيير المستمر بين عناصر اللغة .

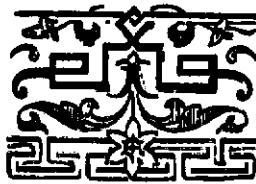
2 - لا تتطابق الكتابة لاية لغة مع نطق هذه اللغة فنحن، كما يقول فنديس، لا نكتب كما نتكلم بل نكتب كما يكتب غيرنا .

3 - ان تغير الظروف الاجتماعية ينمكس تأثيره على الالفاظ من حيث اختفاء بعضها واندثاره وحدث الاضر واستعماله .

4 - نقل الالفاظ من اللغات الاجنبية بخضع للحاجات الاجتماعية المتجددة للناطقين انفسهم ، وهذا امر عادي لا خطر فيه .

اعتبر ان هذا الكتاب يكون بحثا قيما خاضعا لمنهج البحث اللغوي الحديثة متسلسلا في افكاره وموضوعاته وفي الاستنتاجات المترتبة عليها ، وانه استقرأ باختصار مباحث الاقدمين عن العوامل الطارئة على اللغة بكيفية لم يسبق جمعها في كتاب حديث ، ثم اعاد تقييمها على ضوء آراء علماء اللسانيات ، ومباحث العرب التي شغلت اوقات الجامع العربية ازيد من نصف قرن ، ولم يتقدم المؤلف باقتراحات تلقائية في تجديد اللغة خارجة عما ورد على السنة الباحثين المجمعين في الشرق العربي . ويظهر ان المؤلف لم يطلع على بعض البحوث التي قام بها المغاربة المختصون لاسيما في اصلاح الرسم العربي الذي وضعه الاستاذ الاخضر والذي يسميني ان اقول مرة اخرى انه يصلح من ميوب الرسم العربي الشيء الكثير ، كما انه فيما يظهر لم يطلع على جهود مكتب التعريب المغربي ومحاولته لاحصاء كلمات الحضارة واستقرائها والاكتفاء بما هو موجود منها في كتب اللغة او في المجتمعات العربية عن اتخاذ الدخيل الذي ينزع اليه عند عدم وجود الاصيل .

والكتاب بهذه الصفة جيد وجدير لقبوله من اللجنة المحترمة واجازته ، وبالمقارنة مع الباحث الاخرى وآراء المقررين فيها يقع التفاضل وبشم الترجيح ، وان كنت اوصي بكل اخلاص بمجازاة هذا المؤلف على جهده المشرف وطبع رسالته .



# الأضداد في اللغة

الأستاذ حسين محمد (القاهرة)

ونحن ننشر في هذا العدد من مجلتنا القسم الأول من البحث (حول الاختلاف في مفهوم الأضداد) مرجئين إلى العدد المقبل بعون الله القسم الثاني حول (جمع الأضداد وتدوينها) :

هذه الالفاظ جميعا تتحدث عن الأبل وما تعلق بها ، فتعطينا الرسائل اللغوية على الموضوعات . او يكون ذلك الطابع من المصدر السدى وردت فيه ولفت الانظار ، كان تكون فى القراءان او الحديث ، فتعطينا رسائل غريب القراءان ، وغريب الحديث . او يكون ذلك الطابع من ظاهرة لغوية تغلب عليها كان تكون هذه الالفاظ مهمولة ..

ومن الضرب الاخير « الفاظ الاضداد » . فقد كان الذى لفت الانظار اليها ما تتحلى به من ميزة خاصة ، اذ ترد بصورة واحدة ، ولكنها تدل على معان يتقابل منها اثنان تقابلا تاما ..

ولم يكن تدوين الاضداد ليما نعرف من الرسائل اللغوية الاولى ، ولكنه تاخر عنها قليلا . وفى القرن الثانى تنبه اللغويون اليها ، فشرعوا يلتقطونها ، ويشيرون اليها ، ويتحدثون عنها .

وكانت الثمرة الطبيعية اول تدوين للاضداد فى اللغة العربية . وكانت هذه الثمرة الاولى باكورة عدة ثمار : جمعت الاضداد او درستها . وحول هذا الثمار تدور فى الصفحات الآتية : متاملين ، ومتدوقين ، ومقدرين ..

ودعائي الى الله ان يمنحنى القصد فلا أجور ، والقدرة فلا امجر ..

لا يماري انسان اتصال بالصرب او ادبهم او ثقافتهم ادنى اتصال انهم يرتبطون بلفتهم ارتباطا قل ان نرى مثيلا له فى الامم الاخرى ، وان هذا الارتباط جعلهم يلتزمون بها ، ويشعرون بكل تغيير - مهما كانت تفاهته - يجري عليها ، ويحاولون المحافظة عليها ما وسمتهم المحاولة ..

وكانت الثمرة على النحو واللفظة . فقد اخذ العرب يتحدثون فى شيء من مسائلهما منذ وقت مبكر ، لسنا على يقين منه ، بل ربما رجع الى ما قبل الاسلام ، كما تنبئ بعض اخبارهم . ولست اريد ان اضرب فى وادي الاوهام ، او اركن الى الفنون . فما اتحدث عنه فى هذا الكتاب فنى من ذلك ..

فلا جدال ان علماء بالعربية اخذوا يظهرون فى المجتمع ، ويحملون هذه الصفة ، فى القرن الثانى ، بل ربما لا اغالي اذا قلت اواخر القرن الاول . ولم يزد جهد الاولين من هؤلاء « العلماء بالعربية » على مدارس تلاميذهم ، ومناقشتهم . ثم جاء خلف لم يرضوا بهذا الجهد وحده ، وطمحوا الى « التدوين » : تدوين ما قال شيوخهم ، وما وصل اليه جهدهم الخاص ..

وكانت الثمرة - فى المجال اللغوي الخاص - رسائل تحاول ان تجمع الفاظا لغوية ذات طابع خاص . ولا يهم ان يكون ذلك الطابع من معناها ، كان تكون

## تصريف الأضداد

الأضداد ، ولم يزد عليه غير شيء من البسط والشرح والتمثيل والتفريع . قال أبو علي قطرب : « الكلام فى الفاظه بلفظة العرب على ثلاثة أوجه :

1 - فوجه منها - وهو الأعم الأكثر - اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين ، وذلك للحاجة منهم الى ذلك . وذلك قولك : الرجل ، والمرأة ، واليوم ، والليلة ، وقام ، وقعد ، وجاء ، وذهب . اختلف اللفظان لاختلاف المعنيين . وهذا لا سبيل الى جمعه وحصره ، لان أكثر الكلام عليه . وقد نشمر من هذه العبارة الأخيرة ان قطربا لم يسمع بمحاولة الخليل بن أحمد الفراهيدي جمع اللغة فى كتاب العين ، والحق ان القدماء يقولون ان كتاب العين لم يرد الى البصرة من خراسان الا فى زمن متأخر من وفاة قطرب ..

2 - والوجه الثاني اختلاف اللفظين والمعنى متفق واحد . وذلك مثل مير وحمار ، وذئب وسيد ، وسمسم وتعلب ، واتى وجاء ، وجلس وقعد . اللفظان مختلفان والمعنى واحد .. وكانهم انما أرادوا باختلاف اللفظين ، وان كان واحد مجزئا ، ان يوسعوا فى كلامهم والفاظهم ، كما زاحفوا فى اشعارهم ليتوسموا فى أبيتها ، ولا يلزموا أمرا واحدا ..

3 - والوجه الثالث ان يتفق اللفظ ويختلف المعنى ، فيكون اللفظ الواحد على معنيين فصاعدا . وذلك مثل الأمة بريد الدين ، وقول الله : « ان ابراهيم كان أمة قانتا لله » منه .. والأمة : القامة ، قامة الرجل . والأمة من الامم .

ومن هذا اللفظ الواحد الذى يجيء على معنيين فصاعدا ما يكون متضادا فى الشيء وضده . وعلى هذه الصورة وصل قطرب الى لغرضه ، اذ أبان ان هذا المشترك من الكلمات - الذى ذكره سيبويه - نستطيع ان نجد تحته فئتين من الكلمات : فئة تختلف معانيها مثل الأمة ، واخرى يرداد التخالف الى ان تتضاد ، وهي « الأضداد » التى اف من اجلها الكتاب ..

ان من اقدم الامور التى تطلع اليها علماء اللغة العربية الاولون التفرقة بين الانواع التى يمكن ان تنقسم اليها الكلمة . فالقدماء يكادون يجمعون ان علي بن ابي طالب اول من تحدث فى قضايا نحوية ، ويندعب بعضهم انه اكتشف ان «الكلام كله اسم وفعل وحرف ..» (1) .

ولست فى صدد دعم هذا الكلام او دحضه ، انما يفتنى ان القدماء كان فى خلدكم ان تقسيم الكلام العربى كان اول قضية نحوية . واذن فغير غريب ان يكون من اقدم القضايا اللغوية تقسيمات اخرى تنحصر ..

واقدم ما يفتنى من هذه التقسيمات ما أورده سيبويه فى صدر كتابه ، دون ان يبين انقله عن أحد شيوخه أم كان من ابتكاره . والتقسيم الذى أورده ثلاثا أيضا يمكن ان اضمه على النحو التالي .

النوعان من كلامهم :

1 - اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين ...  
نحو جلس وذهب .

2 - اختلاف اللفظين والمعنى واحد ...  
نحو ذهب وانطلق .

3 - اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين ...  
نحو : وجدت عليه : من الموجدة ،  
وجدات : اذا اردت وجدان الضالة ..

والنوع الثانى بالنوع الثانى ما سماه اللغويون (النوع الثالث) والنوع الثالث ما سموه المشترك ..

والنوع الثالث ما دونه سيبويه « كتاب » النحاة فى بيان ما كان طبعيا ان نجد هذا التقسيم (2) . وكان طبعيا بل اوفى فى ان نجد هذا التقسيم فى صدر كتابه الذى الفه فى

نزهة الالباء 2

المزهر للسيوطي 1 : 388 - 9

التضاد ، اذ كان كل متضادين مختلفين ، وليس كل مختلفين ضدين .

### الاختلاف في وجود الاضداد

وقد اختلف موقف اللغويين القدماء من هذا النوع من الالفاظ . فارتضى جماعة منهم وجودها ، واعترف بها ، وتحدث عما يندرج تحتها من الفاظ ، وعلمها احيانا . وكانت هذه الجماعة اسبق في الظهور من معارضتها ، اذ كان منها ابو عمرو بن العلاء والخليل ابن احمد ويونس بن حبيب وتلاميذهم . واستمر المنتسبون اليها في البقاء الى يومنا هذا . اما الجماعة الاخرى فاعترضت على الاضداد ، وانكرتها . ولا نعرف من انتمى اليها من القدماء غير عبد الله بن جعفر المعروف بابن درستويه (7) . وكثر اتباعها في العصر الحديث . فكان منهم عبد الفتاح بدوي كاتب مقالة « ضدان » في دائرة المعارف الاسلامية ( مادة اضداد ) وكان منهم اغلب المستشرقين ، الذين كتبوا المقالات والرسائل الصغيرة في رفض الاضداد .

وبسبب هذا الاختلاف ، اضطر مؤيدو الاضداد الى الدفاع عن وجودها ، والرد على ما قاله المعارضون . ولعل اهم من قام بهذا العمل احمد بن فارس ، وابن سيده ، ومحمد ابن القاسم الانباري . اما الاولان فقد وجدت جندهما الدفاع . واقامه ابن سيده على الجدل العقلي ، فقال لشيخ منكر للاضداد (8) : « هل يجوز منك ان تجيء لفظتان في

وانقل هذا التقسيم من كتاب قطرب الى كتاب اخر في الاضداد ، هو الذي الفه ابو بكر بن الانباري (4) . فقد اورده هذا برمنه في مقدمته ، وازاد اليه بعض التوضيح والاعتراض . فقد روى ان ابن الامرابي اعترض على المترادفات ، وانكرها ، وامن ان كل كلمة منها لها معنى ليس في اختها ، احيانا نعرفه واحيانا لا نعرفه . وارتضى ابن الانباري رأي ابن الامرابي ودعمه بالحجج التي تؤيده . وصرح ابن الانباري ان الوجهين الاولين من الكلام ، اكثر كلامهم » ، اما الاضداد فانفق هو وقطرب على قلتها . .

واذا نظرنا الى حديث قطرب السابق عن الاضداد وجدناه موجزا ومبهما ، لا يعطينا تعريفا شاملا دقيقا لها . وقد حافظت الكتب بمد قطرب على هذا الابهام . فاكفى ابو حاتم السجستاني بان قال في مقدمة كتابه : « ضد الشيء : خلافه وغيره » . وقال ابن الانباري في وصف كتابه (5) : « هذا كتاب ذكر الحروف التي توهمها العرب على المعاني المتضادة فيكون الحرف منها مؤيدا عن ممتين مختلفين » .

وكان ابو الطيب اللغوي هو الذي ازال كل ابهام عن اللفظ ، حين عرفه في صدر كتابه فقال (6) : « الاضداد جمع ضد . وضد كل شيء ما نأفاه ، نحو البياض والسواد ، والسخاء والبخل . . وليس كل ما خالف الشيء ضدا له . الا ترى ان القوة والجهل مختلفان ، وليس ضدان ، وانما ضد القوة الضعف ، وضد الجهل العلم . فالاختلاف اهم من

(4) 6 - 8 .

(5) 1 .

(6) 1 .

(7) ذكر الجواليقي في شرح ادب الكاتب ان ثعلبا انكر الاضداد ، وقال : « ليس في كلام العرب ضد . .

لانه لو كان فيه ضد لكان الكلام محالا ، لانه لا يكون الابيض اسود ولا الاسود ابيض . وكلام العرب

- وان اختلف اللفظ - فالمعنى يرجع الى اصل واحد » (ادب الكاتب 177)

والغريب ان تلميذه ابن الانباري لم يذكر ذلك ، بل اكثر من الرواية في كتابه منه الى درجة تجعل

المرء يوقن ان ثعلبا من القائلين بالاضداد . وروى منه ما يدل على ان ثعلبا اعلن ان اللفظ قد يفيد

مقابل معناه ، لعله من العلل . قال : « قال ابو العباس (ثعلب) : انما جاز ان يقع الظن على الشك

واليقين ، لانه قول بالقلب . فاذا صحت دلائل الحق ، وقامت اماراته كان يقينا . واذا قامت دلائل

الشك ، وبطلت دلائل اليقين ، كان كذبا . واذا اعتدلت دلائل اليقين والشك كان على بابه شك ، لا

يقينا ولا كذبا » ( الاضداد 16 ) .

(8) المخصص 13 : 259 .



وأما ابن الأنباري فقد تناول واحدا من أهم آراء المنكرين للأضداد ورد عليه . بل لعله أهم رأي لهم ، إذ صدر عن راسم ابن درستويه ، واستفلكه جماعات متنوعة .

ولما كانت كتب المعارضين القدماء لم تصل إلينا، كنا مضطرين إلى الاعتماد على حكايات غيرهم عنهم ، وما تساقط إلينا من أقوالهم ، في تصور آرائهم . وتؤكد لنا هذه الحكايات أن المعارضين رفضوا الأضداد جملة ، وانكروا وجودها في اللغة . قال أحمد ابن فارس (12) : « وانكر ناس هذا المذهب وان العرب تأتي باسم واحد لشيء وضده » . وقال السيوطي مصورا لموقف ابن درستويه ، الذي يمد رأس المعارضين القدماء (13) : « قال ابن درستويه في شرح الفصيح : النوء : الارتفاع بمشقة وثقل ، ومنه قيل للتكوب : قد ناه : إذا طلع . وزعم قوم من اللغويين أن النوء السقوط أيضا ، وأنه من الأضداد . وقد أوضحنا الحجة عليهم في ذلك في كتابنا في إبطال الأضداد ؟ فاستفدنا من هذا أن ابن درستويه ممن ذهب إلى انكار الأضداد ، وان له في ذلك تأليفا » .

وعندما نتبع الأقوال التي اتى بها المنكرون لدعم رأيهم لا نجد فيما بين يدينا من مراجع غير أقوال قليلة لا تدل على حقيقة موقفهم دلالة كافية . وأهمها الرأي الذي رد عليه ابن الأنباري ، وجاء ابن درستويه في شرح الفصيح حين قال (14) : « إنما اللغة موضوعة للإبانة عن المعاني . فلو جاز وضع لفظ واحد للدلالة على معنيين مختلفين ، أو أحدهما ضد للآخر لما كان ذلك إبانة بل تعمية وتفطية .. » .

وتتقف هذا القول من ابن درستويه فشان من الناس . أبدا بالفئة المتأخرة في الوجود ، إذ عاشت بيننا في العصر الحديث ، وتقبلت القول في نيسة حسنة ، ودافعت عنه في مواجهة بعض ما وجه إليه

اللغة متفقتان لمعنيين مختلفين ؟ ( يشير إلى المشترك ) فلا يخلو في ذلك أن يجوره أو يمنعه . فان منعه ورده ، صار إلى رد ما يعلم وجوده وقبول العلماء له ، ومنع ما ثبت جوازه ، وشبهت عليه الألفاظ ، فانها أكثر من تحمى وتحصر ، نحو « وجدت » الذي يراد به العلم ، والوجدان ، والغضب ، و « جلست » الذي هو خلاف قمت ، و « جلست » الذي هو بمعنى اتيت نجدا ( وتسمى جنس ) . فاذا لم يكن سبيل إلى المنع من هذا ، ثبت جواز اللفظة الواحدة للشيء وخلافه . وإذا جاز وقوع اللفظة للشيء وخلافه ، جاز وقوعها للشيء وضده ، إذا لُذض ضرب من الخلاف ، وان لم يكن كل خلاف ضدا ..

ولم يلجأ ابن فارس إلى المنطق، والجدل العقلي، في دفاعه عن الأضداد . وإنما اعتمد في أحد رأييه على طبيعة اللغة العربية . فقال (9) : « ومن سنن العرب في الاسماء أن يسموا المتضادين باسم واحد، نحو الجون للأسود ، والجون للابيض » . فالأضداد عنده واحدة من ظواهر اللغة العربية مثل الترادف . واعتمد في رايه الثاني على الرواة الذين نقلوا لنا الأضداد وموقفنا منهم . فقال يصف رأي المعارضين (10) : هذا ليس بشيء ، وذلك أن الذين رووا أن العرب تسمى السيف «مهندا» والفرس «طرفا» هم الذين رووا أن العرب تسمى المتضادين باسم واحد » فابن فارس يوجب أن نوحده موقفنا من هؤلاء الرواة . فان شككنا فيما رووا من الأضداد وجب علينا أن نشك في بقية رواياتهم اللغوية ، وذلك أمر مستحيل . فان وثقنا بما رووا من غير الأضداد، كان واجبا أن نشك بما أوردوه منها . والحق أن ابن فارس كان أكثر توفيقا في دفاعه عن الأضداد ، وأقرب إلى طبيعة اللغة وما تفرضه من مناهج . ويؤسفنا ألا نعرض على كتابه الذي الفه في الدفاع عن الأضداد ، ووصف موقفه من مذهب المعارضين ، في قوله (11) : « وقد جردنا في هذا كتابا ، ذكرنا فيه ما احتجوا به ، وذكرنا رد ذلك ونقضه » .

(9) الصاحبى 97 .

(10) الصاحبى 98 .

(11) الصاحبى 98 .

(12) الصاحبى 98 . المزهري 1 : 387 .

(13) المزهري 1 : 396 .

(14) المزهري 1 : 385 . أضداد ابن الدهان 5 .

تحاول ان تهدف القاعدة التي قامت عليها الاضداد كما استهدف قول ابن درستويه السالف ، بل سير في اتجاه مخالف بعض المخالفة ، يجعلنا نستطيع ان نعلم عليها ونستفيد منها في موضع آخر . ولذلك نرجو عرضها والحديث عنها الى ذلك الموضع ، وننقل الى المحدين من الشرقيين والمستشرقين .

فيبرز امامنا عبد الفتاح بدوي اكثر الرافضين للاضداد تطرفا وتوسعا في رايه ، اذ انكرها انكارا بانا ، واعين : « واننا لتتحدي الذين يرممون ان في اللغة اصدادا ونباهلهم ، بجميع كلمات اللغة العربية ، ان ياتونا بلفظ واحد له معنيان متقابلان بوضع واحد . فان لم يفعلوا ولن يفعلوا - فليس في اللغة تضاد » . وقد اتخذ عبد الفتاح بدوي من قول ابن درستويه اساسا ثم اقام عليه عنته في هذا النفي المطلق للاضداد . قال : « ينبغي الا يعزب عنا ان التضاد مناف لطبيعة اللغة ، وانه لا يسهل التفاهم بين الناس . فمن الصعب ان تقبل ان المعاني الاولية المضادة يتفاهم الناس عنها بلفظ واحد . والصعوبة التي تنشأ من التضاد اكبر جدا من التي تنشأ من الاشتراك » . ورد على ابن الانباري قائلا : « واذا قيل : ان القرائن توضح المراد ، كان هذا تسليما حقا بمنافاة التضاد لطبيعة اللغة ، لان الاعتماد على القرائن ليس من طبيعة اللغات في سداحتها ، وانما هو طور آخر فوق » . ثم قسم عبد الفتاح بدوي الاضداد الى طوائف ، واتبع كل واحدة بما يبطلها في نظره . واعان ان امثالها موجود في اللغات المختلفة ، واتي بشواهد من اللغة الفرنسية .

وقد اجملت دائرة المعارف الاسلامية والدكتور منصور فهمي الادلة التي اعتمد عليها المستشرقون في انكار الاضداد ، فكانت كما يلي :

1 - كانت معظم الكلمات التي اوردها مؤلفو الاضداد معروفة عند العرب بمعنى واحد فقط .

اما المعنى الآخر المضاد له فلم يرد الا في روايات نادرة ، بل روايات جديدة بالشك . ولا ريب ان بعض اللفاظ التي اوردها كتب الاضداد من هذا القبيل ، مثل ذلك ما

من نقد على المصور . قال عبد الفتاح بدوي (15) : « ينبغي الا يعزب عنا ان التضاد مناف لطبيعة اللغة ، وانه لا يسهل التفاهم بين الناس . فمن الصعب ان تقبل ان المعاني الاولية المتضادة يتفاهم الناس عنها بلفظ واحد . والصعوبة التي تنشأ من التضاد اكبر جدا من التي تنشأ من الاشتراك . واذا قيل : ان القرائن توضح المراد كان هذا تسليما حقا بمنافاة التضاد لطبيعة اللغة ، لان الاعتماد على القرائن ليس من طبيعة اللغات في سداحتها . وانما هو طور آخر فوق ذلك » .

اما الفئة الاولى في الوجود فكانت مربية . ولم تقبل القول الا لتستند اليه في الطعن على العرب ، اذ سلمت بصحة القول وصحة وجود الاضداد في مان واحد ، واقامت عليهما من الاحكام ما يتسق مع ما ربه الحاقدة . قال ابن الانباري (16) : « ويظن اهل البدع والزيغ والازراء بالعرب ان ذلك كان منهم لتقصان حكمتهم ، وقلة بلافتهم ، وكثرة الالتباس في محاوراتهم ، وعند اتصال مخاطباتهم . فيسالون عن ذلك ، ويحتجون بان الاسم منبئ عن المعنى الذي تحته ودال عليه ، وموضع تاويله . فاذا امتور اللفظة الواحدة معنيان مختلفان لم يعرف المخاطب ايها اراد المخاطب ، وبطل بذلك معنى تعليق الاسم على المسمى »

وكان رد ابن الانباري على هذه الفئة الشعبية بقوله (17) : « احدهن ان كلام العرب يصحح بعضه بعضا ويرتبط اوله باخره ، ولا يعرف معنى الخطاب منه الا باستيفائه ، واستكمال جميع حروفه . فجاز وقوع اللفظة على المعنيين المتضادين لانهما يتقدمها ويأتي بعدها ما يدل على خصوصية احد المعنيين دون الآخر ولا يراد بها في حال التكلم والاخبار الا معنى واحد . . ومجرى حروف الاضداد مجرى الحروف التي تقع على المعاني المختلفة وان لم تكن متضادة ، فلا يعرف المعنى المقصود منها الا بما يتقدم الحرف ويتاخر بعده مما يوضح تاويله » .

وتساقط البنا من اقوال منكري الاضداد ما يكشف عن ادلة اخرى لهم . ولكن هذه الاقوال لا

(15) دائرة المعارف الاسلامية ، مادة اصداد .

(16) الاضداد 1 .

(17) الاضداد 3 .

ما رواه ابو زيد (18) : « تصدق الرجل : اذا اعطى صدقته . وبعض العرب يقول : تصدق : سال ، والجيد : تصدق : اعطى » . ولكن يجب الا يغيب عن بالنا ان القديما انفسهم - وجامعي الاضداد - هم الذين تقدموا مثل هذا اللفظ ، وابانوا الرديء والجيد منه ، كما نرى في النص السابق ، ومقابله عند ابن الانباري (19) : « يقال : قد تصدق الرجل : اذا اعطى ، وهو المعروف المشهور عند اكثر العرب ، وقد تصدق : اذا سال وهو القليل في كلامهم » وعند ابي الطيب (20) : « قال ابو حاتم : والمعروف عند العرب تصدق : اذا اعطى الصدقة » . وامثال هذا التقدير كثيرة عند ابي حاتم وابن الانباري وابي الطيب خاصة ..

2 - يعوز اكثر ما ذكروا من الاضداد الشواهد الموثوق بها ، حتى قال جيز Gliese انه لم يعثر في الشعر القديم الا على 22 لفظا من الاضداد . وذهب هرفشايد الى ابعد من ذلك . فعقب على قول جيز ملنا (21) ان هذا العدد يمكن ان تقلل منه لو اردادت معرفتنا بالمعاني الاصلية لهذه الالفاظ . وكان ابن الانباري هو الذي لفت المستشرقين الى الشك في الاضداد التي لا يوجد شواهد عليها ، اذ فعل ذلك في الحميم قال (22) : « قال بعض الناس : الحميم من الاضداد ، يقال الحميم للحار ، والحميم للبارد . ولم يذكر لذلك شاهدا ، والاشهر في الحميم الحار .. » . واعلم ان الشاهد هو الدليل على صحة التضاد حين قال (23) : « قال بعض اهل اللغة : الضد يقع على معنيين متضادين ، ومجره مجرى الند . يقال فلان ضدي : اي خلافي ، وهو ضدي : اي مثالي . قال ابو بكر ( ابن الانباري ) : وهذا عندي

قول شاذ لا يعول عليه ، لان المعروف من كلام العرب : العقل ضد الحق ، والايمان ضد الكفر . والذي ادعى من موافقة الضد للمثل لم يقم عليه دليلا تصح به حجته » .

ولكن الحق ان القديما اوردوا كثيرا من هذه الالفاظ ، او كثيرا من المعاني المتضادة ، مهملة . فلم يوردوا لها شواهد البتة ، او اوردوا منها ما يشهد للمعنى المعروف وتركوا المعنى غير الشائع بدون شواهد . مثال ذلك دهور ، وزجور ، ونهوز ، وبحتز ، في اضداد قطرب (24) ، وعنه روتيه بقية كتب الاضداد دون ان تكثرث لاضافة الشواهد (25) . والامر نفسه نجده في اضداد الاصمعي (26) ، وابي حاتم (27) ، وابن السكيت (28) ، وغيرهم . ولكننا يجب ان نحترس هنا ايضا ، فان القديما لم يكونوا يشعرون بوجود ايراد الشواهد على كل ما يسمعون ويروون ، وخاصة اذا كان اللفظ قد سمعوه في غير شعر . بل انهم تخففوا في بعض الاحيان من بعض الشواهد التي كانت بين ايديهم ، كما فعل ابو حاتم عندما حذف بعض شواهد الاصمعي من امثال شواهده ومعبده ومغلب .

3 - لا يجوز الاعتماد في البات التضاد على موضع اللفظ من الكلم دون الاعتماد على الاصل اللغوي لهذا اللفظ . والمراد بهذا النظر الى معنى اللفظ في حال افراده عندما يركب في جملة ، لان السياق قد يكسبه معنى جديدا ، هو الذي يخرج به الى التضاد مثال ذلك قول ابن الانباري (29) : « ومن الاضداد ايضا قول العرب للرجل : « ماظلمتك وانت تصنفي » يحتمل معنيين متضادين : احدهما ما ظلمتك وانت

(18) ابو حاتم 116 . ابن الدهان 14 .

(19) 110

(20) 437

(21) مجلة الجمعية الآسيوية الملكية بلندن ، سنة 1895 ، ص 223 .

(22) 82 . وانظر اضداد ابي الطيب 208 .

(23) 7 .

(24) 11 ، 15 ، 18 ، 49 .

(25) ابن الانباري 255 ، 242 ، 244 ، 257 . ابو الطيب 273 ، 332 ، 650 ، 85 .

(26) 17 ، 30 - 32 .

(27) انظر ادم ، افلت ، مؤدي ، اسد ، اضب ، امعن ، وغيرها .

(28) 196 ، 199 .

(29) 160 .

وكيف وجدت في اللغة . واشترك في هذه المحاولة من افقت آراؤهم ، ومن اختلفت ، ومن اترفوا بها ومن رفضوها ، والقديما والمحدثون ، والعرب والمستعربون . وان كثيرا من الآراء التي اتى بها منكرو الاضداد هي في الحقيقة محاولة لتلميل وجودها ، ولذلك ادخرتها لاوردتها هنا .

واختلفت الطرق التي سلكها العرب وغير العرب في دراسة هذه الظاهرة اللغوية، في كثير من الاحيان. فقد اوغل بعض المستشرقين في تاريخ البشرية وارجع ظاهرة الاضداد الى المصور القديمة، عندما كان العقل البشري في سداخته، فلم يكن يفطن لما يعثره من تناقض . وكان قائل هذه النظرية هو ابل Abel اذ اعلن ان الاضداد هي البقية الباقية مما كان للاوائل من تناقض منطقي في التفكير . ولكن هذا القول لم يلق رواجاً حتى في اوساط المستشرقين ، فرد عليه فيل Veil ورفضه هو وراي لجست Leguest الذي ارجع الاضداد الى اشتقاقات مبالغ فيها ..

وتوسط بعضهم في الايفال ، فلم يرجع الى التاريخ البشري ، واقتصر على التاريخ العربي القديم . فاعلن جيز ان العرب اقترضوا بعض هذه الاضداد من اللغات المجاورة لهم . ولما كان معناها الاصلية قد تختلف ابحاءاته ، فقد ادى ذلك الى التضاد في العربية . وضرب مثالا لذلك بلفظ (جلل). اعلن ان العربية اخذته من اللغة العبرية ، وهو فيها بمعنى دحرج . واذا كان الشيء المدحرج ثقيلاً احياناً ، وخفيفاً احياناً ، فقد اتمدت العربية على هذين الايحاءين المتضادين للكلمة الواحدة واعطتها معنيين متضادين هما عظيم وحقير .

واقصد بعضهم الآخر ، ونظر في تاريخ الجماعة الواحدة ، فوجد فيه من التطور ما يؤدي الى التضاد دون استعارة من الخارج . وضرب جيز مثالا لذلك بالفعلين باع وشري . فقد كان المعنى الاصيل لهما بادل، حين كان البيع والشراء يقوم على مبادلة السلع . فلما هرفت النقود ، اخصص كل فعل منهما بواحد من القائمين بالعمل . ولكن رواسب العهد القديم بقيت حية ، فكانت تلقي ظلالها على معنى الفعلين ، فتخلط بينهما .

واضاف الدكتور منصور فهمي الى المثال السابق مثالا من حياتنا الحاضرة ، يلتبس فيه معنى الفعل لحدائة عهد الناس بالحديث الذي يدل عليه . فلما

ايضا لم تظلمني ، بل مذهبك انصافي ، واستعمال ما استعمله من ترك الظلم لك والحنف عليك والمعنى الآخر : ما ظلمتك لو انصفتني ، فاما اذ لم تنصفتني فاني اكافئك بمثل فعلك . وقول الله عز وجل : ( وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ) يفسر تفسيرين متضادين : احدهما : وما كان الله معذبهم واولادهم يستغفرون، اي قد وقع له في عنقه جل وهز انه يكون لهم ذرية تعبه وتستغفر لهم . فلم يكن ليوقع بهم هدايا يجتث اصلهم ، اذ علم ما علم من صلاح اولادهم وعبادتهم له جل وعلا . والتفسير الآخر : وما كان الله معذبهم لو كانوا يستغفرون ، فاما اذ كانوا لا يستغفرون فانهم مستحقون لفروب العذاب التي لا يقع معها الجوار والاصطلام ، بل تكون كما وقع بهم من عذاب الجذب في السنين التي لحقتهم فاكلوا فيها الجيف والعلهز ، وكذاب السيف والاسر الذي لحقتهم يوم بدر وغيره . والله اعلم بحقيقة ذلك كله واحكم .

ولم يلتفت المؤلفون الاولون في الاضداد لهذا النوع ولم يشيروا اليه في كتبهم . وانما ظهر في القرن الرابع عندما شاعت بين الكتاب الرغبة في الاحاطة والاسراع والايان بما لم يات به السابقون. فتجلى عند ابن الانباري، ومن اخذ منه من اللاحقين عليه كابن الدهان والصفاني .

واضاف الدكتور منصور فهمي الى الاسباب السابقة سببا آخر ، يمكن ان نسميه - اذا احسنا الظن - تساهل اللغويين ، واذا اسأناه سميناه حب التكثر والتزيد والتباهي بما اورده كل منهم من الاضداد . فقد دفعهم ذلك الى ايراد كثير من الالفاظ لا صلة لها بالاضداد ، وانما هي من المشترك ، مثل المعصر والحزور والروح والقلب والهاد وزنا ونسل . الخ .

وتوجد الى جانب ما ذكرت عدة اسباب اخرى اوردها المستشرقون والدكتور منصور فهمي ، ولكن تنقصها صفة العموم التي تحلها بها الاسباب التي ذكرتها . فهي لا تتحدث الا عن نوع واحد من الاضداد، ولذلك ابقياها الى حين معالجة انواع الاضداد ..

### اصول الاضداد

منذ تبنى اللغويون الى الاضداد، واختلفوا فيها، وهم في محاولة دائبة لتعليلها والكشف عن نشأتها ،

عليها حتى يؤدي بها ذلك الى التضاد . مثال ذلك الدفر ، التي تطلق على الرائحة الطيبة والكريمة . وسبب ذلك اختلاف شعور الانسان بها ، اذ يحبها شخص ويرتاح اليها ، ويتأفف منها اآخر وينفر لشدتها ..

اما اللغويون العرب فقصروا جهودهم على الاضداد العربية ، ولم يعمدوا عنها لا تاريخا ولا لغة ولا اجتماعا ، وحاولوا ان يتبينوا اصولها ونشأتها ومسالكها في اللغة العربية نفسها . واكثر الآراء التي رأيتها شيوعا عندهم كون كثير من هذه الاضداد من آثار اللهجات الكثيرة التي ضمتها العربية الفصحى . قال ابن الانباري (30) : « قال آخرون : اذا وقع الحرف على معنيين متضادين ، فمحال ان يكون العربي اوقعه عليهما بمساواة منه بينهما ولكن احد المعنيين لحي من العرب ، والمعنى الاخر لحي غيره . ثم سمع بعضهم لغة بعض فأخذ هؤلاء عن هؤلاء وهؤلاء عن هؤلاء .. فالجون الابيض في لغة حي من العرب ، والجون الاسود في لغة حي اآخر . ثم اخذ احد الفريقين من الاخر .. » . وترددت اصداء هذا القول عند أبي علي الفارسي (31) ، وأبن الدهان (32) ثم الكتاب الحديثين . وكان احد الدعائم التي استند اليها ابن درستويه (33) في انكار الاضداد ..

وأورد ابن الانباري رأيا آخر لم ينسبه الى احد ، وكان له صداه ، أيضا في الدراسات اللاحقة . قال (34) : وقال آخرون : اذا وقع الحرف على معنيين متضادين ، فالاصل لمعنى واحد ، ثم تداخل الاثنان على جهة الاتساع . فمن ذلك الصريم ، يقال ليل صريم . وللنهار صريم ، لان الليل ينصرم من النهار ، والنهار ينصرم من الليل ، فاصل المعنيين من باب واحد ، وهو القطع . وكذلك الصارخ والمستفيث ، سميا بذلك لان المفيث يصرخ بالاغاثة ، والمستفيث يصرخ بالاستفافة ، فأصلهما من باب واحد .. » .

وقد جعل الشيخ محمد الخضري هذا القول واحدا من رأيين له في تعليق نشأة الاضداد قال (35) :

كنا حديثي مهد بالقناطر ( الكباري ) التي تفتح وتغلق ، لم نستطع ان نستقر بعد على اعطاء لفظ واحد لكل من عملها . فنحن نقول : فتحت القنطرة اذا اغلقت في وجه المارة وفتحت للمراكب ، واذا فتحت امام المارة واغلقت طريق المراكب أيضا . وربما اجتمع الى حدائة المهد اختلاف النظرة .. فأصحاب المراكب يقولون عنها : فتحت ، اذا فتحت لهم واغلقت نسي وجه المارة ، وهؤلاء يقولون : فتحت ، ان حدث العكس . ولكن هؤلاء وهؤلاء غير منفصلين ، ومن هنا صار للكلمة معنيها المتضادان والشائعان معا ..

ولم يلتفت فريق الى التاريخ وبحث عن العلة فيمن يراه من جماعة وفرد ، وما يسودهما من ظواهر ذات تأثير في اللغة . فذهب الى ان بعض المعاني المتضادة يرتبط بعضها ببعض وتتدامى في الذهن ، فتؤدي الى الاضداد . مثال ذلك كلمة « البين » التي تطلق على الفراق والاجتماع ، والسبب في ذلك ان الانسان قد يفترق وحده عن جماعته ، وقد يفترق فيلحق بجماعة اخرى . ولا يختلف هذا القول كثيرا عن القول الاخر الذي اوردته دائرة المعارف الاسلامية أيضا منسوبا الى جيز ، ويرى ان الارتباط بين المعنى قد يكون بسبب ان احدهما نتيجة للاخر . مثل خفي البرق بمعنى ظهر واستتر . فان البرق لا يكاد يظهر حتى يخفي ، فالظهور والاختفاء متلاحقان ، وثانيهما نتيجة لاولهما . ومثل « ناء » بمعنى نهض بالحمل في مشقة ، وحمل الحمل . ومثلها ما سماه تداخل الاحداث ، فما كان اآخر الامر قد يكون اولا لغيره ، وما يكون اولا لامر قد يكون اآخر لغيره مثل « السدفة » فهي الوقت الذي بين النور والظلمة ، يمكن ان تختلف فيها القبائل أو الافراد بل سامعوها من اللغويين فيظنوا ان المراد بها النور وحده أو الظلام وحده .

وآخر ما جمعه جيز من أسباب التضاد فموض الانفعالات والمشاعر وانبهامها واختلافها من شخص الى اآخر ، وتسرب هذا الفموض الى الالفاظ التي تدل

(30) 11 .

(31) المخصص 13 : 59 .

(32) 5 .

(33) الزهر 1 : 385 .

(34) 8 .

(35) الاصول 174 .

التخالف عنده تداخل اللغات ، وحذف حرف التعدية من الفعل اللازم لكثرة الاستعمال ، وتشبيه الفصل برادفه في المعنى أو ما نعرفه اليوم باسم التضمين . ويجدر بنا - قبل أن نترك ابن درستويه - أن نلاحظ أنه اضطر إلى الاعتراف بأنه « قد يجيء الشيء النادر من هذا » في اللغة ، فهو لم يستطع أن ينكر وجود هذا النوع المتخالف والمتضاد من الالفاظ في اللغة ، ويعلم خلوها التام منه ، وإنما أعلن أنه « نادر » وله علله ..

واسم أبو علي الفارسي في التعليل أيضا ، فأضاف العلة المجازية . روى ابن سيده عنه (37) : « أما .. اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين فينبغي ألا يكون قصدا في الوضع ولا أصلا . ولكنه من لغات تداخلت ، أو تكون كل لفظة تستعمل بمعنى ثم تستعار لشيء ، فتكثر وتقلب فتصير بمنزلة الأصل » . وقد كان لهذا الرأي الأخير صداه الواسع في تقسيم الأضداد بعد ذلك .

هذه هي الآراء التي جاء بها القدماء في مرض تعليل الأضداد حيناً ، ومعرض انكاره حيناً آخر . وتلقفها عنهم المحدثون فأذوها بينهم مقتصرين عليها تارة ، ومتسعين فيها أخرى ، ومتشعبين بها في أحوال كثيرة حتى خلصوا إلى آراء ما كانت تدور في خلد القدماء ..

وبقي أمامي المذهب الثاني الذي جمعه الشيخ محمد الخضري (38) علة لنشأة الأضداد وهو أن يطلق اللفظ على شيء واحد ، تتغير مظاهره أحيانا ، فلا يفتن السامع إلا إلى المظهر ، فيحكم بالتخالف والتضاد .. مثال ذلك عنده الجون ، فالأصل فيها أن تطلق على السحاب . ولما كان من السحاب الأبيض ومنه الأسود فقد ظن اللغويون أن هذه الصفة مراعاة في اللفظ ، وأنه يطلق على الأبيض من السحاب تارة ، وعلى الأسود أخرى ، فهو إذن من الأضداد . وليس الأمر كما ظنوا ، فلا تضاد في اللفظ لأنه لا يدل إلا على السحاب مجردا من كل صفة ..

وأخر العلل التي عثرت عليها ما أضافه الدكتور منصور فهمي مستقيا إياه من أقوال القدماء عن

أولهما أن يكون بين المعنيين فكرة واحدة تجمعهما فيصالح اللفظ لكل منهما لاشتراكه في هذه الفكرة . وحين يفتل الناس من هذه الفكرة المشتركة يفتنون أن اللفظ من الأضداد . مثال ذلك الصريم ، هو الليل أو النهار . وأصل اللفظ من الانصرام بمعنى الانسلاخ ، فالليل صريم لأنه ينسلخ من النهار ، والنهار صريم لأنه ينسلخ من الليل ، وهما متداخلان . ومصدق ذلك الآية الكريمة : « يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل » .

ونستطيع أن نضع تحت هذا القول ما علل به عبد الفتاح بدوي التضاد في الفعل باع . فقد رأى أن المعنى الأصلي له مد باعه ، سواء للاخذ أو العطاء ، ومن هنا اطلق على الشاري والبائع لأن كلا منهما يفعل ذلك في وقت البيع .

وجاء ابن درستويه بعلمتين أخريين للتخالف والتضاد في معنى الكلمات . قال السيوطي (36) حاكيا قوله : « فلو جاز وضع لفظ واحد للدلالة على معنيين مختلفين أو أحدهما ضد للآخر لما كان ذلك إبانة بل تمعية وتغطية . ولكن قد يجيء الشيء النادر من هذا العلل ، كما يجيء فعل وأفعال . فيتوهم من لا يعرف العلل أنهما لمعنيين مختلفين ، وأن اتفاق اللفظان . والسماع في ذلك صحيح من الصرب ، فالتأويل عليهم خطأ . وإنما يجيء ذلك في لغتين متباينتين ، أو لحذف واختصار وقع في الكلام ، حتى اشتبه اللفظان وخفي سبب ذلك على السامع وتأول فيه الخطأ . وذلك أن الفعل الذي لا يتمدى فاعله ، إذا احتيج إلى تعديته لم تجز تعديته على لفظه الذي هو عليه حتى يغير إلى لفظ آخر ، بأن يراد في أوله الهمزة ، أو يوصل به حرف جر بعد تمامه ، ليستدل السامع على اختلاف المعنيين . إلا أنه ربما كثر استعمال بعض هذا الباب في كلام العرب ، حتى يحاولوا تخفيفه ، فيحذفوا حرف الجر منه ، فيعرف بطول العادة ، وكثرة الاستعمال ، وثبوت المفعول وأمرابه فيه خاليا عن الجار المحذوف . أو يشبه الفعل بفعل آخر متعدد على فيسر لفظه ، فيجري مجراه لاتفاقيهما في المعنى ، كقولهم : حبست ، الدابة ، وحبست ما لا على المساكين » . فأسباب

(36) الزهر 1 : 385 .

(37) المخصص 13 : 59 .

(38) الأصول 174 .

التفاؤل والتطير والتهكم ، إذ ان العرب اعتادوا ان يعدلوا عما يكرهون من الفاظ الى ما يحبون ، فسما الصحراء المهلكة : المفازة من الفوز ، والاعمى : البصير ، والمدوغ : السليم : ونادوا الجاهل بقولهم : « يا هائل » . ولا زلنا نحن نسمع فى المقاهى عبارة : « خذ اللبان » يريدون بها الاكواب الفارغة .

ويؤدى بنا التأمل الدقيق فى العلل التى أوردتها الدارسون للغة العربية نفسها دون محاولة للفلسفة او للثور على نظرية عامة او الإبتداع فى مجاهل التفكير البشري ، يؤدى بنا هذا النوع من التأمل الى ان اهم ما قالوا من طلل واطخره هو « المعنى الاصلي للالفاظ » . فنحن فى حاجة الى اعادة النظر فى هذه الالفاظ ، وفيما ذكره لها اللغويون من معان ، وفى حاجة الى محاولة استكشاف الطريق الى المعنى الاصلي الحق لها ، الذى لا يابه بما حولها من ملايسات ، ولا بما يرتبط بها من ظواهر ، ولا بما يؤدى اليه من نتائج ، ولا بما قطعه اللفظ من اشواط سائرا فى طريق معتدلة اانا ومعوجة داونة . فان وصلنا الى ذلك المعنى ، فمرنا الضوء من كل مكان ، واستبان لنا تطور اللفظ ، وما اكتسبه من معان ودلالات ، وما احيط به من ظلال ، جعلته مشوبا بالفموض احيانا ، وهرضة للخطا احيانا اخرى .

واما بقية العلل فهى اربابا لبعض الطرق التى سلكها اللفظ ليصل الى درجة التضاد مثل اللغات ، والمجاز ، والحذف للتخفيف ، وما اليها من امور . كذلك يؤدى بنا التأمل الدقيق فى الاقوال السالفة الى نتيجة قد تبدو غريبة ولكنها حقيقة واقعة . اعني انه لم يوجد من اللغويين على قدر ما نستطيع الحكم من خلال ما عندنا من معلومات من ينكر وجود الاضداد فى اللغة العربية الفصحى . فمن رفضوا الاضداد رفضوا اصالتها ، اريد انهم رفضوا ان تكون وضمت اصلا للمعنيين المتضادين . ولكن ما خضعت له من تطور بالتوسع او المجاز او الحذف ادى الى وجود لفظين متماثلين فى كل شيء ، بحيث لا يمكن ان نفرق بينهما ونعدهما لفظيين متميزين ، غير ان معنييهما متضادان . كذلك ادى انصباب الروافد القبلية دون تمييز بينها فى تيار العربية الفصحى الى ما اشبه الظاهرة السابقة . فالفصحى بصورتها الراهنة تحتوي على هذا النوع

من الالفاظ ( الذى نسميه الاضداد ) باعتراف جميع القدماء ، وان اختلفت اصول هذه الاضداد ، والطرق التى سلكتها حتى وصلت الى التيار الحالي . .

ويؤدى بنا ايضا الى نتيجة اخرى اجمع عليها المنكرون والمؤيدون ، هي قلة الاضداد فى اللغة العربية الفصحى . فابن درسيويه من المعارضين يصفها « بالشئ النادر » ، وابن الانباري من المؤيدون يقول (39) : « هذا الضرب من الالفاظ هو القليل الظريف فى كلام العرب » .

### شروط الاضداد

اذا كان من انكر الاضداد اطلق قوله فيها ثم اضطر الى التراجع قليلا منه ، عندما استقصى النظر فى اللغة ، او احتوى قوله على ما يومية الى تراجع ، فاننا نجد الظاهرة نفسها عند المؤيدون لوجود الاضداد او بعضهم .

فقد كان فى وهم المؤلفين الاولين ان الاضداد الفاظ قلائل فى اللغة . فحاولوا جمعها وابرأها . وتحت اثر من هذا الاحساس ، ومن هذه الغاية ، جمعوا مع الاضداد الفاظا كثيرة عدوها اضدادا ، وهي واهنة الصلة بها . وكان اكثر المؤلفين وقوعا تحت هذا الاثر قطرب : اول من كتب عن الاضداد .

فاضطر من جاء بعده الى ادخال ما قاله فى كتابه كيلا يتهم بانه فاته من الاضداد شيء (40) . ولكن اهل القرنين الثالث والرابع كانوا قد اخذوا يتخلصون من هذا الاثر ، بعد ان راوا امامهم من كتب فى الاضداد . فآخذوا يمدون النظر فيها ، وفى اضداد قطرب خاصة ، وينقدون منها كثيرا . وعند تتبع هذا النقد استخلصت كثيرا من الشروط يجب ان تتوفر فى اللفظ حتى يدخلوه فى الاضداد . ولكن الامر المؤسف ان هذه الشروط اهملها واضعوها انفسهم ، ولم يطبقوها على كثير من الالفاظ التى دونوها فى كتبهم . وبالرغم من ذلك اتبع هذه الشروط لاهميتها فى توضيح «صورة الاضداد» فى اذهانهم ، وان لم تتحقق كل التحقق فى كتبهم .

واهم مؤلفا يكثر عنده هذا النوع من الاقوال هو ابو بكر محمد بن القاسم الانباري . ونستطيع ان نقول انه يضع الشروط التالية فى اللفظ ليعده من الاضداد :

(39) 6 .

(40) ابو الطيب 688 .

الطاحي مندي من الاضداد ، لانه لا يقال طاح  
للمنخفض ، انما يقال للمنخفض مطحو ومطحى .

واخرج ما كان فعلا واسما ، قال (45) :  
« قال قطرب : من الاضداد قولهم : قد جمرت  
المرأة : اذا جمعت لها كالنومتين من حلق ونسف -  
والنزعة : ما ينحسر من شعر جانبي الرأس الذى  
يمضد نابت فى الجبين - قال : ويقال للدوابية  
جمار . ويقال : للمرأة جماران ، اي ذؤابتان ضفرتا  
مقبتين على وجهها . . فقول قطرب : جمرت المرأة  
ولها جماران من الاضداد ، ليس بصحيح ، لان  
جمرت لا يكون بمعنى وفرت الشعر ، ولا يقال : جمار  
لما يضاد للدوابية ، فلا وجه لادخاله فى حروف  
الاضداد » .

فاين الانباري يشترط ان يكون المعنيان  
المتضادان لفعلين أو اسمين أو صفتين ، وكل منها  
على وزن واحد ، ولا يحكم بالتضاد فيما شذ عن  
ذلك .

كذلك اشترط ان يكون للصفة الواحدة معنيان  
متضادان لا يمكن ردهما الى معنى واحد ، قال (46) :  
« قال بعض الناس : طرب : حرف من الاضداد .  
يقال : طرب اذا فرح ، وطرب اذا حزن . . ولم  
يصب هذا القائل مندي ، لان الطرب ليس هو  
الفرح ولا الحزن ، وانما هو خفة تلحق الانسان فى  
وقت فرحه وحزنه » .

واتفق ابو الطيب اللغوي معه فى هذا الرأي ،  
قال (47) : « ابو حاتم وقطرب قالا : ومن الاضداد  
المائم . فالمائم النساء المجتمعات فى فرح وسرور ،  
والمائم النساء المجتمعات فى غم وحزن ومناحة . . .  
وقال غيرهما : المائم جماعة النساء ، لا واحد لها  
من لفظها ، وسواء كن فى وليمة او مناحة او فى  
غيرهما بعد ان يكن مجتمعات . فعلى هذا ليس المائم  
عنده من الاضداد » .

1 - ان تكون صيغة اللفظ ذي المعنيين  
المتضادين واحدة . فاخرج من الاضداد ما كان احد  
المعنيين لافعل والاخر لفعل . قال (41) : « قال  
قطرب : من الاضداد قولهم : قد خدمت النمل :  
اذا انقطعت مروتها وشسما ، واخدمتها : اذا  
اصلحت مروتها وشسما . وهذا ليس مندي من  
الاضداد ، لان ( خدمت ) لا يقع الا على معنى واحد ،  
وكذلك ( اخدمت ) . ولفظ اخدمت يخالف لفظ  
خدمت . وما لم يمر الا من معنى واحد بلفظه لا يكون  
من الاضداد » . واتفق ابو الطيب اللغوي مع ابن  
الانباري فى هذا الرأي ، بل فى كلامه الذى اذكره  
بعد ما يدل على اتفاقه معه فى حديثه عن كل الصيغ  
التالية .

واخرج ابو بكر منها ما جاء على فعل المجرد  
وفعل المضاعف . قال (42) : « قال قطرب : من  
الاضداد قولهم : بدن الرجل : اذا حمل اللحم  
والشحم ، وبدن تدينا : اذا اسن وكبر وضعف .  
قال ابو بكر : وليس الامر مندي على ما ذكر قطرب ،  
لان ( بدن ) لفظه يخالف لفظ ( بدن ) . وما لا يقع الا  
على معنى واحد لا يدخل فى حروف الاضداد » .

واخرج منها على ما كان على فعل وفعل وفعل  
من الصفات . قال (43) : « قال قطرب : من  
الاضداد قولهم : رجل نجد : اذا كان سريع الاجابة  
الى الداعي اذا دعاه . . ويقال : رجل نجد : اذا كان  
مفرغا من أي وجه . . وقال غير قطرب : يقال  
للمفزع : منجود ونجيد . . قال ابو بكر : وليس  
النجد مندي من الاضداد ، لان العرب لا توقعه الا على  
معنى واحد ، وما كان بهذه الصفة لا يدخل فى  
الاضداد » .

واخرج ما كان على فاعل ومفعول ، قال (44) :  
« ومن حروف الاضداد : الطاحي : المنضجع .  
والطاحي : المرتفع . . هذا قول قطرب . وليس

(41) 276 . وانظر 583 ، 291 ، 298 ، 304 .

(42) 310

(43) 320

(44) 302

(45) 279

(46) 57 . وانظر 58 ، 92 .

(47) 21 . وانظر 37 ، 57 .



ولكن هذه الصورة المتماثلة في ظاهرها مختلفة في حقيقتها ، اذ تختلف الملل ، الصرفية التي وصلت بها الى صورتها . مثال ذلك قوله (53) : « ومن الاضداد - زعم التوزي - قولهم : رجل مود اي هالك ، ورجل مود اذا كان ذا سلاح قويا . قال ابو الطيب : وليس كذلك ، لان المودي الهادي غير مهموز ، وفاء الفعل منه واو ، يقال : اودى الرجل يودي ايداء اي هلك . . والمؤدي من السلاح مهموز ، وفاء الفعل منه همزة ، وانما معناه ذو اداة الحرب . يقال : قد ادى يؤدي : اذا تمت ادائه للحرب وسلاحه . . فهذا غير الاول » . وقد ادى به هذا التصور للاضداد الى ان يخرج منها ما جاء على مفتعل ومفتعل مما عينه منقلبة عن ياء او واو ، اذ لا يبين فيه كسر العين وفتحها لسكون الالف ، مثل الميتاع والمجتاب والمجتاح ، ومن المدغم العين في اللام ، مثل المبتز والمحتز والمختص . ووضعه في اواخر الكتاب (54) .

واخرج مجموعة تماثلها لاختلاف حرف العلة الاصلي فيها ، قال (56) : « قال ابو حاتم : ومن الاضداد قولهم : ضاع فلان ، من الضياع ، وضاع الشيء اذا ظهر وبدا . . قال اللغوي ، واما انا فلا ارى هذا من الاضداد ، لان شرط الاضداد ان تكون الكلمة اواحداً بمينها تستعمل في معنيين متضادين ، من غير تغيير يدخل عليها . وقولهم : ضاع يضيع من الضياع انما الالف فيه منقلبة عن ياء . . وقولهم ضاع اذا ظهر الالف فيه منقلبة عن واو »

بل ذهب الى ابعد من ذلك واخرج من الاضداد ما اختلفت صيغ المجرى والمصدر منه من الافعال ، ومد ذلك اختلافاً بينهما . قال (57) : « ومن الاضداد القانع ، زعموا . قالوا : فالتانع الراضي ، والتانع السائل الطالب . . قال عبد الواحد : ليس هذا عندي من الاضداد ، لان شرط الاضداد ، على ما اصلنا

واشترط ابن الانباري ايضا ان يكون هذان المعنيان فصيحين لا من ابتكار العامة ، قال (48) : « قال قطرب : الحرفة من الاضداد ، يقال : قد احرف الرجل احرافا اذا نما ماله وكثر ، والاسم الحرفة من هذا المعنى . قال : والحرفة عند الناس الفقر وقلة الكسب . وليست من كلام العرب انما تقولها العامة » .

واشترط ان يكون المعنيان معروفين استعملهما العرب في حوارهم . قال (49) : « قال قطرب : من الاضداد : الهجر ، يقال : هجرت الرجل : اذا عرضت عنه ، وهجرت الناقة : اذا شددت في انفها الهجار - وهو حبل - لتعطفها على ولد غيرها . . وهذا القول عندي بعيد ، لان المعنى الثاني لم يستعمل في الناس » .

ويبدو ان ابا الطيب اللغوي يتفق مع ابن الانباري في هذا الرأي ايضا ، وان لم يطن ذلك صراحة « قال مثلا (50) : « قال قطرب ، ومن الاضداد التفل . فالتفل المنتن ، والتفل المتطيب . قال ابو الطيب : المعروف من التفل المنتن » .

واشترط ابو الطيب الا يكون المعنى الثاني مجازيا . فاخرج من الاضداد (51) : « ما جاء مسمى باسم غيره ، لما كان من سببه » مثل العشاء الذي يطلق على الناقة التي بلغت عشرة اشهر في حملها ، والناقة التي نتجت حديثا ، والارة الذي يطلق على الحفرة التي فيها النار ، وعلى النار نفسها .

واشترط في المعنى الا يكون مقلوبا او مزالا عن جهته ، مثل قولهم ناه بي الحمل ، ويا خيل الله اركبي . ولم يعد ذلك من الاضداد (52) .

وانفرد ابو الطيب اللغوي باخراج مجموعة من الالفاظ تتضاد في معانيها وتتماثل في صورتها ،

- (48) 267 .
- (49) 213 . وانظر 288 ، 289 ، 300 ، 346 .
- (50) 113 . وانظر 163 .
- (51) 711 .
- (52) 720 .
- (53) 671 .
- (54) 691 .
- (56) 452 .
- (57) 577 .

أولا ، أن تكون الكلمة الواحدة تنبئ من معنيين متضادين ، من غير تغيير يدخل عليها ، ولا اختلاف في تصرفها . والقانع بمعنى الراضي يقال منه قنع يقنع ، مثل شرب يشرب ، والمصدر قناعة وقنعا وقناها وقنمانا - أي رضي - فهو قانع وقنع . والقانع - بمعنى السائل - يقال منه قنع يقنع مثل صنع يصنع ، والمصدر قنوعا لا غيره . . . وإذا تغير البناء لتغيير المعنى فليس من الأضداد .

ونستخلص من هذا غموض صورة الأضداد في ذهن قارئ أو عدم وجود حدود لها ، وأخذها في الوضوح والجلالة والتحدد على مر الزمن . فكانت اللغات الأولى عنها عند أبي حاتم السجستاني . لم كان كمال البروز والتحدد عند ابن الأنباري وأبي الطيب .

### انواع الأضداد

نستشرف من الحديث السابق عن أسباب الأضداد ، والاختلاف فيها ، وتغير صورها عند اللغويين ، نستشرف منه أن الأضداد لم تضم فئة واحدة من اللفاظ كان من المحتمل أن يتفق عليها العلماء أو على كثير من الظواهر المتصلة بها .

وبالرغم من احساس العلماء المبكر بأن الأضداد ثبات مدة ، لم يجد بين القدماء من حاول أن يصنفها ، تصنيفا قاصرا أو شاملا . وبالرغم من أن المحدثين اضطروا إلى الفصل بين أنواع منها ، ليسهل عليهم رفضها أو تمليلها ، فإنهم لم يرتقوا بهذا الفصل إلى أن يكون تصنيفا .

والرجل الوحيد الذي حاول شيئا من ذلك هو عبد الفتاح بدوي . ويبدو أنه أراد أن يعرض ما فات اللغويين ، فإمطانا تقسيمين لا واحدا . أما التقسيم الأول لصغير ومحكم ، ويقوم على أساس نحوي . فقد جعل الأضداد أربعة أنواع :

1 - أضداد في اللفظ المفرد ، كالقصر للحيض والظهر .

2 - أضداد في الفعل ، كظن للشك واليقين .

3 - أضداد في التراكيب ، كعبارة « تهببت الطريق وتهببني الطريق » .

4 - أضداد في المتعلقات ، كرفب عنه ورفب فيه .

وكان التقسيم الثاني واسعا ، ينظر إلى عدة أسس بحيث تفيب عن النظر الذي يريد أن يصل إليها . فالأضداد في هذا التقسيم تقع في عشر طوائف ، هي :

1 - الأضداد التي تحقق المعنى في كل من المتعلقين على حد سواء ، مثل اطلاق الصارخ على كل من المغيث والمستغيث .

2 - الأضداد التي يكون أحد معنيها حقيقيا والآخر مجازيا ، مثل اطلاق الكأس على الإناء والشراب الذي فيه .

3 - الأضداد الآتية من لهجات مختلفة ، مثل وثب وسجد .

4 - الأضداد التي يصح أن ينسب مصدرها إلى أي من الطرفين ، مثل اطلاق المولى على السيد والخادم .

5 - الأضداد التي تتوافق منطقيا وتختلف تصريفا ، مثل اطلاق المختار على الشخص الذي اختار ، والشئ الذي اختير .

6 - الأضداد الناتجة عن المتعلقات ، مثل رغب فيه ورغب عنه .

7 - الأضداد الناتجة عن السياق ، مثل : « نسوا الله فنسيهم » .

8 - الأدوات والحروف ، مثل ان واذا وإذا .

9 - الأضداد الناتجة من التفسير ، مثل شاة درعاه ، وماتم . .

10 - الأضداد الناتجة من تصف اللغويين ، مثل بعض .

ومهما يكن من شيء ، فإني لن أنسى كثيرا بالتقسيمات النظرية ، وأن كنت لن أهملها كل الإهمال . وأجعل ههنا كلة في تتبع الأنواع المختلفة التي ادخلها مؤلفو الأضداد فعلا . في كتبهم ، إذا اختلف النظر والتطبيق عندهم . وأبدأ بأول مؤلف : قطرب ، إذ توسع في تصور الأضداد أكثر من غيره ، حتى اضطر من جاء بعده إلى نقده . ورفض كثيرا منها . ولن أقف عند التقسيم ، بل أتبع كل صنف بما وجه إليه من نقد . وهالك ما وجدته من أصناف عند قطرب :

أكثرهم من كتبه . وربما كان واجبا ان نستثني ابا عبيدة والتوزي من هذا الحكم ، اذ يبدو انهما اورداه في كتابيهما . قال ابو الطيب (62) : « قال ابو عبيدة : ترب الرجل يترب تريا : اذا لصق بالتراب من الفقر . . واترب الرجل يترب اتروا : اذا كثر ماله ككثرة التراب . فاترب المحتاج ، والتراب الضني » وقال ابو الطيب ايضا (63) : « قال التوري : ومن الاضداد لبث الرجل اذا اعطيته من الثواب ، وابته اذا طلبت نواله . قال ابو حاتم : ولا اعرف الثاني الا توهما » .

1 - الاضداد الحقيقية ، اهي الالفاظ ذات المعنيين المتقابلين عنده . قال (58) : « العقوق للحامل والعقوق للحائل ايضا » . وقال (59) : وقالوا في الاضداد : النحاحة : السخاء ، والنحاحة : البخل . ونازعه غيره في تضاد بعض ما جاء به من الفاظ .

قال ابو الطيب (60) : وحكى : يقال : بردت الماء ، من البرد ، أي جعلته باردا . وبردته : سخنته . قال : وانشدنا بعضهم :

شكت البرد في المياه ، فقلنا

برديه توافقيه سخينا

اما الاصمعي فوجدت عنده مثالا لو صح وضعه مع ابي عبيدة والتوزي . قال (64) : « قسط : جار . واقسط بالالف : عدل لا غير . قال الله جل ثناؤه : ( واقسطوا ان الله يحب المقسطين ) اي العادلين . وقال في الجائرين : ( واما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً ) . . » . ويخيل لي ان في العبارة سقطا ، وتمتها : « قسط : جار ، وقسط : عدل . واقسط بالالف : عدل لا غير » بدليل صبارة (لا غير) وبدليل ورودها على هذه الصورة عند ابن السكيت الذي يروي كثيرا من الاضداد عن الاصمعي ، وورودها كذلك عند غيره .

قال قطرب : معنى برديه في هذا البيت سخنيه . وقال ابو حاتم : هذا خطأ ، انما هو برديه ( يريد : بل رديه ) من الورد ، ولكنه ادغم اللام في الراء ، كما يقرا ( كلا ، بل ران على قلوبهم ) قال ابو الطيب : وهذا الصحيح ، وبه يستقيم معنى البيت . وقال ابن الانباري عن لفظ ماخر (61) : « ومن حروف الاضداد البحتر : يقال رجل بحتر ، اذا كان قصيرا - او بهترا بالهاء ايضا - ويقال : رجل بحتر اذا كان عظيما . ذكر هذا قطرب ، وما علمنا احدا وافقه على ان البحتر يقال للعظيم » .

3 - الالفاظ التي تنفق في الصيغة والحدث،

وتختلف في نسبتها الى من قام به او من وقع عليه . ومثالها فعيل التي تدل على الفاعل والمفعول . قال (65) : « الريبة : التي تربب . والريبة : التي تربت . قال الله عز وجل في الريبة : « وربائبكم اللاتي في حجوركم » .

2- الالفاظ المتضادة المعاني من اختلاف الصيغ ، مثل فعل وافعل ، وفعل وفعل من الالفعال، وفعل وفعل وفعيل من الصفات . وقد اوردت اثنا امثلتها ، وما وجهه اليها ابن الانباري وابو الطيب من نقد، واخرجهما ايهاها من الاضداد . والحق معهما ، ولذلك لم يوافق قطريا من اتى بعده من مؤلفي الاضداد . فاستبعده

(58) 69 . واورده ابو حاتم 224 ، وابن الانباري 114 ، وابو الطيب 495 ، وابن الدهان 15 والصغاني 588 .

(59) 133 . واورده ابو حاتم ، 253 ، وابن الانباري 301 وابو الطيب 650 وابن الدهان 20 ، والصغاني 670 .

(60) 86 . واورده ابن الانباري 31 ، وابن الدهان 7 .

(61) 257 . وارده قطرب 49 ، وابو الطيب 85 ، وابن الدهان 7 ، والصغاني 389 .

(62) 115 . واورده ابن الانباري 291 .

(63) 124 .

(64) 21 . واورده قطرب 98 ، وابن السكيت 293 وابن الانباري 26 وابو الطيب 594 ، وابن الدهان 17 ، والصغاني 625 .

(65) 84 . واورده الاصمعي 80 ، وابو حاتم 174 ، وابن السكيت 353 ، وابن الانباري 85 وابو الطيب 310 ، وابن الدهان 11 ، والصغاني 472 .

الفاعل . والتواب : الله تعالى . قال : ( وان الله تواب حكيم ) . وقال الله تعالى : ( ان الله يحب التوابين ) .

ويجدر بنا ان نلاحظ ان الاحداث التي تدل عليها هذه الالفاظ او اغلبها تحتاج الى الاشتراك ولا يمكن ان تقع لفرد واحد . فالتربية مثلا تحتاج الى من يقوم بها والى من تقع عليه ، والركوب يحتاج الى راكب ومركوب .. الخ .

4 - الالفاظ المشتركة المعنى المختلفة مظاهره ، مثل قول قطرب (69) : « اهنف الرجل اهنافا - بالنون والتاء : ضحك ضحكا وريدا . واهنف أيضا : بكى . ويقال : تهانف الرجل تهانفا : اذا ضحك ضحك تعجب » . وقال ابن الأنباري : « تهانف معناه قال : ايها ايها في البكاء » . والواضح ان الاهناف هو الحركة والصوت اللذين يصدران من الباكسي والضاحك ، فالمعنى واحد ، غير ان مظاهر مختلفة تنصل به . ومثله الماتم كما رأينا .

ولم ينفرد قطرب بهذا النوع ، بل وجد عند غيره من أصحاب الأضداد . فقد أورد الأصمعي في كتابه الطرب ، التي مر بنا نقده ابن الأنباري لها . ولم نجد عند أبي حاتم من هذا النوع الا ما نقله من قطرب وأبي زيد . مثال ذلك قوله (70) :

« قال أبو زيد : طبخته : اذا شويته ، وكذلك اذا طبخته في القدر . قال : ويقال ، طبخته الشمس اي احرقته ، وطبخته في التنور : اي شويته .. » فالمراد بالطبخ الانضاج ، سواء اكان بالشئ ام بالفلي في القدر ..

والغريب ان ابن الأنباري الذي نقده كثيرا مما ذكره غيره ، وقع هو نفسه فيه ، ورضي عن كثير منه . ومن أغرب ذلك قوله (71) : « الصلاة من الأضداد . يقال للمصلي من مساجد المسلمين صلاة ، ويقال لكنيسة اليهود صلاة . قال الله عز وجل :

وصيغة فعول ، قال (66) : « ومنها قول الله عز وجل : ( فلعننا ركوبهم ) لما يركب . وركوب للفاعل أيضا مثل ضروب وقتول . وقالوا : مكان ركوب : اي مركوب . وقال الآخر : « يدمن صوان الحمصي ركوبا » اي مركوبا . طريق ركوب ، وطرق ركب . وقال اوس :

تضمنها وهم ركوب كأنها  
اذا ضم جنبه المخارم رزق

وهو الصف من الناس اذا انقطعوا ، وهو بالفارسية رزده » .

وصيغة فاعل أيضا ، قال (67) : « وقد جاءوا بفاعل في معنى مفعول ضدا ، قالوا : سر كاتم ، اي مكتوم ، وامر عارف ، وما انت بحازم عقل : اي محزوم عقل ، وهذه تظليقة بائنة : اي مبانة فيها . اخبرنا الثقة : ومثله قول الله جل وعلا : ( لا عاصم اليوم من امر الله ) كانه يريد لا معصوم ، و ( هو في ميشة راضية ) من ذلك اي مرضية ، وقد يجوز ان يكون المعنى في راضية لاهلها ... » . ويرى بعض النحويين ان العبارات تحتوي على فاعل مقدر بمد الصفات ، فالتقدير عنده سر كاتم صاحب او سامعه وامر عارفه الناس ... الخ .

ووافق اللغويون قطربا في مد هذا النوع من الأضداد ، وادخلوه في كتبهم . وتنبه بعضهم الى جمع الالفاظ المختلفة تحت صيغتي فعول وفعيل ، وفترتها بعضهم الآخر . فجمع قطرب معظم صيغ فعول وعقد لها عنوانا خاصا بها ، ولم يجمع صيغ فعيل . واتبعه في الأمرين أبو حاتم ، حتى اشتركا في كثير من الالفاظ التي أوردها ( 154 - 163 ) . وجمع الأصمعي بمض صيغ فعول دون عنوان ( 87 - 91 ) واهمل صيغ فعيل . فاتبه ابن السكيت .

واضاف أبو حاتم صيغة فعال ، التي تطلق على الفاعل والمفعول اليه . قال ( 68 ) : « التواب : التائب

(66) 13 . وأورده الأصمعي 90 ، وأبو حاتم 154 ، وابن السكيت 362 ، وابن الأنباري 239 وأبو الطيب

306 ، وابن الدهان 17 ، والصفاني 481 .

(67) 33 - 44

(68) 196 . وأورده ابن الأنباري 338 ، وأبو الطيب 111 ، وابن الدهان 8 ، والصفاني 411 .

(69) 52 . وأورده ابن الأنباري 258 ، وأبو الطيب 683 ، وابن الدهان 21 .

(70) 211 . وأورده أبو الطيب 462 ، والصفاني 554 ، ووضع ابن الأنباري في اشباه الأضداد 185 .

(71) 225 . وانظر 227 .

يا ايها الذين آمنوا لا تقرّبوا الصلاة وانتم سكارى ( اراد لا تقرّبوا المصلى ، هذا تفسير ابي عبيدة وغيره . وقال عز ذكره : ( لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد ) والصوات عني بها كنانس اليهود ، واحدتها صلاة .. فالصلاة موضع صلاة الانسان ، مسلما كان او مسيحيا او يهوديا او غيرهم .

ويتمثل هذا النوع ايضا في اشداد ابي الطيب ، وابن الدهان ، والصفاني ، بسبب كونها تستهدف الجمع ، فهي تورد ما اورده الكتب السابقة عليها . بل اضاف بعضها الفاظا جديدة لم ارها فيما بين يدي من كتب . ومثالها ما اورده الصفاني في قوله (72) : المجباء : التي يتمجب من حسنها ، والتي يتمجب من قبحها . واللفظ عني عن التعليق ، فالواجب ان يفسر بانه التي يتمجب منها ، سواء كان ذلك التمجيب للحسن او القبح او غيرهما .

5 - المشترك المعنى المختلف المفهوم تبعا لاختلاف التعلقات ، مثل قول قطرب (73) : «ومنه ايضا راغ عليهم : اناهم . وراغ عنهم : ذهب عنهم وتنهى . وقال الله جل ثناؤه ( فراغ عليهم ضربا باليمين ) اي اقبل عليهم ضربا بالالفة .. » وقد نقد بعضهم قطربا على هذا اللفظ ، قال ابن الانباري : « قال الفراء : لا يقال لمن رجع : راغ ، الا ان يكون مخفيا رجوعه .. وقال غير الفراء : لا يكون راغ ابدا الا بمعنى رجع على السبيل الذي ذكر الفراء ، وليس بحرف من الاشداد على ما ادعى قطرب » . وواضح ان معنى راغ واحد ، وهو الحركة الخفية ، ثم يحدد الحرف الذي يوضع بعد الفعل اتجاه هذه الحركة . فاذا كان الى او على ، كانت الحركة اقبالا ومجيئا . واذا كان عن ، كانت الحركة ادبارا وابتعادا .

ولكن قطربا لم يتفرد بهذا النوع من الاشداد ، بل وجد عند غيره من المؤلفين في الاشداد . ومثاله عند الاصمعي ما جاء في قوله (74) : « وحكي ان الاقهام الجوع ، وانشد : - وهو الى الزاد شديد الاقهام - يقال : اقهم من الطعام واقهى : اذا لم

يشتهه . واورد ابن السكيت وابو حاتم وابن الانباري وابن الدهان والصفاني ما ذكره سابقوهم من هذا النوع ، دون تعليق او نقد . واحسن من نقد هذا النوع هو عبد الفتاح بدوري في قوله : « جلي الا تفاد في شيء من الرغبة او السروغ او الانصراف ( في قولنا رفيت فيه ومنه ورغت عليه ومنه وانصرفت اليه ومنه ) انما الضدية بين معنى في وعن ، وعلى وعن ، والى وعن . وهذه الحروف الفاظ مختلفة ، ليست من الضدية التي نبحث عنها في شيء ، فابن اللفظ الذي له معنيان متقابلان » .

6 - الالفاظ التي اختلفت في العدد الذي تدل عليه قال قطرب (75) : « وقالوا ايضا : الزوج ، الفرد ، يقال : عندي زوجان من خفاف اي خفان . والزوج : الزوج ايضا » . وعلق ابن الانباري (240) على ذلك بقوله : « وهذا عندي خطأ ، لا يعرف الزوج في كلام العرب لاثنين ، انما يقال للاثنين زوجان . بهذا نزل كتاب الله ، وعليه اشعار العرب . قال الله عز وجل ( وانه خلق الزوجين الذكر والانثى ) اراد بالزوجين الفردين ، اذ ترجم عنهما بذكر وانثى . وقال عز ذكره : ( ثمانية ازواج من الضأن اثنين ، ومن المزر اثنين ) وكذلك ما بعدهما ، فالازواج معناهما الافراد لا غير . والعرب تفرد الزوج في باب الحيوان ، فيقولون : الرجل زوج المرأة ، والمرأة زوج الرجل .. فمن ادعى ان الزوج يقع على الاثنين فقد خالف كتاب الله جل وعز ، وجميع كلام العرب ، اذ لم يوجد فيما شاهد له ، ولا دليل على صحة تأوله » . واظن ان سبب هذا الخلط ، ان اللفظ لا يطلق على كل فرد وانما الفرد الذي لا يد من اقترانه بآخر . وعلى اي حال فاللفظ لا يحتوي على معنيين متضادين ، وانما اختلف الناس في العدد الدال عليه فحسب : واحد او اثنين ، وليس هذا بتضاد .

ووقع فيما وقع فيه قطرب من اللغويين ابو عبيدة ، قال ابن الانباري (76) : « ضعف حرف من الاشداد عند بعض اهل اللغة ، يكون ضعف الشيء

(72) 574 .

(73) 209 . واورده ابو الطيب 328 ، وابن الدهان 11 ، ونقده ابن الانباري 92 .

(74) 13 . ورواه قطرب 104 ، وابن السكيت 288 ، وابن الانباري 144 ، وابو الطيب 596 وابن الدهان 18 ، والصفاني 636 .

(75) 112 . واورده ابو الطيب 338 والصفاني 492 ونقده ابن الانباري 281 .

(76) 78 . واورده ابن الدهان 14 ، والصفاني 551 .

ومغضبنا ورغينا ، لعله بانه اذا فعل شيئا فعلناه  
ابهامه . ولهذه العلة قال الله جل ذكره : أرسلنا ،  
وخلقنا . ثم كثر استعمال العرب لهذا الجمع حتى  
صار الواحد من هامة الناس يقول وحده : قمنا  
وقعدنا ، والاصل ذلك .

ومهما يكن ، فليس هذا النوع من الاضداد ،  
واسوتنا في ذلك من اهمله من اللغويين امثال الاصمعي  
وابي حاتم وابن السكيت وابي الطيب ..

7 - الاضداد من اللغات . قال قطرب (79) :  
« المصر - في لغة قيس واسد - التي قد دنت من  
الحيف . وامعرت المرأة امصارا . وقد دنا امصارها .  
وبلغة الازد : التي قد ولدت او تعسنت » . وسار  
على هذا المسلك جميع المؤلفين في الاضداد ، وان  
عارضهم بعض اصحاب المعاجم مثل ابن دريد . ومثال  
هذا النوع عند الاصمعي قوله (80) : في المادة الاولى من  
كتابه : « القرء عند اهل الحجاز الطهر ، وعند اهل  
العراق الحيف .. » . وفي اصداده ايضا (81) :  
« قال ابو زيد : السدفة في لغة تميم الظلمة ، وفي  
لغة قيس الضوء . قال ابن مقبل :

وليلة قد جعلت الصبح موعدها  
بصدرة العنس حتى تعرف السدفا

اي اسير حتى الصبح فترى ضوء الصبح .  
وقال المجاج : « - واقطع الليل اذا ما اسدفا - اي  
اظلم » . وقال ابو حاتم (82) : « العنوة : القهر .  
واهل الحجاز يقولون الطاعة . يقال : اخذته عنوة  
اي قهرا ، وقال اهل الحجاز طاعة ، وانشدوا :

هل انت مطيمي ايها القلب عنوة  
ولم تلح نفس لم تلم في احتيالها

وقال كثير :

مثله ويكون مثليه . قال الله عز وجل ( يضاف لها  
المداب ضميين ) قال ابو العباس ، عن الاثرم ، عن  
ابي هبيدة معناه يجعل المداب ثلاثة امدبة ، قال :  
وضعف الشيء مثله ، وضعفاه مثلاه . وقال ابو عبد  
الله هشام بن معاوية : اذا قال الرجل : ان اعطيتني  
درهما فلك ضعفاه ، معناه فلك مثلاه قال : والعرب  
لا تفرد واحدهما ، انما تتكلم بهما بالثنائية . وقال  
غير هشام وابي هبيدة : يقع الضعف على المثلين .  
قال ابو بكر : وفي كلام الفراء دلالة على هذا .  
وفي هذا القول مغالطة ، لان ضعف الشيء اما ان يراد  
الشيء معه فيصير الجميع مثلي الاول ، واما ان  
يراد وحده فيكون مثله فحسب .

وكذلك سار في طريقهما ابن الانباري ، اذ ارتضى  
قول الفراء (77) : « مثل حرف من الاضداد ، يقال :  
مثل ، للمثبه للشيء والمعادل له ، ويقال : مثل ،  
للضعف فيكون واقعا على المثلين . زعم الفراء : انه  
يقال رايتكم مثلكم . يراد به رايتكم ضعفكم ، ورايتكم  
مثليكم يراد به رايتكم ضعيفكم . من هذا قول الله عز  
وجل : ( يرونهم مثليهم رأي العين ) معناه  
يرى المسلمون اي ثلاثة امثالهم ، لان  
المسلمين كانوا يوم بدر ثلاث مئة وارمة عشر رجلا ،  
وكان المشركون تسع مئة وخمسين رجلا . فكان  
المسلمون يرون المشركين على عددهم ثلاثة امثالهم »  
وفي هذا القول ما في اللفظ السابق من خطأ في  
الشرح .

ويقرب من هذا الضمير ( نحن ) ، الذي ادخله  
ابن الانباري في اشباه الاضداد قال (78) : « وما  
يشبه حروف الاضداد نحن ، يقع على الواحد والاثنتين  
والجمع والمؤنث فيقول الواحد : نحن فعلنا .  
وكذلك يقول الاثنان والجميع والمؤنث . والاصل في  
هذا ان يقول الرئيس الذي له اتباع يفضبون بفضبه ،  
ويرضون برضاه ، ويقتدون بافعاله : امرنا ونهينا ،

(77) 79 . واورده ابن الدهان 19 ، والصفاني 657 .

(78) 113 . واورده ابن الدهان 20 .

(79) 101 . واورده ابن الانباري 136 و ابو الطيب 509 وابن الدهان 15 والصفاني 584 .

(80) واورده قطرب 99 ، وابو حاتم 134 ، وابن السكيت 276 ، وابن الانباري 8 ، وابو الطيب 571 ،

وابن الدهان 17 ، والصفاني 620 .

(81) 43 . واورده قطرب 5 ، وابو حاتم 114 ، وابن السكيت 316 ، وابن الانباري 564 ، وابو الطيب

346 ، وابن الدهان 12 ، والصفاني 500 .

(82) 185 . واورده قطرب 173 ، وابن الانباري 42 ، وابو الطيب 491 وابن الدهان 15 .

تجنبت ليلى عنوة ان تزورها  
وانت امرؤ في اهل ودك تارك

الى كتب الاضداد . ولذلك لم يوردهما احد من جاء  
بعده .

وورد في اضداد الاصمعي تفسير عارض للفظ  
الانقياص ، اذ قيل في مادة (قلص) (86) : « ويقال  
قد قلص الظل : اذا قصر ... وقلص ماء البئر : اذا  
جم وكثر . قال الراجز :

يا ربهما من باراد قلاص  
قد جم حتى هم بانقياص

والانقياص : ان تنشق الركبة طولاً او السن ، قال  
أبو ذؤيب الهذلي :

فراق قميص السن فالصبر انه  
لكل اثاث عشرة وجبور «

وسها ابن السكيت في عمرة تتبعه لالفاظ الاصمعي،  
فالتقط اللفظ ، وخصص له مكاناً بين اضداده ، بعد  
مادة قلص . ولكن احداً غيره لم يقع في هذا  
السهو ..

10 - الالفاظ المختلف في تفسيرها . قال ابن  
الانباري (87) : « فوق حرف من الاضداد ، يكون  
بمعنى اعظم كقولك : هذا فوق فلان في السلم  
والشجامة ، اذا كان الذي فيه منهما يريد على ما في  
الآخر ، ويكون فوق بمعنى دون قولك : ان فلاناً  
لقصير وفوق القصير ، وانه لقليل وفوق القليل ،  
وانه لاحمق وفوق الاحمق ، اي هو دون المدموم  
باستحقاقه الزيادة من الدم . ومن هذا المعنى قول  
الله عز وجل ( ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلاً ما  
بموضة فما فوقها ) يقال : معنى قوله : « فما  
فوقها » : فما دونها .

ويقال : معناه فما هو اعظم منها . وقال الفراء:  
الاختيار ان تكون فوق في هذه الآية بمعنى اعظم ،  
لان البموضة نهاية في الصغر ، ولم يدفع المعنى الآخر  
ولا رده خطأ وقال قطرب : فوق تكون بمعنى دون مع

اي طائفاً . وكل ما ذكره السالفون من  
اضداد اللغات نجده عند اللاحقين منهم مثل ابن  
السكيت وابن الانباري وابو الطيب وابن الدهان  
والصفاني .

8 - الفاظ الثنائية التي لا تفرد . قال قطرب  
(83) : « الصرعان : ناحيتا النهار ، اي اوله وداخره .  
ومنه مصراعاً الباب يلمان ايضاً . ضدان . ذلك لاول  
النهار وداخره » . وتابعه في هذا ابن الدهان وحده .  
واعترض عليه ابن الانباري قائلاً : « وقال غيره :  
الصرعان الغداة والمشي جميعاً ، ولا يقع على واحد  
منهما دون صاحبه . وكذلك القرنان والبردان كما  
يقال لليل والنهار : اللوان ، والفتيان ، والرذفان ،  
والمصران ، والجديدان ، والاجدان ، وابناسبات » .  
واغفله غيرهما ، مما يدل على ان القدماء انفسهم لم  
يرضوا عن هذا النوع .

9 - المشترك من الالفاظ دون ان يتضاد .  
ومثاله ما اورده مانفا من جمرت الشمر ، وللمرأة  
جماران . ونقد ابن الانباري له . ويرغم ذلك لم يبرأ  
بعض اللغويين من الخلط بين الالفاظ ذات المعاني  
المتضادة والالفاظ ذات المعاني المختلفة فقط ، كما فعل  
قطرب فهذا هو الاموي يقول (84) : « نار غاضية :  
اي مظيعة . ويلة غاضية : شديدة الظلمة » .  
والتضاد غير واضح فيه ، الا اذا فهمنا ان الغاضية  
هي النار الشديدة الاضاءة .

ووردت في اضداد الاصمعي كلمتان لا تمتان  
الى الاضداد ، هما ضنين وظنين ، قيل (85) : « واما  
قوله : « وما هو على الغيب بضنين » و « بظنين »  
فهما وجهان معروفان . فالضنين البخيل ، يقال :  
ضننت اذن ضناً . والظنين المتهم ، وهو من الظنة  
اي التهمة . » فهما اقرب الى كتب الابدال منهما

(83) 106 ، وابن الدهان 14 ، وابن الانباري 127 .

(84) الاصمعي 62 ، وابن السكيت 336 ، وابن الانباري 209 ، وابن الدهان 16 ، والصفاني 559 ،  
وابو الطيب 524 .

(85) 109 .

(86) 11 ، وابن السكيت 286 .

(87) 153 . واورده ابو حاتم 178 ، وابو الطيب 536 ، وابن الدهان 17 ، والصفاني 616 ، وانظر  
قطرباً 163 .

لما لم يقع . وفى التفسير ( منع منا الكيل ) . أي يمنع منا . و ( نادى اصحاب النار ) أي ينادون . وقال الحطيثة :

شهد الحطيثة حين يلتقى ربه  
ان الوليد احق بالمدد

يريد : يشهد ، لانه قال : حين يلتقى ربه ، ولم يلقه بعد .

« ويكون ايضا يفعل : لما وقع ، ولما لم يقع ، مثل قوله :

ولقد امر على اللثيم يسبني  
فمضيت عنه وقلت لا يعنيني

كانه قال : ولقد مررت ، لانه قال : فمضيت عنه . وقال الآخر :

واني لايبكم تشكر ما مضى  
من الامر واستيجاب ما كان في غد

أي ما يكون فى غد . . . » .

وقال ايضا (90) : « ومن الاصباد - وهي آخره ( يريد آخر الكتاب ) - : اذ فى القرآن لما مضى فى معنى اذا ، واذا لما يستقبل ويجريه ايضا فى معناها . وقال الله عز وجل ( ولو ترى اذ فرغوا فلا فوت ) و ( لو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم ) المعنى يفرغون اذا ، ويوقفون ولم يوقفوا بعد . وقال ايضا : ( واذا قال الله يا هبسى ابن مريم ) وكان القول يكون فى القيامة . فهذا لما لم يقع . وقال أبو النجم :

ثم جزاه الله عنا اذ جرى  
جنات عدن فى العلالى العلى

كانه قال : اذ يجري ، لان هذا لم يقع بعد . . . وقال اوس :

والحافظ الناس فى الزمان اذا  
لم يرسلوا تحت هائد ربعا

وهبت الشمال البليل واذا  
بات كميع الفتاة ملتفعا

الوصف كقول العرب : انه قليل وفوق القليل ، ولا تكون بمعنى دون مع الاسماء كقول العرب : هذه نملة وفوق النملة ، وهذا حمار وفوق الحمار قال : لا يجوز ان تكون فوق فى هاتين المسألتين بمعنى دون لانه لم يتقدمه وصف ، وانما تقدمته النملة والحمار وهما اسمان . . . » .

وهذا التمليل لجمال «فوق» من الاضداد خاطيء، فهذا اللفظ لا يكون بمعنى «دون» ابدا . وصبارة انه لاحق وفوق الاحق ، أي يريد منه حمقا ، لا دونه حمقا . فالتكلم بهذه العبارة يريد منها المبالغة فى وصفه بالحمق لا التقليل وكذا حال «فوق» مع جميع الصفات . اما مع الاسماء فاختلف فيها ، ولكننا نقول ايضا انها بمعنى «اعظم» لا لغير . فمعنى الآية «ان الله عز وجل لا يستحيى ان يضرب الامثال بالبعوضة» وما هو اكبر منها حجما من الحشرات والحيوان ، مثل الذباب والطيور والكلب والحمار ، التي استمد منها الامثلة فى الآيات المختلفة . فاذا كان يقصد من البعوضة الضالة والصفر ، فالمنى انه سبحانه وتعالى لا يستحيى ان يضرب الامثال بالبعوضة وما هو اعظم منها صفرا وضالة شأن . فالتفسيران يبينان ان «فوق» لم تخرج من معناها الاصلي ، وهو «اعظم» .

ونلحق بهذا النوع قول قطرب الذى يشير منا ابتسامة (88) : قالوا : ليال درع : سود الصدور وبيض الامجاز ، وليال درع : ببيض الصدور وسود الامجاز ، وشاة درعايا هذا : يبيض المؤخر سوداء المقدم ، وشاة درعايا - سوداء المؤخر يبيض المقدم » وقال ابن الانباري مملقا « وتابع قطربا على هذا جماعة من البصريين » .

فماذا كان يضيره لو فسّر الليلة الدرعايا والشاة الدرعايا كما فعل عبد الفتاح بدوي بما اختلط بياضها وسوادها كأنها تلبس درعايا ، دون اشارة الى المقدمة والمؤخرة فاستراح من هذا فى الاضداد . وما اكثر الاضداد التي من هذا النوع .

11 - الافعال ذات الدلالة الزمنية المختلفة ، قال قطرب (89) : « وقالوا فعل : لما وقع ، وفعل :

(88) 142 . واورده أبو حاتم 132 ، وابن الانباري 165 ، وأبو الطيب 271 . وابن الدهان 10 ، والصغاني 465 .

(89) 121 .

(90) 218 .



فقال : اذ واذا فى معنى واحد ... » .

وآرنضى ابو مبيدة هذا النوع من الاضداد ،  
وادخله فى كتابه . قال ابن الانباري (91) : « قال  
ابو مبيدة : كان من الاضداد ، يقال : كان للماضي ،  
وكان للمستقبل . فاما كونها للماضي فلا يحتاج لها  
الى شاهد ، واما كونها للمستقبل فتقول الشاعر :

فأدرت من قد كان قبلي ولم ادع

لمن كان بعدي فى القوائد مصنما

اراد لمن يكون بعدي . قال وتكون كان زائدة ،  
كقوله تعالى ( وكان الله غفورا رحيمًا ) معناه والله  
غفور رحيم .

« قال ابو مبيدة : ويكون من الاضداد ايضا ،  
يقال : يكون للمستقبل ، يقال : يكون للماضي . فكونه  
للمستقبل لا يحتاج الى شاهد ، وكونه للماضي قول  
الصلتان يرثي المفيرة بن المهلب :

قل للقوائف والغزاة اذا غزوا

والبكريين وللمجد الرائح

ان الساحة والشجاعة ضمنا

قبرا بمرء على الطريق الواضح

فاذا مررت بقبره فاعقر به

كوم الجلاد وكل طرف سابع

وانضح جوانب قبره بدمائها

فلقد يكون أخدام وذبالح

اراد : فلقد كان .

« قال ابو بكر : والذي نذهب اليه ان « كان  
ويكون » لا يجوز ان يكونا على خلاف ظاهرهما ، الا  
اذا وضع المعنى . فلا يجوز لقائل ان يقول : كان عبد  
الله قائما ، بمعنى يكون عبد الله . وكذلك محال ان  
يقول : يكون عبد الله قائما ، بمعنى كان عبد الله .  
لان هذا ما لا يفهم ، ولا يقوم عليه دليل . فاذا انكشف  
المعنى حمل احد الفعلين على الآخر ، كقوله جل  
اسمه ( كيف تكلم من كان فى المهدي صبيبا ) معناه : من  
يكون فى المهدي فكيف تكلمه ، فصلح الماضي فى موضع  
المستقبل لبيان معناه . وانشد الفراء :

فمن كان لا ياتيك الا لحاجة

يروح لها حتى تقضى ويفتدي

فاني لا يكتم تشكر ما مضى

من الامر واستيجاب ما كان فى غد

اراد ما يكون فى غد . وقال الله عز ذكره  
( ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ) فمعناه :  
وينادى ، لان المعنى مفهوم . وقال جل وعز : ( يا ابا  
منع منا الكيل ) فقال بعض الناس : معناه يمنع منا .  
وقال الحطية :

شهد الحطية يوم يلقي ربه

ان الوليد احق بالمدر

معناه : يشهد الحطية . وقول ابي مبيدة : كان  
زائدة فى قوله تبارك وتعالى : ( وكان الله غفورا  
رحيمًا ) ليس بصحيح ، لانها لا تلغى مبتدأة ناصبة  
للخير ، وانما التاويل البتداء عند الفراء ، « وكائن الله  
غفورا رحيمًا » فصلح الماضي فى موضع الدائم ،  
لان افعال الله جل وعز تخالف افعال العباد ، فافعال  
العباد تنقطع ، ورحمة الله جل وعز لا تنقطع وكذلك  
مغفرته وعلمه وحكمته . وقال غير الفراء : كان القوم  
شاهدوا الله مغفرة ورحمة وعلمًا وحكمة ، فقال الله  
جل وعز : ( وكان الله غفورا رحيمًا ) اي لم يزل الله  
عز وجل على ما شاهدتم » (92) .

ويرى الباحثون البلاغيون ان هذه الافعال لم  
تخرج من زمنها ، سواء ادلت على الماضي ام على  
المضارع ، فهي مختلفة بمعناها الاميل . وانما  
استعمال المضارع فى الماضي التفات ذهني ، كي يبرز  
القائل الصور والاحداث الماضية ، ويجلبها تحت  
سمع السامع والقارىء وبصرهما ، وكأنها تحدث فى  
الحاضر ، لتكون اشد تأثيرا فيه ، وانطباعا فى  
ذهنه . واستعمال الماضي فى الزمن الحاضر التفات  
ذهني ، كي يبرز القائل تأكده من حدوث هذه الافعال  
فى المستقبل ، وتيقنه من ذلك ، وكأنما قد وقعت  
حقا وانتهى الامر . اما استعمال الافعال الماضية  
والمضارعة فى غير زمنها فى بعض الشعر لغير فرض  
بلاغي ، فانما هو امر فرضته - فى غالب الظن -  
الضرورة ، وليس بالتوسع اللغوي ولا الاضداد .

(91) 28 - 69 .

(92) آورده ابو حاتم 198 ، وابن الدهان 18 ، والصفاني 646 .

أرى ثم وجها شوه الله خلقه  
فقبح من وجهه وقبح حامله

وقال أبو دؤاد يذكر نرسا :

فهي شوهاء كالخوالق فوها  
مستجاف يضل فيه الشكيم «

وأورد أبو حاتم وغيره هذا اللفظ أيضا ، ونسره  
الأول تفسيرا واضحا ، إذ قال : « قال أبو عبيدة :  
مهرة شوهاء : قبيحة وجميلة . قال أبو حاتم : لا  
اظنهم قالوا للجميلة : شوهاء إلا مخافة أن تعيبها  
مين ، كما قالوا للفراب : أمور لعدة بصره » .

وهذا النوع من التمجيز ليس من الأضداد  
أيضا ، لأن قائله يريد أن يوهم السامع بحقيقة اللفظ  
لا ضده ، أو يوهم نفسه أيضا ، فهو حين يصف  
المدوغ بالسليم يريد أن يوهم نفسه وساميه بأنه  
سليم معافى ولا خوف عليه . ولا يريد بأي حال من  
الأحوال أن يتصوره مدوغا متألما . وكذا الحال في  
بقية الألفاظ . وقد تقدّم بد الفتح بدوي هذا النوع  
فقال منه : « إذا طبقنا بسائط علوم اللغة على أمثلة  
هذه الطائفة وجدنا المعنى الثاني مجازيا للكلمة ،  
والأول هو المعنى الحقيقي ليس غير ، ومعنى الضدية  
لا يتحقق بين الحقيقة والمجاز لانهما لا يتساويان في  
فهمهما من الكلمة ، وإنما الذي يفهم هو المعنى  
الحقيقي فقط ، ولا يفهم المعنى الثاني إلا بتقرينه ،  
وبالانتقال من المعنى الأول حتما ، فيفوت معنى  
الضدية .

13 - صيغة افعال قال قطرب (98) : « ومنه  
أيضا شكاني فلان فأشكيت : إذا شكاك فاعتنته ، وقد  
يقولون أيضا : فأشكيتك ، أي زدته شكوى . ويقال :  
شكا الي ما لقي فما أشكيتك أشكاه ، وقال الراجل :

12 - عبارات التفاؤل والتطير ، قال قطرب  
(93) : ومنه أيضا : رجل أمور : للذهاب العين ،  
ورجل أمور : للحديد البصر . ويقال غرب أمور ،  
لعدة بصره ، وقال الشاعر : - في الدار تحجال  
الفراب الأمور - وقال (94) : « وقالوا : البصير :  
الصحيح البصر ، والبصير : الأعمى . والآدم :  
الأيض ، والظبية الأدماء : البيضاء . وآدم : أسود .  
وبعير آدم : حسن البياض شديد سواد المقلتين » .

ووجد هذا النوع عند مؤلفي الأضداد جميعا ،  
وعند غيرهم . قيل في أضداد الأصمعي (95) : « قال  
أبو زيد : التاهل في كلام العرب : العطشان ،  
والتاهل : الذي قد شرب حتى روي ، قال النابغة :

الطامن الطنعة يوم الولى  
ينهل منها الأسل التاهل

أي يروى منها العطشان . وقال الأصمعي : الأثى  
ناهلة ، والجميع نهال ، ورجل منهل : أي معطش ،  
وأبل نهال : أي مطاش ، يتطيرون بها من العطش  
فيقولون : هذه أبل ناهلة .. » .

وقال الأصمعي (96) : « سموا المفازة مفعلة من  
فاز يفوز : إذا نجا ، وهي مهاكة ، قال الله جل  
لناؤه : ( فلا تحسبنهم بمفازة من المذاب ) أي منجاة .  
وأصل المفازة مهلكة ، تنفاهلوا بالسلامة والفوز ،  
كقولهم للمدوغ سليم ، والسليم : المعافى » .

وأضاف أبو عبيدة عبارات التطير ، إذ قيل  
في أضداد الأصمعي (97) : « قال أبو عبيدة يقال :  
فرسي شوهاء . أي حسنة ، ولا يقال للذكر هذا  
شيء . ويقال : لا تشوه علي ، أي لا تقل : ما أفصحك ،  
فتصيبني بالعين . قال : وما سمعتها إلا في هذين  
الحرلين ، وأما التبح فيقال : قد شوه الله خلقه ،  
ورجل أشوه ، وامرأة شوهاء ، قال الحطيئة :

- (93) 75 . وانظر ابن الأنباري 269 ، وأبا الطيب 508 ، وابن الدهان 16 .  
(94) 76 ، 17 . وانظر أبا الطيب 63 ، 12 ، وابن الدهان 7 .  
(95) 45 . وأورده قطرب 55 ، وأبو حاتم 135 ، وابن السكيت 318 ، وابن الأنباري 65 ، وأبو الطيب  
637 ، وابن الدهان 20 ، والصفاني 680 .  
(96) 38 . وأورده ابن السكيت 319 ، وابن الأنباري 59 ، وأبو الطيب 560 والصفاني 615 .  
(97) وأورده أبو حاتم 220 ، وابن الأنباري 181 ، وأبو الطيب 408 ، وابن الدهان 13 .  
(98) 201 . وأورده أبو حاتم 147 ، وابن السكيت 365 ، وابن الأنباري 140 ، وأبو الطيب 390 ،  
وابن الدهان 13 ، والصفاني 526 .

وتائم : اذا تجنب المائم ، كما يقال : قد تحوب الرجل ، اذا تجنب الحوب ، ولا يستعمل الحوب في المعنى الآخر . . . وقال ايضا تحت حرف من الاضداد ، يقال : تحت الرجل : اذا اتى الحنث ، وقد تحت اذا تجنب الحنث . . . » .

وقال الرضى 103 : « والاغلب في تفعل معنى صيرورة الشيء ذا اصنه ، كناهل وتالم . . اي صار ذا اهل ، والم . . . فيكون مطاوع فعل الذي هو لجعل الشيء ذا اصله اما حقيقة كما في البته فتالب واصلته وتاصل ، واما تقديرا كما في تاهل ، اذ لم يستعمل اهل بمعنى جعل ذا اهل . ومن الطبيعى ان هذه الصيغة تأتي من الافعال التي تصلح فيها المطاوعة . .

وقال الرضى ايضا (104) ان تفعل تأتي للتكلف نحو تشجع وتحلم ، وما هو بشجاع ولا حلیم . . اي الصفة منتفية عنه مسلوبة منه ، وللاتخاذ ، ويشترط ان يكون اصل الصيغة اسما لا مصدرا مثل تردى وتوسد من الرداء والوسادة . فهذا المعنى يأتي من الاشياء المادية لا المجردة . وتأتي ايضا للعمل المتكرر في مهلة نحو تجرع وتفهم . وكذلك بمعنى استفعل في الطنب ، والاعتقاد في الشيء انه على صفة اصله ، نحو تنجزه واستعظمته ، ومن الواضح ان الفعل فيهما متمد لا لازم ، واخيرا تأتي للتجنب .

ولو وضعنا هذه المعاني المختلفة لصيغة «تفعل» بجوار معنى التجنب ، لظهر لنا الفرق الجلي . فالصيغة فيهما جميعا - ماعدا التكلف - متمدية لا لازمة ، بخلاف الحال في معنى التجنب . فالاختلاط والتشابه اذن بين التكلف والتجنب . والائنان يفيدان السلب كما رأينا ، لان متكلف الشيء يشمر بعدم وجوده فيه ، ولذلك يتكلفه . ولكن هناك امرا ذاتيا فيهما يفرق بينهما : ذلك هو الاصل المشتقة منه الصيغة . فاذا كان الاصل مكروها فالصيغة للتجنب ، مثل تائم وتحوب . واذا كان الاصل محبوبا فالصيغة

تمد بالاعتناق او تلويها

وتشتكي لو اننا نشكيها

وارضى الاصمعي هذا النوع ، وادخله في الاضداد ، قال (99) : « اطلبت الرجل : اعطيته ما طلب ، واطلبته : الجأته الى ان يطلب ، ومنه قول ذي الرمة :

اضله راحيا كلية صدرا

عن مطلب وطلى للاعتناق تضطرب

يقول : بعد الماء منهم حتى الجأهم الى طلبه ، ويروى : - عن مطلب قارب وراده عصب - . « ويقال : اشكيت الرجل : اذا اثبت اليه ما يشكو منه ، واشكيت : نزلت شكايته .

قال الراجز :

تمد بالاعتناق او تلويها

وتشتكي لو اننا نشكيها

والامر في هذا النوع يسير ايضا ، فالمعنى الاصلي فيها التعدية ، قال الرضى (100) : « المعنى الغالب في افعل تعدية ما كان ثلاثيا » ، فالمعنى الاصيل لاطنب واشكى جواه يطلب ويشكو . ولكن هذا الطاب ، وهذه الشكوى ، كانا سببا في الاستجابة ، اي ازالة اسباب الطلب والشكوى . فارتبط السبب ( الشكوى ) والسبب ( ازالتها ) في ذهن العربي ، فربط بينهما في لفته ، واطلق عليهما لفظا واحدا . ولكن هذا اللفظ كان حقيقيا حين اطلقه على المسبب . .

14 - صيغة تفعل ، قال قطرب (101) : « ويقال : تائم فلان : كره الائم ، وهو من لفظ الائم ، وحر ج ايضا بخرج : ائم » .

وقال ابن الانباري (102) : « وتائم حرف من الاضداد ، يقال قد تائم الرجل اذا اتى ما فيه المائم ،

(99) 92 . واورده ابو حاتم 179 ، وابن السكيت 364 ، وابن الانباري 48 ، وابو الطيب 457 ، والصغاني 561 .

(100) شرح الشافية 1 - 86 .

(101) 90 .

(102) 105 . وانظر ابا الطيب 17 ، وابن الدهان 6 ، وابا حاتم 231 .

(103) 111 . واورده ابن السكيت 445 ، وابن الدهان 9 .

(104) شرح الشافية 1 : 104 - 107 .

والاصل : انا منقود لك ، وانت منقود لك . قال ابو حاتم : « والاصل في المختار اذا كان فاعلا : مختير ، فكرهوا حركة الياء فأسكنوها ، ثم قلبوها الفا للفتحة قبلها . واما مختار مفتعل ، فالاصل : مختير ، الياء مفتوحة فكرهوا حركتها فأسكنوها ثم قلبوها الفا . وكذلك مكنال ، لانه من بنات الياء ، من كال يكيل ، فكرهوا حركة الياء فأسكنوها ، ثم قلبوها الفا لانفتاح ما قبلها . ومعتد ، أصلها معتد ، بالكسر للفاعل . ومعتد ، بالفتح للمفعول به ، فتحركت السدالان : فأسكنوا الاولى ثم ادغموها في الثانية فاستوت اللفظتان » .

ورضي التوزي وابن الدهان عن هذا النوع فادخله في اضدادهما ، ولكنه لم يحفظ بمثل هذا القبول منذ غيرهما ، فنقده ابو الطيب - كما رأينا - نقداً مرا ، ونفاه من الاضداد واكتفى فيره باهماله . وكشف عبد الفتاح بدوي عن رايه في هذا النوع في قوله : « ولا جرم ان دعوى التضاد في هذه الطائفة انما هو اعتبار للنخمة الصوتية فقط ، مع تناسي حقيقة الكلمة ومقاييسها فمختار الذي أصله مختير بكسر الياء لا يمكن ان يقال انه مختار الذي أصله مختير بفتحها . ومن ثم تكمن دعوى التضاد في هذه الطائفة اشبه بالهدر منها بالحقائق العلمية ، لان التضاد انما يتصل بالمعاني لا بالانغام » .

ونسي هذا الكاتب ان التضاد يقوم على الانغام ( اصوات الكلمات ) ومعانيها في نفس الوقت ، وانه لو فرق بين الاثنين ما وجدت الاضداد ، وما وجد بحث فيها . ونسي ان الصرفيين عندما يقولون ان مختار أصلها مختير بكسر الياء اذا كانت اسم فاعل ، او بفتحها اذا كانت اسم مفعول ، فكرهت حركة الياء فحذفت ، وقلب الياء الفا ، لا يريدون بذلك ان العرب نطقوا بها - اول ما نطقوا - بالياء المحركة ، ثم مر عليهم طور نطقوا فيه بالياء الساكنة ، ثم في الاطوار الاخيرة بالالف . فحسب اللغوي ، وذوقهم اصوات الالفاظ ، جعلهم يستعملون اللفظ بالالف منذ الوهلة الاولى ، لانهم لم يستحسنوا غيرها ، حتى قبل وجوده . اما الصرفيون فيفترضون انه لو كانت اللفظة في أصلها على هذا البناء ، لاستمر بها

للتكلف والشظاهر مثل تكرم وتحلم وتشجع . ويؤكد لنا ذلك ان الالفاظ الستة التي قيل انها تأتي للتجنب مأخوذة من امور مستكرهه ، وهي : تحنت ، تأثم ، تخرج ، تحوب ، تنجس ، تهجد ، والهجود مستكره للاتقياء الذين يجمل بهم ان يقضوا الليل في العبادة وذكر الله ، ومن هنا وصفته بالاستكراه (105) ولما كان العرب يستعملون هذه الصيغة في احد المعاني كانوا يحرمون استعمالها في غيره الا اذا كان لا يلتبس به ، ولذلك قال الرضي (106) : « ليست هذه الزيادات قياسا مطردا ، فليس لك ان تقول في ظرف : أظرف ، وفي نصر : أنصر ... وكذا لا تقول : نصر ولا دخل . وكذا في غير ذلك من الابواب ، بل يحتاج في كل باب الى سماع استعمال اللفظ المعين ، وكذا استعماله في المعنى المعين ، فكما ان لفظ اذهب وادخل يحتاج فيه الى السماع فكذا معناه الذي هو الثقل مثلا ، فليس لك ان تستعمل اذهب بمعنى ارال الذهب ، او عرض للذهب ، او نحو ذلك » . وبدلنا عن ذلك انهم لم يرووا لنا شواهد على استعمال هذه الالفاظ في غير التجنب . وصرح ابن الانباري بان تحوب للتجنب وحده .

15 - الصيغ التشابهية في ظاهرها التضادة المعاني وفقا لاختلاف تصريفها وأصلها .  
قال قطرب (107) : « ومنه ايضا اردات الرجل : امنته وارديته ، وقول الله جل ثناؤه (ودعا يصدقني) وقالوا ايضا : ارديته : امنته ، وارديته : اهلكته » وظهر امثلة من هذا النوع صيغة اسمي الفاعل من « افتعل » و « انفعل » من الاجوف والمضامف . وقد زاد هذه الفئة ابو حاتم في اضداده ، قال (108) : « ما كان من المعتل من بنات الياء والواو التي في موضع الفين ، او من المضامف على مفتعل ومفتعل ، لفظهما فيه سواء ، كقولك : مختار ، للفاعل والمفعول به ، اجترت هب الله من الرجال فانا مختاره وهو مختار ، وكذلك المزدان من الزين ، والمعاض ، والمقتال والمعتد ، الفاعل والمفعول به ، يقال : امتد فلان شيئا ، فالرجل معتد ، والشيء معتد . وكذلك المنقاد ، تقول : اتقدت لك ، فانا منقاد ( لك ) ، وانت منقاد لك .

(105) انظر تاج العروس : حنت .

(106) شرح الشافية 1 - 84 .

(107) 185 .

(108) 175 .

« ويقال ناقة نني : اذا ولدت بطنين ، وثنيها : ما في بطنها .. »

وسار المتأخرون على هذا النهج ، الذي اختطه الرعيل الاول من اللغويين ، فاورد ابن السكيت وابو حاتم وابن الدهان والصفاني ما اورده السائقون عليهم من امثلة هذا الصنف من الازداد . واورد ابو حاتم مثالا لم يورده من قبله ، قال (113) « المجرم : المود الذي يدخن به . والمجرم ايضا : الذي يوضع فيه الدخنة ، ومنه قول ابن احمر :

لم يعد ان فتق الشجاع لهاته  
وافتر قارحه كلز المجرم

اراد انه اول ما بزل ، فقارحه مثل الحديد التي يلزها المجرم مثل الشميرة او اصفر »

ونستطيع ان نضع في هذا الصنف امثال ما جاء في اعداد الاصمعي (114) : « الراوية : البمير الذي يستقى عليه الماء ، يقال : رويت عليه اروي رية : اذا استقيت عليه ، وبه سميت الراوية التي عليه ، وانما هي المرادة ، قال ابو النجم :

تمشي من الردة مشي الحفل  
مشي الروايا بالمواد الاثقل

يقال : اردت الناقة ، وذلك اذا كانت عطشى ثم رويت فعطنت ، فيفتح ضرعها حتى تحسب انها حامل . »

وجعل عبد الفتاح بدوي هذا النوع والفاظ التفاؤل والتطير طائفة واحدة ، ووجه اليها النقد الذي ذكرته مانفا . والحق ان المعنى لم يتغير ولم يتضاد في أي لفظ منها . وانما كان من سنن العرب اطلاق اللفظ الواحد على الشيء وما يلزمه ، لاتجاه الدهن الى الاثنين معا كلما ذكر احدهما . فكان اللفظ في اصالته يدل على احد المعنيين ثم انتقل مجازا

التغيير الى ما صارت عليه . فكانما اقام الكاتب رده على افتراضات . واعتبرها حقائق علمية ، فانهار نقده ، ولم يستطع الوقوف على قدميه . فالصفتان في الحقيقة والواقع لا فرق بينهما ، ولم يكن يوجد فرق صوتي بينهما فقط ..

ولكننا - بوجه انهيار نقده - لا نستطيع ان نلحق بهذا النوع من الالفاظ معنيين متضادين وانما نقول ان فيها تضادا في اتجاه المعنى ، لا المعنى نفسه . فهو مرة متجه الى الفاصل ، واخرى الى المفعول ، ولكنه هو هو في المرتين . فالاختيار لم يتغير ، وانما اتجه القائل ذات مرة الى فاعل هذا الحدث ، واتجه في المرة الثانية الى الذي وقع عليه الحدث . تلك هي الانواع التي اطلق عليها قطرب لفظ الازداد ، وادخلها في كتابه . وقد ارتضاها اكثر المؤلفين كما رأينا - وزادوا عليها انواعا اخرى، فتبناها في كلامنا التالي ..

16 - الازداد المجازية ، اي التي احد معنيها حقيقي ، والاخر مجازي . ويتمثل هذا النوع في صنفين من المجاز :

( ا ) فالصنف الاول : الالفاظ التي تطلق على الاناء وما فيه . وظهر هذا الصنف عند ابي عمرو بن العلاء . قيل في اعداد الاصمعي (109) : « قال ابو عمرو : الارة : النار ، والارة : الحفرة التي فيها النار » . ووجد عند ابي زيد ، قيل في اعداد الاصمعي (110) « الظمينة : المرأة على البمير ، ويجوز ان تكون في بيتها . قال ابو زيد : الظمائن : الهوادج ، وانما سميت النساء ظمائن لانهن يكن فيها » . وارضى ابو عبيدة هذا الصنف ، قيل في اعداد الاصمعي (111) : « قال ابو عبيدة : الكاس : الاناء الذي يشرب فيه ، والكاس : ما فيه من الشراب » وسار على ذلك الاصمعي ، وروى في اعداد (112) :

(109) 64 . واورده ابن السكيت 338 وابن الانباري 208 والصفاني 373 .

(110) 68 . واورده ابن السكيت 342 وابن الانباري 100 وابن الدهان 15 والصفاني 566 .

(111) 67 . واورده ابن السكيت 341 وابن الدهان 18 والصفاني 639 وجعله ابن الانباري من اشباه الازداد .

(112) 65 . واورده ابن السكيت 339 وابن الانباري 211 وابو الطيب 119 وابن الدهان 8 والصفاني 416 .

(113) 273 . واورده ابن الدهان 8 .

(114) 69 . واورده ابن السكيت 343 وابن الانباري 101 وابن الدهان 11 .

الى المعنى الثاني لما بينهما من تلازم فى الواقع والذهن .

(ب) لفظ امة ، الذى زاده ابن الانباري ، اذ قال (115) : « امة حرف من الاضداد يقال : امة للواحد الصالح الذى يؤتم به ، ويكون طمعا فى الخير ، كقوله عز وجل : ( ان ابراهيم كان امة قانتا لله حنيفا ) . ويقال : امة لتجماعة ، كقوله عز وجل : ( وجد عليه امة من الناس يستقون ) . ويقال : امة ايضا للواحد المنفرد بالدين .. » .

وواضح ان عد هذا اللفظ من الاضداد فيه تصف . فالمعنى لم يتضاد فى اطلاق اللفظ على المفرد او الجماعة . بل انى اعتقد انه - حين يطلق على الفرد - يحتفظ بدلالته على الجماعة . فالآية تصف ابراهيم عليه السلام بانه كان يعادل فى دينه وورعه وتقواه الجماعة من الناس ، او انه جمع ايمان الامة وورعها وتقواها فى شخصه ، او انه كان كل المؤمنين فى وقته القانتين الحنفاء ولم يكن مؤمن غيره .

واضاف ابن الانباري الى ما سبق انواعا اخرى ، لست على يقين اكها من عنده ام ينقلها عن غيره ، اذ لا دليل يميل بالمرء الى احد هذين الرأيين الا فيما استنده الى غيره . وهالك هذه الانواع :

17 - الافعال التعدية واللازمة بمعنى واحد . قال (116) : « زال حرف من الاضداد . يقال : قد زال المكروه عن فلان ، وقد زال الله المكروه عنه بمعنى ازال ... » . وخان حرف من الاضداد . يقال : خان التميم فلانا ، وخان الدهر التميم فلانا . فيكون التميم فاعلا فى حال ، ومفعولا فى حال ، وخان غير متغير اللفظ . . . وطل حرف من الاضداد . يقال : طل فلان دم فلان اذا ابطله ، وطل دم فلان : اذا بطل ، والاختيار طل دمه ... » . ولا شك ان ابن درستويه كان يتحدث عن هذا النوع ، حين ذكر ان العرب تحذف احيانا حرف الجر للتخفيف عند كثرة الاستعمال . فالاستعمال الاصيل للفعل كان باللوزم ثم حدثت منه اداة التعدية للخفة ..

18 - الحروف والادوات ، التى تدل على معان مختلفة مثل قوله (117) : « قال بعض اهل العلم : ان حرف من الاضداد اعني المكسورة الهمزة المسكنة بالنون ، ، يقال : ان قام عبد الله ، يراد به : ما قام عبد الله . حكى الكسائي عن العرب : ان احد خيرا من احد الا بالعافية . فمعناه : ما احد . وحكى الكسائي ايضا عن العرب : ان قائما ، على معنى ان انا قائما ، فترك الهمز من انا ، وادغمت نون ان فى نون انا : فصارتا نونا مشددة كما قال الشاعر :

وترميني بالطرف اي انت مذنب  
وتقليشني لكن ايباك لا اقلي

اراد : لكن انا ايباك ، فترك الهمز وادغم . يقال ان قام عبد الله ، بمعنى : قد قام عبد الله . قال جماعة من العلماء فى تفسير قوله جل وعز ( فذكر ان نعت الذكرى ) معناه : فذكر قد نعت الذكرى . . . ومن هذا الصنف ايضا علاج لهل ، وما ، واو ، وقلده فيها الصفاني وابن الدهان ولم يكن اعتبار هذه الحروف من الاضداد من ابتكاره انما هو مقلد فيها ، بدليل عبارة « قال بعض اهل العلم » ويبدو انه يريد بذلك الكسائي فى هذه المادة . وحقيقة الامر فى هذه الحروف والادوات انها بقايا الفاظ قديمة ، تخلفت لدينا من الاطوار الاولى من اللغة ، وان معظمها يتألف من عناصر اشارية مثل النون . فهذه المعاني المنسوبة اليها ، وصلت اليها من مراحل مختلفة من التطور اللغوي ، ولا يستطيع الحكم بان هذه الانواع من الالفاظ من الاضداد (118) .

وقد عقب عبد الفتاح بدوي على هذا النوع بقوله : « ودعوى التضاد فى هذه الطائفة تهاوت لان معنى اللفظ لا تضاد فيه لان الاوضاع مختلفة فما النافية ليست ما الموصولة حتى تعقد تضادا او غير تضاد بين المعنيين » .

19 - التصغير ، افاضه ابن الانباري فى قوله (119) : « من الاضداد ايضا التصغير ، يدخل لمعنى التحقير ، ولمعنى التعظيم . فمن التعظيم قول

(115) 169 واورده ابن الدهان 6 ، والصفاني 381 .

(116) 175 - 177 . واوردها ابن الدهان 12 ، 10 .

(117) 116 .

(118) انظر كتاب التطور النحوي لفة العربية لبرجشتراسر .

(119) 191 .

محالة يتغير معناه بعض الشيء عند التأليف : ضيقا  
وانساعا ، ليألف مع جيرانه ويتجه معها في اتجاه  
وأحد . ويجب أن تقوم دراسة الأضداد على الألفاظ  
المفردة ، لا المؤلفات في عبارات .

20 - ما يحتمل معنيين متضادين من العبارات.  
واعتقد ان الذي دفع ابن الأنباري الى الخوض فيه  
اتصاله بالقرهان . ونستطيع ان نصنفه الى ثلاث  
فئات ، هي :

أ - الآيات القرآنية ، وهي اكثر الفئات ورودا  
في الكتاب ، واكبرها حظا من تناول المؤلف ، الذي  
يطيل في بعضها ، ويورد اقوال المفسرين المختلفة .  
ومن اقصر الامثلة على ذلك قوله (121) : « ومما  
يفسر من كتاب الله جل وعز تفسيرين متضادين  
قوله جل اسمه : ( وقال رجل مؤمن من آل فرعون  
يكنم ايمانه ) فيقول بعض المفسرين : الرجل المؤمن  
هو من آل فرعون ، أي من امته وحيه ومن يدانيه في  
النسب . . ويقول آخرون : الرجل المؤمن ليس من  
آل فرعون ، انما يكنم ايمانه من آل فرعون . وتقدير  
الآية عندهم : وقال رجل مؤمن يكنم ايمانه من آل  
فرعون » .

ب - الشعر ، وهو ان كان اقل من الآيات عددا  
الا ان حفظه من التناول لا يقل عن حفظ الآيات طولا .  
ومثاله قوله (122) : « ومما يفسر من الشعر  
تفسيرين متضادين قول قيس ابن الخطيم :

اتعرف رسما كاطراد المذاهب  
لعمره وحشا غير موقف راكب

ديار التي كادت ونحن على منى  
تحل بنا لولا نجاء الركائب

قال ابن السكيت : اراد بقوله : غير موقف راكب،  
الا ان راكبا وقف ، يعني نفسه . وقال غيره : لم يرد  
الشاعر هذا ، ولكنه ذهب الى ان «غيرا» نعت  
للرسم ، تاويله : اتعرف رسما غير موقف راكب ،  
أي ليس بموقف للراكب لاندراس الآثار منه وامحاء  
معالمه فتمتى بصر به الراكب من بعد دهر منه ، فلم  
يقف به . . » .

العرب : انا سر يسير هذا الامر ، أي انا اعلم الناس  
به . ومنه قول الأنصاري يوم السقيفة : انا جديلهما  
المحكك وعديقهما المرجب ، أي انا اعلم الناس بها .  
فالمراد من هذا التفسير التعميم لا التحقير .  
والجديل : تفسير الجدل ، وهو الجدع ، واصل  
الشجرة . والمحكك : الذي يحتك به ، اراد انا  
يشتفى برأيي كما تشتفى الابل اولات الجرب  
باحتكائها بالجدع . والعديق : تفسير العلق ، وهو  
الكباسة ، والشمرخ = العظيم . والمرجب : الذي  
يعمد لعظمه . وقال لبيد في هذا المعنى :

وكل اناس سوف تدخل بينهم  
دويبية تصفر منها الانامل

فصفر الداهية معظمها لها لا محقرا لشأنها . . .» .

واختلف العلماء في التفسير ، قال الرضى  
(120) : « قيل : يجيء التفسير للتعميم ، فيكون  
من باب الكناية ، يكنى بالصفر عن بلوغ الغاية في  
العظم ، لان الشيء اذا جاوز حده جانس ضده . . .  
واستدل لمجيء التفسير للإشارة الى معنى التعميم  
بقوله :

وكل اناس سوف تدخل بينهم  
دويبية تصفر منها الانامل

ورد بان تفسيرها على حسب احتقار الناس  
لها وتهاونهم بها ، اذ المراد بها الموت : أي يجيئهم ما  
يحتقرونه مع انه عظيم في نفسه تصفر منه الانامل .  
واستدل ايضا بقوله :

فويق جبيل شاهق الراس لم تكن  
لتبلغه حتى تكمل وتمملا

ورد بتجاوز كون المراد دقة الجبل وان كان  
طويلا ، واذا كان كذا فهو اشد لصعوده » .

نضيف الى ذلك ان تفسير اللفظ المفرد لا يفيد  
الا الصغر وما احاط به من ظلال وإبحاءات كالرحمة  
والاشفاق والعطف والتدليل وما اليها . اما المعاني  
الاخرى التي تسبغ على الألفاظ المصفرة نتائجها من  
تأليفها مع الفاظ أخرى في سياق واحد واللفظ لا

(120) شرح الشافية 1 : 191 .

(121) 292 . وانظر 167 - 8 ، 196 ، 223 ، 234 ، 237 ، 265 ، 270 ، 272 - 3 ، 297 ،

299 ، 333 ، 341 ، 353 - 57 .

(122) 183 . وانظر 197 ، 219 ، 238 .

ج - الاقوال . وهي تعادل الشعر كثرة ،  
ويتفاوت حفظها من طول تناول . واقصر امثلتها  
قوله (123) : « ومن الاضداد ايضاً : قولهم : ائسنت  
ان تذهب معنا ، يحتمل معنيين : احدهما ائسنت  
الا تذهب معنا ، والآخر ان تذهب معنا . وكذلك  
نشدتك انه ان تذهب معنا ، يحتمل المعنيين  
جميعاً ... » .

ووضع هذه العبارات في الاضداد غريب ،  
انكره بحق المستشرقون وعبد الفتاح بدوي . فلا  
يوجد لفظ معين يمكن ان يُلصق به معنيان متضادان .  
وانما يستفاد المعنيان من السياق والقرائن .

21 - المقلوب من العبارات ، بان ينسب الحدث  
الى غير فاعله . وامثلته نادرة عنده كقوله (124) :  
« ويقال تهيبت الطريق وتهيبني الطريق بمعنى ، وهذا  
من الاضداد .. قال ابو بكر : وهذا عندي مما يقلب  
لان اللبس يؤمن في مثله ، فيقال : تهيبني الطريق ،  
لانه معاوم ان الطريق لا تهيب احداً .. » .

ووجد ابن الانباري مجموعة من الالفاظ تقارب  
الاضداد ، ولكنها لا تماثلها كل المائلة ، فميزها عنها  
بعض التمييز ، وسماها احياناً « اشباه الاضداد »  
واحياناً « ما يجري مجرى الاضداد » ونجد تحت  
الاسم الاول الاصناف التالية :

1 - الالفاظ ذوات المعاني الحقيقية والمجازية  
قال (125) : « سمع حرف من الحروف التي تشبه  
الاضداد يكون بمعنى وقع الكلام في اذنه او قلبه ،  
ويكون سمع بمعنى اجاب . من ذلك قولهم : سمع  
الله من حمده ، معناه اجاب الله من حمده . ومن هذا  
قوله عز وجل : ( اجيب دعوة الداعي اذا دعان ) قال  
بعض اهل العلم : معناه اسمع دعاء الداعي اذا دعان .  
وقالوا : يكون سمع بمعنى اجاب ، واجاب بمعنى  
سمع ، كقولك للرجل : دعوت من لا يجيب ، اي  
دعوت من لا يسمع ، وانشدنا ابو العباس :

دعوت الله حتى خفت ان لا

يكون الله يسمع ما اقول  
اراد يجيب ما اقول . وقال جماعة من المفسرين :  
معنى الآية اجيب دعوة الداع اذا دعان فيما الخيرة

(123) 200 - 202 . وانظر 159 ، 160 ، 206 .

(124) 56 .

(125) 80 . واورده ابن الدهان 12 ، وعقب عليه بان فيه نظراً .

(126) 231 .

للداعي فيه ، لانه يقصد بالدعاء قصد صلاح شأنه ،  
فاذا سئل ما لا صلاح له فيه فان صرفه عنه اجابة  
له في الحقيقة . . . والحق ان الاجابة معنى مجازي  
لسمع ، لان السمع اول مرحلة من مراحل اجابة  
الطلب او الدعاء ، او هي نتيجة السمع عند الرضى .  
فلا اجابة بدون سماع . ولما كان الامران بهذا الارتباط  
صح توسيع معنى السمع والاجابة بحيث تشمل  
المراحل كلها . فهذا الاستعمال توسع وتجاوز لا تضاد .  
ولا شبهه . ويبدو من عبارة ابن الانباري انه ينقل  
كلام بعض الناس قبله . ونفع في هذا السنف  
لنظري كس وطبخ الذي سبق الكلام عليهما .  
واعترهما ابن الانباري من اشباه الاضداد .

2 - الالوان . قال (126) : « وما يشبه حروف  
الاضداد الاحمر ، يقال : احمر للاحمر . ويقال رجل  
احمر اذا كان ابيض . قال ابو عمرو بن العلاء : اكثر  
ما تقول العرب في الناس اسود واحمر . »

قال : وهو اكثر من قولهم اسود وابيض ، وانشد  
ابن السكيت لاوس بن حجر :

واحمر جمدا عليه النسور  
وفى ضينة تغلب منكسر  
وفى صدره مثل جيب الفتا  
ة تشفق حيناً وحيناً تهر

قوله : في ضينه : معناه وفي ابطه . والشغلب :  
ما دخل من طرف الرمح في جبة السنان . وقوله :  
تشفق حيناً : شقيق الطمئة ان تدخل الريح فيها  
فتصوت . وهر : معناه تقبب . وكذا قال عن  
الاصفر والاخضر والاسود . ولكن هذه الالفاظ  
جميعاً لا تضاد ولا شبهه فيها ، وانما الالوان نفسها  
لا تكون خالصة ، فبعضها اصفر مائل الى السواد ،  
وبعضها ابيض يشوبه شيء من حمرة ، وبعضها اخضر  
يغلب عليه السواد . . . وهكذا . ولم تضع العرب  
الفاظاً خاصة لجميع هذه الالوان الفرعية ، اكتفاء  
بالرئيسية منها ، فاصبح اللفظ الواحد يطلق على  
الدرجات المختلفة من اللون ، فظن انه من الاضداد .  
وادخل الصغاني وابن الدهان هذه الالوان كلها في  
اضدادها ، كما ادخل قطرب فيها الاصفر .



3 - عبارات الاستهزاء . قال (127) : « ومما يشبه الاضداد قولهم في الاستهزاء : مرحباً بفلان ، اذا احبوا قربه ، ومرحبا به اذا لم يريدوا قربه . فمعناه على هذا التأويل : لا مرحبا به . فالمعنى الاول اشهر واخرى من ان يحتاج فيه الى شاهد . والمعنى الثاني شاهده :

مرحبا بالذي اذا جاءه الـ

خير او غاب غاب عن كل خير

هذا هجاء ودم ، معناه مرحباً بالذي اذا جاء غاب عن كل خير ، جاء الخير او غاب . وتأويل مرحباً : لا مرحبا به ....

« ومما يشبه الاضداد ايضا قولهم للعاقل : يا عاقل ، وللجاهل اذا استهزؤوا به : يا عاقل ، يريدون يا عاقل عند نفسك ، قال الله عز وجل : ( ثم صبوا فوق راسه من عذاب الحميم ، ذق انك انت العزيز الكريم ) معناه عند نفسك ، فاما عندنا فلست عزيزاً ولا كريماً . وكذلك قوله عز وجل فيما حكاه عن مخاطبة قوم شعيب شعيباً بقولهم : « انك لانت الحليم الرشيد » ( ارادوا انت الحليم الرشيد عند نفسك ) قال الشاعر :

فقلت لسيدنا يا حليم

انك لم تأس اسوا رفيقاً

اراد يا حليم عند نفسك فانما عندي فانت سفيه .

وهذه العبارات لا تضاد ولا ما يشبه فيها ، فالمتكلم حين وصف الجاهل بالعاقل لم يقصد قط ان يصفه بحقيقته وهي الجهل ، بل اراد وصفه بالعاقل . واهني بذلك انه لم يقصد قط ان يصفه بحقيقته وهي الجهل ، بل اراد وصفه بالعقل . واهني بذلك انه لم يرد ان تصور انساناً جاهلاً بقولسه « يا عاقل » ، بل ارادنا ان تصور انساناً عاقلاً ، ونستحضر هذه الصورة امامنا حتى نمثلها احساساً بها ، ثم ننظر الى هذا الجاهل ونرى مدى انطباق

الصورة عليه . ومن المفارقة في الصورتين يأتي الاستهزاء والضحك . ولو كان يريد منا ان نتصور انساناً جاهلاً بقوله هذا ، ما جعلنا نضحك ، لان الصورتين ستنطبقان : ولا تبرز المفارقة بينهما ..

اما الصنف الثاني ، او ما يجري مجرى الاضداد عنده ، فهو الاعلام التي يختلف في هويتها او امجبيتها . قال (128) : « ومما يفسر من كتاب الله جل وعز تفسيرين متضادين قوله عز وجل : « طه » . قال بعض المفسرين : معناه ، يا رجل ، بالسريانية . وقال فيره : معناه : يا رجل ، بلغة عك ، وزعم ان عكا يقولون للرجل : طه ، وكذلك للرجال والنسوة ، وانشد :

ان السفاه كطه من خليقتكم

لا قدس الله اخلاق الملايين

وقال الاخفش : طه علامة لانقطاع السورة من السورة التي قبلها . وقال الفراء : طه بمنزلة السم ، ابتدا الله جل وعز بها مكتفياً بها من جميع حروف المعجم ، ليدل العرب على انه انزل القرآن على نبيه باللغة التي يعلمونها والالفاظ التي يعقلونها كي لا تكون لهم على الله حجة . «

وقال (129) : « ومنها ايضا يعقوب يكون عربياً لان العرب تسمى ذكر الحجل يعقوباً ويجمعونه بعاقيب ، قال سلامة بن جندل :

اودى الشباب حميدا ذو التعاقيب

اودى وذلك شأو غير مطلوب

ولى حثيثاً وهذا الشيب يطلبه

لو كان يدركه ركض البعاقيب

واجري نفس القول على اسحاق ، وعلى لفظ من غير الاعلام ، هو مشكاة ، التي قيل انها حبشية ، وقيل عربية . ولا شك ان الاساس الذي اقام عليه ابن الانباري القول بتضاد هذه الاعلام او جريانها مجرى الاضداد منهار لا قائمة له ، ولا يحتاج الى تفنيد ..

(127) 156 ، 157 . واوردهما ابن الدهان 11 ، 16 .

(128) 314 .

(129) 337 .

# تحليل ونقد

الأستاذ محمد إبراهيم الكتاني  
الرباط

وكان أبو الطيب اللغوي هو الذي أزال كل ابهام عن اللفظ فقال : ضد الشيء ما نأفاه ، وليس كل ما خالف الشيء ضدًا له .

وذكر في الفصل الثاني أن موقف اللغويين القدماء من هذا النوع من الالفاظ اختلف ، فارتضى جماعة منهم وجودها ، واعترف بها ، وتحدث عما يندرج تحتها من الفاظ ، وعللها أحيانًا ، وكانت هذه الجماعة أسبق في الظهور من معارضتها إذ كان منها أبو عمرو بن العلاء ، والخليل بن أحمد ، ويونس بن حبيب ، وتلاميذهم ، واستمر المنتسبون إليها في البقاء إلى يومنا هذا .

أما الجماعة الأخرى فاعترضت على الأضداد وانكرتها ، و نعرف من انتمى إليها من القدماء غير ابن درستويه ولا تصح نسبة ذلك لشعرب ، وكثير أرباعها في العصر الحديث ، فكان منهم عبد الفتاح بدوي كاتب مقالة (ضدان ) في دائرة المعارف الإسلامية ( مادة أضداد ) وكان منهم أغلب المستشرقين الذين كتبوا المقالات والرسائل الصغيرة في رفض الأضداد .

وقد دافع القائلون بها عن وجودها وردوا على ما قاله المعارضون ولعل أهم من قام بهذا العمل أحمد ابن فارس ، وابن سيده ، ومحمد بن القاسم الأنباري ، فأقام ابن سيده دفاعه على الجدل العقلي ، واعتمد ابن فارس في أحد رأيه على طبيعة اللفظة

كتاب (الأضداد في اللغة) تأليف حسين محمد ، من الجمهورية العربية المتحدة تناول فيه بالدرس العميق الهادي الرزين المستوعب ظاهرة الأضداد في اللغة العربية من جوانبها المختلفة ، وأولى عناية خاصة لدراسة مواقف المؤلفين من الأضداد قديما وحديثا خصوصا المشتبين والنافين لها . ويقع في 129 ص ، وقد جمعه في مقدمة وبابين وخاتمة ، فاستعرض في المقدمة نشأة الدراسات اللغوية في اللغة العربية ، مؤكدا أن اللغويين تنبهوا للأضداد في القرن الثاني فشرعوا يلتقطونها ، ويشيرون إليها ويتحدثون عنها .

وكانت الشجرة الطبيعية أول تدوين للأضداد في اللغة العربية ، وكانت هذه الشجرة الأولى باكورة عدة ثمار جمعت الأضداد ودرستها ، وحول هذا الثمار تدور الصفحات الآتية : متاملين ، متدقيقين ، ومقدرين .

وتناول الباب الأول الاختلاف في مفهوم الأضداد وفيه خمسة فصول : تعريف الأضداد ، والاختلاف في وجود الأضداد ، وأصل الأضداد ، وشروط الأضداد ، وأنواع الأضداد .

فذكر في فصل تعريف الأضداد أن قطريا ذكر أن من اللفظ الواحد الذي يجيء على معنيين فصاعدا ما يكون متقادا في شيء وضده ، وتابعه ابن الأنباري ، وأبو حاتم السجستاني .

العربية . وفي الراي الثاني على الرواة الذين نقلوا لنا الاضداد ، وكان ابن فارس اكثر توفيقا في دفاعه عن الاضداد واقرب الى طبيعة اللغة وما تفرضه من مناهج ويؤسفنا الا نعثر على كتابه الذي الفه في الدفاع عن الاضداد .

واما ابن الانباري فقد تناول واحدا من آراء المنكرين ورد عليه بل لعله اهم راي لهم .

ولما كانت كتب المعارضين من القدماء، لم تصل الينا كنا مضطرين للاعتماد على حكايات غيرهم عنهم .

وقد اجملت دائرة المعارف الاسلامية والدكتور منصور فهمي الادلة التي اعتمد عليها المستشرقون في انكار الاضداد ...

وفي اصل الاضداد ، ذكر ان اللغويين منذ تنبهوا الى الاضداد واختلفوا فيها وهم في محاولة دائبة لتعليلها والكشف عن نشأتها وكيف وجدت في اللغة ، واشترك في هذه المحاولة من انفتحت آراؤهم ومن اختلفت ، ومن اعترفوا بها ومن رفضوها والقدماء والمحدثون والعرب والمستعربون.

واختلفت الطرق التي سلكها العرب وغير العرب في دراسة هذه الظاهرة اللغوية في كثير من الاحيان ، فقد اوغل بعض المستشرقين في تاريخ البشرية وارجع ظاهرة الاضداد الى العصور القديمة عندما كان العقل البشري في سداخته فلم يكن يفتن لما يحتويه من تناقض ، وتوسط بعضهم في الايفال فام يرجع الى التاريخ البشري واقتصر على التاريخ العربي القديم . وان العرب اقترضوا بعض هذه الاضداد من اللغات المجاورة لهم ولما كان معناها الاصلي قد تختلف ابعاءاته فقد ادى ذلك الى التضاد في اللغة .

واقصد بعضهم الاخر ونظر في تاريخ الجماعة الواحدة فوجد فيه من التطور ما يؤدي الى التضاد دون استعارة من الخارج .

ولم يلتفت فريق الى التاريخ وبحث عن العلة فيمن يراه من جماعة وفرد وما يسودها من ظواهر ذات تاثير في اللغة فذهب الى ان بعض المعانسي المتضادة يرتبط بعضها ببعض وتتدامى في الذهن فيتؤدي الى التضاد .

اما اللغويون العرب فقصروا جهدهم على الالفاظ العربية ولم يبعدوا عنها لا تاريخا ولا لغة ولا اجتماعا، وحاولوا ان يتبينوا اصولها ونشأتها ومسالكها في اللغة العربية نفسها ، ويؤدي بنا التأمل الدقيق في العال التي اوردها الدارسون للغة العربية نفسها دون حاجة الى الفلسفة او للعشور على نظرية عامة او الابعاد في مجال التفكير البشري الى ان اهم ما قالوه من علل واخطره هو المعنى الاصلي للالفاظ فنحن في حاجة الى اعادة النظر في هذه الالفاظ وفيما ذكره لها اللغويون من معان ونسب حاجة الى محاولة استكشاف الطريق الى المعنى الاصلي الحق لها ، الذي لا يابه بما حولها من ملابسات ، ولا بما يرتبط من اشواط، سائر في طرق معتدلة آنا ومعوجة آونة ، فان وصلنا الى ذلك المعنى غمرنا الضوء من كل مكان ، واستبان لنا تطور اللفظ ، وما اكتسبه من معان ودلالات ، وما احيط به من ظلال ، جعلته مشوبا بالغموض احيانا ، وعرضة للخطأ احيانا اخرى.

واما بقية العال فهي ارتباد لبعض الطرق التي سلكها اللفظ ليصل الى درجة التضاد ، مثل اللغات، والمجاز والحذف للتخفيف وما اليها من امور .

كذلك يؤدي بنا التأمل الدقيق في الاقوال السالفة الى نتيجة قد تبدو غريبة ولكنها حقيقية واقمة ، اعني انه لم يوجد من اللغويين على قدر ما نستطيع الحكم من خلال ما عندنا من معلومات من ينكر وجود الاضداد في اللغة العربية الفصحى ، فمن رفضوا اضدادا ورفضوا اصالتها ، اريد انهم رفضوا ان تكون وضمت اصلا للمعنيين المتضادين ، ولكن ما خضعت له من تطور بالتوسع او المجاز او الحذف ادى الى وجود لفظين متماثلين في كل شيء بحيث لا يمكن ان نفرق بينهما ونعدها لفظين متمايزين غير ان معنييهما متضادان ، كذلك ادى انصباب الروافد القبلية دون تمييز بينها في تيار العربية الفصحى الى ما اشبه الظاهرة السابقة فالفصحى بصورتها الراهنة تحتوي على هذا النوع من الالفاظ ( الذي نسميه الاضداد ) باعتراف جميع القدماء ، وان اختلفت اصول هذه الاضداد والطرق التي سلكتها الى التيار الحالي .

ويؤدي بنا ايضا الى نتيجة اخرى اجمع عليها المنكرون والمؤيدون هي قلة الاضداد في اللغة العربية الفصحى ...

وفي شروط الاضداد ذكر انه اذا كان من انكر الاضداد اطلق قوله فيها ثم اضطر الى التراجع قليلا منه عندما استقصى النظر في اللغة ، او احتوى قوله على ما يومية الى تراجع ، فاننا نجد الظاهرة نفسها عند المؤيدين لوجود الاضداد او بعضه .

لقد كان في وهم المؤلفين الاولين ان الاضداد الفاظ تلال في اللغة فحاولوا جمعها وابرازها وتحت اثر من هذا الاحساس ومن هذه الغاية جمعوا مع الاضداد الفاظا كثيرة مدوها اضدادا وهي واهنة الصلة بها وكان اكثر المؤلفين وقوما تحت هذا الاثر قطرب اول من كتب عن الاضداد ، فاضطر من جاء بعده الى ادخال ما قاله في كتابه ، كيلا يتهم باناه فانه من الاضداد شيء .

ولكن اهل القرنين الثالث والرابع كانوا قد اخذوا يتخصصون من هذا الاثر ، بمد ان راوا ما راوا امامهم من قبل كتب الاضداد ، فآخذوا يبيدون النظر فيها ، وفي اضداد قطرب خاصة ، وينقدون منها كثيرا .

وعند تتبع هذا النقد استخلص المؤلف كثيرا من الشروط يجب ان تتوفر في اللفظ حتى يدخلوه في الاضداد ، ولكن الامر المؤسف ان هذه الشروط اهملها واضعوها انفسهم ، ولم يطبقوها على كثير من الالفاظ التي دونوها في كتبهم .

وبالرغم من ذلك تتبع المؤلف هذه الشروط لاهميتها في توضيح صورة الاضداد في اذهانهم ، وان لم تتحقق كل التحقق في كتبهم .

واهم مؤلف يكثر عنده هذا النوع من الاتوال هو ابو بكر محمد ابن القاسم الانباري ونستطيع ان نقول انه يضع الشروط التالية في اللفظ ليمده من الاضداد :

1 - ان تكون صيغة اللفظ في المعنيين المتضادين واحدة ، اي ان يكون المعنيان المتضادان لفعليين او اسميين او صفتيين ، وكل منهما على صيغة واحدة ، ولا يحكم بالتضاد فيما شد من ذلك .

2 - كذلك اشترط ان يكون للصيغة الواحدة معنيان متضادان لا يمكن ردهما الى معنى واحد .

3 - واشترط ابن الانباري ايضا ان يكون المعنيان لصيحين لا من ابتكار العامة .

4 - واشترط ان يكون المعنيان معروفين استعمالهما العرب في حوارهم . . وبيندو ان ابا الطيب يتفق مع ابن الانباري في هذا الرأي ايضا ، وان لم يعان ذلك صراحة .

5 - واشترط ابو الطيب ان لا يكون المعنى الثاني مجازيا .

6 - واشترط في المعنى ان لا يكون مقلوبا او مزالا عن جهته .

7 - وانفرد ابو الطيب- اللغوي باخراج مجموعة من الالفاظ تتضاد في معانيها ، وتتماثل في صورتها ولكن هذه الصورة التماثلة في ظاهرها مختلفة في حقيقتها اذ تختلف العنل الصرفية التي وصلت بها الى صورتها .

8 - بل ذهب الى ابعاد من ذلك واخرج من الاضداد ما اختلفت صيغ المجرد والمصدر منه من الافعال . ثم استخلص من هذا مجموع صورة الاضداد في ذهن قطرب ، او عدم وجود حدود لها ، واخذها في الموضوع والجلء ، والتحدد على مر الزمان فكانت اللمحعات الاولى منها عند ابي حاتم السجستاني ، ثم كان كمال التحدد والبروز عند ابن الانباري وابي الطيب .

ويعتبر الفصل الخامس في (انواع الاضداد) اطول فصول الباب الاول ، اذ يستغرق احدى وثلاثين صفحة . وبالرغم من احساس العلماء بان الاضداد ثبات عدة ، فان المؤلف لم يجد بين القدماء من حاول ان يصنفها قاصرا او شاملا ، وبالرغم من ان المحدثين اضطروا الى الفصل بين انواع منها ليسهل عليهم رفضها او تمليلها فانهم لم يرتقوا بهذا الفصل الى ان يكون تصنيفا .

والرجل الوحيد الذي حاول شيئا من ذلك هو عبد الفتاح بدوي ، ويبدو انه اراد ان يعرض ما فات اللغويين فاعطانا تقسيمين ، اما الاول لتصنيف ومحكم ، ويقوم على اساس نحوي ، فقد جعل الاضداد اربعة انواع .

وكان التقسيم الثاني واسعا ينظر الى عدة اساس بحيث تغيب عن النظر الذي يريد ان يصل اليها فالاضداد في هذا التقسيم تقع في عشر طوائف .

وبعد ان ذكرها المؤلف ذكر انه يعني كثيرا بالتقسيمات النظرية وان كان لن يهملها كل الاهمال

وأنه سيجمل همه كله في تتبع الأنواع المختلفة التي أدخلها مؤلفو الأضداد فعلا في كتبهم إذ اختلف النظر والتطبيق عندهم ، وأنه سيبدأ بأول مؤلف : قطرب إذ توسع في تصور الأضداد أكثر من غيره ، حتى اضطر من جاء بعده إلى تقضيه ورفض كثير منها ، وأنه سيتبع كل صنف منها بما وجه إليه من نقد .

قد وصلت الأصناف عنده إلى ستة عشر صنفاً وضاف ابن الأنباري إليها خمسة أنواع أخرى فصارت واحداً وعشرين نوعاً ، قبل مؤلفنا منها نوعاً واحداً هو ما سماه بالأضداد الحقيقية ويبين في العشرين الباقية كلها أنها ليست من الأضداد في شيء .

ووجد ابن الأنباري مجموعة من الألفاظ تقارب الأضداد ولكنها لا تماثلها كل المماثلة ، فميزها عنها بعض التمييز ، وسماها أحياناً ( أشباه الأضداد ) . وتناول الباب الثاني جمع الأضداد وتدوينها وفيه أربعة فصول : أسباب هذا الجمع وأهدافه . وبواكير جمع الأضداد ، وكتب في الأضداد وفصول في الأضداد .

وقد لخص الفصل الأول في آخره فذكر أن الدفاع الذي حمل اللغويين على تدوين الأضداد تغير من جيل إلى آخر ، فقد بدأ هوية في القرن الثاني ، ثم صار تقوى تحمل على إزالة ما قد يمتري بعض الآيات من غموض في القرن الثالث ، ثم تحول إلى رغبة في الدفاع عن العرب ولغتهم أمام الدهاوي الشعوبية في أوائل القرن الرابع وحب المعرفة المجردة في ذلك القرن أيضاً ، وانتهى إلى الرغبة في منح الباحثين من المحسنات اللفظية ذخيرة لغوية جديدة في العصور المتأخرة .

وتغير الهدف الذي سمي إليه كل من هؤلاء المؤلفين : فبينما كان أولهم قطرب يسمي إلى استقصاء الأضداد من نهر اللغة مباشرة ، استكثر هذا أبو لحاتم ووجد الأسبيل إليه واقتصر على التطلع إلى جمع ما أمكن ، ثم سعى ابن الأنباري إلى الجمع ولكن من الكتب المؤلفة قبله ، وإضافة بعض الشواهد والمثل ، وسمى أبو الطيب إلى ذلك مع التخصيص بقدر ، ثم كان الهدف الاختصار والجمع معاً .

وبواكير جمع الأضداد ، ذكر أن الخليل كان بعد الأضداد من عجائب الكلام ووسع العربية

قد أشار إلى قدر منها في ( العين ) وروى واحد من الأضداد من يوسف بن حبيب ، ورويت ثلاثة عن الكسائي وما نسب إلى الفراء لا يمتدى الضد أو الاثنين .

وتكثر الأضداد بعض الشيء عند أبي عمرو الشيباني ثم تكثر وتتنوع عند أبي زيد الأنصاري ، وبقي بعض الناس يوردون أضداداً بعد عهد التأليف فيها ، دون أن يشاركواهم في تدوينها في كتب خاصة ، مثل ابن الأعرابي .

ويعتبر الفصل الثالث من الباب الثاني الخاص بكتب الأضداد أطول فصول الكتاب إذ أنه يقع في 52 صفحة .

فقد عثر في أثناء بحثه عن الأضداد على أسماء ثلاثة وعشرين كتاباً فيها ، ثم أورد أسماءها مرتبة بحسب وفيات مؤلفيها ، مع بيان المفقود والوجود منها والمخطوط والمطبوع .

ثم تصدى للكلام على كل واحد منها بخصوصه ، وأصفاً دارساً مقارناً ناقداً . في أثناءه وثبت وأنصف .

وفي الفصل الرابع والأخير عن فصول في الأضداد ، درس ما ورد في الغريب المصنف لأبي عبيد القاسم بن سلام وأدب الكاتب لابن قتيبة ، والمخصص لابن سيده ، والزهر للسيوطي .

ولخص في ( الخاتمة ) النتائج التي توصل إليها في الكتاب .

#### الأضداد ظاهرة لغوية :

فالداهن ينكرها للوهلة الأولى ، ويأبى أن يصدق وجود لفظ واحد يدل على معنى وضده ، وعلى هذا الأساس أنكرها من أنكرها ، ولكن هذا الأساس لم يمنع أن يؤمن بها جماعات من القدماء وقلة من المحدثين ، وكانت الفئة الأخيرة أو أفراد منها هي التي حاولت أن تملل هذه الظاهرة الغريبة ولعل ظاهرة لغوية أخرى لم تحط بمثل سوء التفاهم الذي أحيطت به ظاهرة الأضداد ، فمنذ عهد ميكر اختلف اللغويون فيها ، وما زالوا مختلفين ، فإذا تأملنا ما دار بينهم من نقاش وجدنا الفاعلهم وعباراتهم تتناثر وتتصادم ، والمؤدى الأخير لما يقولون واحداً ، فهم يتجادلون حول تصورين لا تصور واحد . وفي

مجالين لا مجال واحد ولو تحدثوا عن تصور واحد ،  
وفي داخل مجال واحد ، لهذا كثير من الخصومة ويطل  
كثير من الأدلة ، وربما ضاع الخلاف .

فقد كان المنكرون للأضداد ينظرون في مجال  
ضيق لا يتجاوز آية لهجة قبلية على حديثها ، ولما لم  
يعتزوا على الأضداد في داخل اللهجة الواحدة انكروا  
الأضداد برمتها وأبوا أن يسموا بالأضداد ما جاء دالا  
على معان متضادة في لهجات قبلية مختلفة ، وأن  
ضممتها اللغة العربية بعد .

وقصر المنكرون تصورهم على الألفاظ في وضعها  
الأول واعتلوا أنهم لم يجدوا لفظا واحدا وضعه العرب  
حين وضعوه إلا على معنيين متضادين ، أما إذا كان  
الاستعمال أو التبدلات اللغوية أو التغييرات الصرفية  
قد أدت بعد ذلك إلى أن تزول الفوارق بين بعض  
الألفاظ ذوات المعاني المتضادة فتبدو الآن في صورة  
واحدة ومتضادة المعنى ، فليس ذلك من الأضداد  
عندهم .. وتستطيع أن تقول : أن كل لفظ توفر له  
سبب ما فإدى به إلى الدلالة على معنيين متضادين  
يأبى المنكرون أن يسموه ضدا ، مهما كان السبب :  
لهجات قبلية أو حذفا ، أو تخفيفا ، أو ابدالا ، أو  
إملا ، أو مجازا ، أو تبالا وتطيرا ، أو ما شاكل  
ذلك من أمور ، وإنما الضد عندهم يجب ألا يكون  
هناك سبب في دلالة هذه ، بل وضع أصلا لها .

أما المؤيدون للأضداد فوسعوا نظريتهم  
ومجالهم : نظروا إلى اللغة العربية في شمولها  
وعومها فنفت نظرهم وجود هذه الفئة من الأضداد ،  
ثم لم يعنوا بالبحث عن أسبابها ، أو - أن شئنا  
الدقة - لم تهتمهم الأسباب فقد عرفنا أسبابا  
للظاهرة ، وأعلن أكثرهم أن كثيرا من الأضداد دالية  
من اللهجات القبلية ، وكشفوا عن كثير من هذه  
الطائفة من الألفاظ ، ولا خلاف بينهم وبين المنكرين  
غير أنهم ارتضوا تسمية هذه الألفاظ القبلية بالأضداد ،  
ولم يرتضها الآخرون .

كذلك لم يقصر المؤيدون نظرتهم على الألفاظ عند  
وضعها الأول ، بل أهملوا هذا الوضع هامدين إذ لا  
أهمية له عندهم . وامنوا النظر في الألفاظ العربية  
التي يسمونها ، ويتحدثون بها ، ويدونون ما يدونون ،  
فوجدوا فيها فئة من هذه الألفاظ التقطوها ومنحوها  
اسم الأضداد ، دون أن يابهاوا للأسباب التي أدت إلى  
ذلك ودون أن ينكروا هذه الأسباب ، بل لقد شاركه

بعضهم كقطرب في الكشف عن بعضها  
كالتوسع وما شاكله لأن وجود سبب للتضاد لا يتنافى  
عندهم مع التسمية .

ولعل الإجابة عن الأسئلة التالية تزيد كل لبس  
أمام المتنازعين :

1 - هل توجد في العربية الفصحى التي نعرفها  
اليوم الفاظ ذوات صورة واحدة ومعنيين متضادين ؟

اعتقد أن أحدا لا يستطيع أن ينكر هذا الوجود .

2 - هل تعد هذه الألفاظ ظاهرة خاصة يجدر  
بها التسجيل بين الظواهر اللغوية ؟ اعتقد أن أحدا  
لا ينكر هذا أيضا ، وأضيف إلى ذلك أن هذه الظاهرة  
لا تنفرد بها اللغة العربية ، بل توجد في بعض اللغات  
السامية كما كشف بعض المستشرقين ، وفي بعض  
اللغات الأوربية كما كشف الاستاذ عبد الفتاح بدوي ،  
وإذن لوجود الأضداد ليس منقصة للغة العربية كما  
ظن الشمويون قديما ، وكما يفهم من أقوال بعض  
المستشرقين حديثا ، مما كان واحدا من الدوافع  
- في اعتقادي - التي حملت عبد الفتاح بدوي على  
المغالاة في رفض الأضداد .

3 - هل تستحق هذه الظاهرة تسمية خاصة ؟  
اعتقد أن كل ظاهرة مهما كان شيوعها يجدر بها أن  
يكون لها اسم خاص ، أما المؤيدون فقد سموها  
( الأضداد ) فإذا كان المنكرون يجدون لها تسمية  
أكثر ملاءمة ، فأهلا بها .

4 - هل الأضداد بالشيعوع الذي صوره القدماء؟  
واضح من الدراسة الماضية أن تصور الأضداد اختلف  
من وقت لآخر ، ومن رجل إلى رجل ، فضاقت حينها  
وأتسع آخر ، فكان تصور الأضداد ضيق المجال في  
بإدائه الأمر مند المتحدثين فيها دون أن يحاولوا لها  
جمعا أو تدوينا ، ولكن هذا التصور اتسع اتساعا  
غريبا عند أول مؤلف في الأضداد ، قطرب ، لتشمل  
شئنا غريبا من الألفاظ ، مما يدل على أن قطرب لم  
يكن يحسن تصور الأضداد ، ولا أحسن وضع الحواجز  
الفاصلة بينها وبين غيرها ، واضطر أكثر من جاء  
بعد قطرب إلى تضيق المجال الذي وسعه ونفى كثير  
من الفئات والألفاظ التي أدخلها في كتابه ، فأخذ  
تصور الأضداد في الوضوح وحدودها في البروز ،  
ثم اتسع المجال مرة أخرى عند ابن الأنباري خاصة لما  
أدخل من أنواع جديدة من الأضداد ، وإذن فالمجال

كان متغيراً عند القدماء ، وما أظن إلا أنه كذلك عند  
المحدثين وأن كان أضيّق مندهم منه عند القدماء .

5 - هل تمد كل الأنواع التي اتفق عليها  
القدماء من الأضداد ؟

اعتقد أن أحداً لا يجادل في أن ذلك مستحيل ،  
وأن بعض ما عده القدماء من الأضداد لا يستحق  
هذه التسمية ، وضرب لذلك أمثلة :

أ - ما اختلف في تفسيره من الآيات والأشعار  
والأقوال .

ب - الفاظ وعبارات التفاضل والتطير  
والاستهزاء

ج - ما وضع في الألفاظ تعسفاً أو تكسراً ،  
مثل الألفاظ التي تختلف معانيها دون أن تتفاد ،  
والألفاظ التي تتضاد معانيها بسبب ما يتعلق بها من  
أدوات كرفب عن والى

6 - ما السبيل إلى معرفة اللفظ الجدير باسم  
الضد ؟

اعتقد أن السبيل الوحيد إلى ذلك هو المعنى  
الذي يدل عليه اللفظ ، وهنا احتراز فأقول المعنى  
الذي يدل عليه اللفظ ، وأعني بهذا الاحتراز أمثال

هذه الألفاظ التي لم يحسن بعض اللغويين التنبه إلى  
معناها الحق ونسبوا إليها معاني بدت متفاداة ،  
فالصريم الوقت المنقطع أعني الوقت المنقطع من وقت  
آخر ، كالليل يقطع من النهار والنهار يقطع من الليل ،  
وليس الصريم الليل خاصة ولا النهار خاصة

وأمثال ذلك كثيرة ، تفتن إليها بعض القدماء  
أنفسهم ...

وإذن فما وجدنا من الألفاظ معانيه تؤول إلى  
معنى واحد لا تضاد فيه يجب أن نخرجه من الأضداد ،  
وما دل من الألفاظ على معنى واحد : سواء كان معنى  
خارجياً أو ذهنياً يجب أن نخرجه من الأضداد ، وما  
دل من الألفاظ على معنى واحد : سواء كان معنى  
خارجياً أو ذهنياً يجب أن نخرجه من الأضداد .

وإنما يجب أن يكون الضد لفظاً واحداً ، ذا  
صورة واحدة ، ومميين متضادين حقاً لم يكن  
الجمع بينهما ، تلك هي الصورة الصحيحة للأضداد ،  
وذلك هو السبيل التويم إلى تطبيقها .

ويتجلى من هذا المرض القيمة العلمية لهذا  
الكتاب وما يدل فيه مؤلفه من الوقت والجهد وما  
تحلى به من الصبر والتثبت والثبات ، وما تحراه من  
دقة التعبير والتجرد .

# النظرة اللغوية ونشوء العربية

الأستاذ محمد يوسف نور الدين  
بيروت

ان اللغة هي منزل الكائن البشري هيدجر... وان اساس اللغة لا يقوم على ما تحويه من كلمات ، وانما يقوم على تركيبها الخاص وبماكاننا ان نقول : ان العرب في ظل الاستعمار ، لجأوا لحماية هويتهم الى اللغة العربية أو بالحري الى اللغة العربية القديمة . ومن هنا نلمس قوة وصلابة قيم ومزايا العربية التي ناضلت بنجاح ، لا ضد غزوات اللغات الغربية المسلحة بقدرتها علمية ، على الايصال وحسب ، وانما كذلك ضد اللهجات « المحلية العامية » التي حاول الاستعمار تغذيتها لزرع الفرقة والتجزئة (المستشرق جاك بيرك) .  
- والتطور اللغوي ونشوء العربية مفاخرتان في قلب الزمان ، وشوق الانسان اليهما ، الاولى : سفر في التاريخ وغوص الى اعماقه ... ثم ارتفاع مالد الى شواطئه الحاضر ، محمل بلاليه الاعماق . والثانية : ارتقاء الى المستقبل ، وحوم على اماليه... ثم اكتشاف فني سديد يعود بالبشرى المقامر . من هنالك كانت نشأة اللغة العربية ، وبهذا السبيل النشوي تسير فلان توقف بعد اليوم .  
فاللغة بالاصل وجدان يتراعى بالكلمة ، وهما مرآة ذات وجهين في ايها نظرت تطالعك البهجة . فحاضرنا مشكل ، عديد المشاكل ، وقد زج انساننا العربي في اعتم المقلقات واطرها ، ان في لغته ، او في عقيدته او في وجوده .

وعندي ان في هذه المقلقات اللغوية متشابكة تشابكا .  
وقد ماش هذا القلق المصري ، مفامر ، يتخطى ، نكتب منذ ثلاثين عاما ، كتاب « مقدمة لدرس لغة العرب » لذا فهذا يعني بان هذه المقدمة هي لاقتضادات معاصرة ، تتائر في كل مكان من ارضنا العربية وتسير الى صعوبات اللغة العربية ومشكلاتها ، او تؤكد سهولتها واطمئنانها حتى لقد تألفت في ذلك مؤلفات جملة .  
وبعد فاقول : بان اللغة هي وجدان يتراعى بالكلمة ، وهما مرآة ذات وجهين ، في ايها نظرت تطالعك البهجة .  
من هنا كانت نشأة العربية ، وبمجرهاها تسير ، فلا تتوقف بعد اليوم .

## العربية واللغات الاخرى :

فاذا هاجر السكان او ماتوا ، خلت المنازل والفتقر غناها ، لهم روحها التي بها تحيا ، واذا تبعت العيون وشاهت الوجوه حالت المرايا وتمكر صفاؤها وانسد استمدادها ، فالصور الصطوبمة عليها وجهها الذي تبدو .

اللغة منزل الكائن البشري ومرآة فكره ، يلجأ اليها لتأكيد وجوده وينطلق بها لتحقيق رغباته .  
لكن المنازل تفنى بسكانها ، والمرايا تصفو وتجمل بالعيون الناظرة اليها والوجوه المصورة عليها .



اللغات موطن الشعوب ومرايا أشواقهم .

## ادوار اللغات ونشوء العربية

ان تاريخ النشوء اللغوي وتطور اللهجة ، من المواضيع التي لا تزال أقرب الى الغموض منها الى التبيين . ومحاولة الكشف عليها تبسط رأيا جديدا حول موضوع الغموض ، لم تتوقف عند بحوث المتكلمين وجدلهم بقضية اللغات اهي توقيفية، هكذا وردتنا من الله ؟ أم وضعية ، تعارف عليها الانسان ؟ كما لم تقتنع بتقسيمات ، علماء المقابلة اللغوية في هذا العصر .

والحديث عندنا هو ان اغلب اللغات ان لم تكن جميعها قد مرت في ادوار ثلاثة ، مرتقية منها ام غير مرتقية .

1 - دور المقطع البسيط : وهذا يعني بان المقطع كان واحديا غير مركب مثل (ba) وفي هذا الدور ولد الجدول الهجائي ( ا ، ب ، ت ، ث ، .. ) الخ .

بمختلف اصواته، بمختلف حركاته العربية، وان كل صوت يدل دلالة بعينها ، فمثلا ، (عو) يدل على الحيوانات الزئيرية و (وا) يدل على الصوت المخافت والمتكرر بحركة الفكين .

2 - دور المقطعين : اي دور الجمع بين مقطعين واحدين للدلالة على معنى جديد ، ويعتبر هذا الدور دور محاكاة الطبيعة في مختلف اصواتها ، وفي آخره قصد الانسان الى التاليف من منطقه ، فجمع الانسان السامي بين المقطعين البسيطين (عو) و (وا) للدلالة على ان الحيوان يعوي فتوصل الى (هوا) بمعنى حيوان يصوت أو يواصل التصويت .

والى هذا الدور تنظر المعلمات في العربية ، فهي ثنائية الوضع مؤلفة من مقطعين واحدين فقط .

وباستقرار العربية في الثلاثي بدأت تصحح الصوت فيها ، وتستحصل مثل (هوى) بمعنى صوت الحيوان .

3 - دور المقاطع : اي دور الجمع بين المقاطع البسيطة الواحدية وبين المقاطع الثنائية ، لتاليف دلالة مركبة .

وكان هذا الدور يقصد الانسان تلبية لحاجته الماسة اليه . وفيه اتخذت العربية وحدتها الكاملة واستقرت في الثلاثي .

واللغة العربية موطن العرب ومرآة تفكيرهم . فالمقارنة بين طبيعة اللغات ومميزاتها الحيوية من جهة، وبين طبيعة اللغة العربية وخصائصها من جهة ثانية . فالمقارنة الحقيقية بعيدة عن طبيعة اللغة العربية ، وملاساتها في حياة العربي ، وعلى تحديدها وادراكها يتوقف تصحيح الاسلوب التعليمي وتقويم المنهج التربوي ، واقتصاد الجهود المبذولة .

لان هذه الاسباب اثرت على النفس العربية تأثيرا شديدا وطبعها بطابع غريب من الزهد باللغة .

ومن هذا التأثير وهذا الطابع .

1 - طغيان اللغات الاجنبية على حياتنا العامة في كل مرافقها الضرورية كالبيع والشراء ، حتى يكاد العربي يشعر بالقربة في محيطه العربي وبين ذوي قرباه .

2 - الرغبة الثقافية : وهذه الرغبة لا تتحقق للعربي ، ما لم يلم الاما كبيرا بلغة او اكثر من اللغات الاجنبية ، لان الانتاج الفكري والعلمي المعاصر اجنبي بكل نواحيه .

واننا في حاجة ضرورية لان نعد عقلا عربيا امدادا ثقافيا كاملا ولا يتسنى له ذلك الا بالاقبال على اللغات الاجنبية ، فالمستحضرات الكيماوية ، وقطع الفيار للصناعات الثقيلة وغيرها والادوية كلها لا يوجد لها مفردات مترجمة في العربية ، فاضطر المثقف العربي لان يلم بأكثر من لغة ليتسنى له ان يسير في تيسار التطور والرقي العالمي والعلمي والادبي .

3 - الامتياز : بمعنى ان متعلم اللغات الاجنبية المتحدث بها ، شخص ممتاز او مميز ، لان هذه اللغات بالنظر العام ، عنوان الحضارة في الحياة والشخصية وعنوان الترف العلمي ، والاجتماعي ، والمقلي من كل الوجوه .

وليس في جميع اسباب الشكوى ما يرجع الى طبيعة اللغة وجوهرها وانما هي اسباب مرضية ، غير موضوعية ، خامرت اجيالنا ، فلم تلم بلفتها الام واستصعبتها، ومالت الى اللغات الاجنبية واستسهلتها إلا ان في نظري بان اللغة العربية هي اسهل اللغات ، ان في قانون نحوها ، وصرفها ، أو املاءها أو اشتقاقها بل اكثرها آلية اذا صح التعبير .

كل هذا لا يعني خلو العربية من الغوضى .

وإذا كان الإنسان الفطري لم يتوصل إلى الجدول الهجائي بترتيبه الحالي ، فإنا توصل إليه كمجموعة لكلمات اللغة الفطرية .

وإذا كان الجدول لا يضمن الدراسات نكل كلمة من كلمات اللغة على وجه التحقيق ، فإنه يمكننا الإطمئنان إلى انفصال اللغة عنه ثنائية ثلثية .

كما يمكن الاسترواح بترتيبها الحالي هي ثمانية وعشرون حرفاً .



ان الإنسان القديم جمع بين مقطعين واحدتين للدلالة على معنى جديد .

لقد شرع الإنسان يسمى وراء مقاصده في هذا الدور ، وأخذ يحاكي الطبيعة ومن هذه المحاكاة التي تعتبر مصدره اللغوي الوحيد ترك ثروة لغوية هي أكثر المقاطع الثنائية .

ومن طبيعة الإنسان معاني الجدول الهجائي يوقفنا على مستوى الاخيلة الواضحة ، ويساعدنا على تحقيق التطور الوصفي وتاريخ الاستقاق .

واننا نورد هنا مقالين يوضحان ان الثنائي من وضع هذا الدور ، هما عبي ، والمعلات .

المثال الاول : عبي، تحلل إلى حروفها ع : وتدل على الحيوان الزليري ، ب وتدل على البيت .

ا - ابدال الهمزة : وهذه ظاهرة قليلة من باحثي الاستقاق العربي قد تنبهوا لها ، مع ان لها خطورتها في بناء الكلم وتحرير معانيها ، فمثلاً : اخي اصلها وحي :

ب - الحذف والتضعيف : وهذه أيضاً ظاهرة لغوية لم ينتبهوا إليها وهي بلا ريب عظيمة الأهمية من حيث وجوه المعرفة .

وخلاصة القول : في ان الإنسان حاكي الطبيعة بمختلف أصواتها ، وقصد في آخرها إلى التأليف من منطقتي بالمعنى الذي أوضحناه ، للتأليف والجمع بين مقطعين احاديين وترك ثروة هي أكثر المقاطع الثنائية .

وختام تمهيدنا هذا لادوار اللغات ونشوء العربية لقد مرت شتى ضروب اللغات بأدوار ثلاثة : المقطع البسيط والمقطعين والمقاطع . وأنها لتؤلف جميعها الدور اللغوي البدائي .

ولقد حبيبت لغات واميتت لغات، وهناك لغات اخذت بالحياة ، وهذه الأخيرة وحدها الفت المهسد اللغوي الثاني عهد اللغات المرتقية .

وتقسم هذه المرتقية باعتبار مرونتها للتصريف والاشتقاق إلى متصرفة وغير متصرفة .

### دور المقطع البسيط :

1 - الإنسان الفطري: ان لبحث الإنسان الفطري، علما قائما بذاته هو علم الإنسان « الانثروبولوجيا » وما يهمني من ذلك الإنسان الفطري في موضوعي هو البحث عن أصواته السليقية ، التي استقرت في هايتها على صورة وكانت لهجة ، ولا تعتبر الأصوات لهجة ما لم تستقر .

أما إذا أخذنا في تحليل كلمات العربية على معاني الجدول خرجنا بمقارنات يمكن عليها فرض التطور، واليك بعض الأمثلة من الكلمات التالية : شجر ، جبل ، جمل ، سمك .

المثال الاول : شجر ، شجرة وتحل إلى حروفها، ش : معناه سن وهو ينظر إلى مطلق النبات ، ج ومعناه جبل ، وهو ينظر إلى مطلق الارتفاع، ر : ومعناه رأس .

أما المعنى المؤلف : نبات مرتفع له رأس ، وهو تماما معنى الشجر وانظر إلى تخصيص اللغوي الشجر بما له ساق .

المثال الثاني : جبل وتحل إلى حروفها ، ج : ومعناه ينظر إلى الارتفاع ب ، ومعناه بيت ، ل ومعناه الملاصقة والمساس .

والمعنى المؤلف : بيت مرتفع ملاصق ، وكأنه للسحاب أو للارض وهو تصور صحيح عن الجبل .

ومن هنا لا نظمن إلى القول ، بأن لغات العالم تفرمت من مصدر واحد ، وانما هي وليدة أسباب مكانية اجتماعية ، وانفرادية كالعادات وليدة الطبايع والظروف .

ورأينا كذلك حالة لا بد منها في نشوء اللغات ،  
واليه يرجع الثاني بما في ذلك المعلمات ، رأسا على  
وجه الاطراد لان واحدا من هذه الحروف ليس اصلا .



لقد كان يقصد الانسان تلبية لحاجته ، اذ كان  
يجمع بين المقاطع البسيطة الواحدة وبين المقاطع  
الثنائية لتأليف دلالات مركبة . ان العربية اتخذت  
وحدتها في هذا الدور واستقرت في الثلاثي .

ان هذا الدور هو عصر الحجر المهدب الذي تم  
فيه للانسان كثير من الرقي ، واننا نستعرض ادوار  
النشوء في بناء هيكل اللغة على سنة تدريجية غير  
أخذة سبيلا من الطفرة او قائمة على اسس المفاجآت  
المحضنة .

ولقد كان الانسان بحاجة في هذا الدور الى  
الخطاب المبسوط ، بحكم عوامل الرقي والحضارة  
والتطور ، فلقد وجه العناية الكاملة الى اصلاح المنطق .

ولقد قسم هذا الدور الى حلقات ، تعاقبت على  
اعتبار الثلاثي ، ولم تتغير في اساسها ، وانما اختلفت  
في نسب جعلت بينها تفاوتنا ارتقائيا فقط ...

— وفي بحث هذه الحلقات ، حصرنا النظر في  
التطبيق على العربية ، ان تطبيقها فيما عدا العربية  
يحتاج الى مجهود اكبر ، وعرض اوسع .

1 — يتكون المنطق اللغوي والتعبير عن حاجته .

ب — تكثير اللغة وخوض الزيادة ...

ج — النضج اللغوي عند العرب كما يظهر في  
قاعدة القلب ، ومستلزماتها ونتائجها .

د — المعاني التركيبية ، وطريقة الغربي في  
وضع الرباعي من الثلاثي ...

هـ — المنطق اللغوي ... والتعبير عن الحاجة .

لقد بدل الانسان ما في اسمه في سبيل ان  
يخضع ما حوله من أجل معاشه ، واعمل الحيلة لتكوين  
منطقه بين مطالب العيش الجديدة فصارت له لغة على  
مقياس من تفكيره وحوادثه ...

ومن المعقول بان المنطق اللغوي قد امتد الى  
آخر العصر البرونزي الذي تم فيه للانسان وضع  
الحجر الاساسي في بناء الحضارة .

لقد بقيت لغة الانسان في المنطق اللغوي على  
غير تناسب ولا نظام ، اجتهد في اصطناع كلماتها لابرار  
ما في نفسه ولنقل ما يريد الى من يشاركه الحياة  
ويجاور المسكن .

وتتألف من :

1 — المفردات ذات المقطع الواحد .. أصبحت  
فيما بعد الجدول الهجائي .

ب — المفردات ذات المقطعين ، وهي المعلمات  
في دور النضج اللغوي .

ج — وأخيرا ذات المقاطع ... وهي في النهاية  
ذات وحدة في العربية منها تصدر كلمات العربية واليها  
تنسب .



ولقد اخترمت الكتابة في هذا العهد ، ما يثبت  
لنا التقدم الاجتماعي ، وعلى العقلية اللغوية الراقية ،  
ويشير الى سمو هذا القسم من الوجة اللغوية .

المهم ان اللغة لم تعد اتكالية ابدا بمعنى ان الانسان  
لم يعد يتكلم في تكثير اللغة وتسمية الاشياء ، على  
المصادفات الطبيعية والملابس الظرفية بل اصبح  
يلجأ الى التأليف والتركيب عند الحاجة وحسب  
المقتضيات .

ولقد بقيت اللغة فوضوية لسببين :

1 — لم يهتد اللغويون الى ترتيب جدول الهجاء  
على وجهه .

2 — وكذلك لم يهتد اللغويون الى قانون الزيادة  
ومكانها ، فكان يريد على الثاني هكذا من غير تقرير  
لموضع الزيادة .

وهناك تباين بين المنطق اللغوي ، والاكتثار من  
اللغة ويرجع هذا الى فرقتين أساسيتين هما: التركيب  
والتصدد .

1 — فالثلاثي في المنطق اللغوي كان عبارة عن  
تركيب مؤلف من ثلاث كلمات ، فلم يكن مفردا في  
مفهومه وان تعين بحكم دلالاته وموضوعه والثلاثي في

الاكثار اللغوي كان عبارة من مؤلف حرفي ، لا دلالة لحروفه على الانفراد في اللغة الابية . :

2 - ان الثلاثي في تكثير اللغة دخله القصد في ان يكون ثلاثيا بينما كان ثلاثيا بضرورة تشخيص الموضوع للواضع .



بعد الاطلاع على ما سبق نعتقد بأنه تم النضج اللغوي عند العرب فلم تعد اللغة في حاجة الى شيء مما كانت تحتاجه أولا ، بل خضعت خضوعا عاما لا اصول في الوضع ، اعتبرها اللغويون ( الفيلولوجيون ) اسما وارفع ما عرفت امة من الامم ، لقد رتب العربي الجدول الهجائي في طور الاكثار من اللغة ، فلقد كان لمرتب الجنوب على ترتيب خاص يكتبون بها .

ولقد اجتهد في تنظيم قاعدة الوضع حتى استخلص قاعدة موزونة جدا ، وهكذا رتب الجدول الهجائي واصبح ضروريا ان نتكلم في تحديد معاني حروف الهجاء بما تسمح به النصوص المحفوظة .

ومعقول العربي ، في ترتيب الجدول الهجائي ، وفي اعتماده القاعدة بكل فروعها ، وفي ثورته اللغوية التي اخضع فيها لقاعدة جميع مواد اللغة ، هذا معقول وحده يكفل بقاء العربية في مواجهة المستقبل ...

ومن هنا كانت ثورة اللغويين على الانحرافات المضلة ، والاهوام العربية التي تشد معقول العربي حسب العربية للفرد العربي .

ولقد عبر العربي عن معقوله اللغوي الراقى بقاعدة على مواد اللغة .

1 - تصحيح المعاجم

ب - الوقوف على الدخيل من الاصيل .

ج - ان ناخذ الوضع الجديد على مقتضاة لنسد نقص اللغة ونكفي حاجتها .

### معاني الحروف العربية

بما تقدم من شرح ، ولر العربي لفته كل عناصر البقاء ، فاعتمد الجدول الهجائي ، بمعانيه الممومية ، نواة اللغة .

واعتمد كذلك خصائصه الحيوية ، ووحدة الكلمة حتى لقد اخضع جميع القوانين اللغوية وكرسها خدمة للغة .

ولم تعد لغة العربي في حاجة لغير مكملات تتحكم باللغة وتنفي عنها التريث البطيء ، وتدفع بها الى المد غير المنجزر .

ولو بقي العربي في جزيرته العربية لبلغت اللغة العربية اوجها في الازدهار والتطور وتنظيم تلك المكملات ، ولما بقيت على فوضى الموازين ، والجموع والمصادر والافعال .

فتوقف تطور هذه اللغة بداعي الخروج من جزيرته ، وتخلل العرب في بقاع متباعدة من الارض .

حتى لقد صادف الفرد العربي من لغته المعاني التركيبية ما لم تؤديه له في النضج اللغوي ، ولقد لاحظ ان معاني هذه اللغة لا تبني سوى على الثلاثي ، كما لاحظ ايضا ان هنالك زيادة في المعنى تفتقر الى ما يؤديها لتتم دلالتها .

من هنا اثبتت حاجة الفرد العربي الى الزيادة ولقد توصل العربي في هذه الحقبة من الزمن الى التعرف على زيادات تصريفية ، جعل موضعها في اول الثلاثي ولم تولد الافعال الرباعية والخماسية ، وكانت هذه الزيادة ، قد استنهدت في وقتها لان العربي كان بحاجة اليها ، وعليه فالزيادات على اقسام :

1 - زيادة البناء : وتتكون هذه الزيادة من الثلاثي ولوضعها الوسط .

2 - زيادة الاشتقاق ، وتتكون من الثلاثي لكي يحصل العربي على الرباعي وما اليه وموضوع الاخر .

3 - زيادة التصريف : من قبل كنفعل واستفعل ، وموضعها الاول غالبا لعدم الالتباس .

4 - اما زيادة الاسناد : كفربت ليست من اقسام الزيادة على معنى التأليف ، بل ان الكلمة تصبح مركبة ، لانها سواء كانت علامة او ضميرا فانها حاجة غريبة عن الكلمة ، وقد تصاف لجمال الاسلوب .

هذه هي الطريقة الفضلى التي كان على العربي ان يسير اليها منذ حقبة من الزمن بعيدة .

لاستحصال الرباعي والخماسي .

## التطور في اللهجة

لهجة منزلة كبرى وذات أهمية من اللغة ، ولا تقل شأنًا من الالفاظ ، لأنها قد تكون وحدها فارقا على خطر . ويجدر بنا أن نقول أن تعرضنا للهجة العربية بحد ذاتها ، فهي متعددة الوجوه ، ومتعددة الاجناس ويتكلمها خلق كثير فعلىنا إذن أن نتناول هذا البحث من هذه الزاوية من خلال الوجهة العامة وليس تعرضي لكل قبيلة أو لكل جنس على حدة بل بصورة شاملة عامة .

### 1 - التطور الصوتي :

أن الباحثين والمدققين عن اللهجات أخذوا بقايا التطور المستمر في قبيلة ما علما عليها وحدها ، ولم يراعوا اعتبارات اللهجة الواحدة .

فهذا هو الخطأ بعينه لانه لا يصح من كل وجوهه، وبالتالي لان ما كانوا يسمونه باختلاف اللغات ، ليس له هذا المعنى حقيقة ، بل انها بقايا تركها التطور الذي لم ينته من تكامله .

ومن الامثلة التي خفيت على اللغويين ما يلي :

يعقيد : وهو المسل الذي يعقد على النار وكذلك يعصيد وهي بقلة مرة لها لبن لرج .

النفويون لا يترددون فيما ذهب اليه صاحب المصباح وغيره من الكتب اللغوية، مع اعتبار أن الكلمات السابقة هي ابنية اسمية اشتق عليها توسمه .

ولكن القول بأن العربي مر بهذه الكلمات في عهد من المهود اللغوية السابقة كافعال فقط ، فقد كان العربي يتخذ من الفعل وصفا ينطبق بالحركة حرفا ، فلا عجيبة أن يكون العربي قد وصف بهذه الافعال ، مثل يعقيد وينبوع .

وهكذا تطورت اللغة وظلت هنا دالة على مسمياتها مع الاحتفاظ بكونها الاثير الذي ينظر الى وجوده السابق ، وبرهان ذلك يتلخص في :

1 - بقاء اللهجة المتقدمة على لسان بعض القبائل العربية فمثلا لقد ورد في الجاهلية على لسان الشاعر الاسود عنتر كلمة ينباع في قوله :

ينباع من ذفري غضوب جصرة  
زيافة مثل الفنيق المكدم

وأن هذه الطريقة هي نظرية ليس للمرء أن يشك بها ومستوجبا الاخذ بها ، ولا بأس من ايراد امثلة تؤكدها ، كالقرطاس ، والعنقاش ، وختلم .

فالقرطاس : ذكرت المعارف الاسلامية معتمدة تحقيقات : ان القرطاس هو ورق البردي وانتهى الى انها دخيلة .

ولو عدنا الى ما قبل هذه الحقبة لوجدنا بأن القرطاس يرجع الى قرط ، والقرط هو ورق الكواث، ولما كان الورق من البردي على نسق ، ايسط ، اضافوا اليه السين لكي يبرهن ويدل دلالة على اهم مميزات الورق النباتي المذكور .

ف ، قرط + س = ورق البردي .

فالقرط مجموما الى السين يدل على السعة والبسطة ويعطي المعنى التحليلي للقرطاس .

- وعنقاش : ومعناه المتجول في القرى وهو كذلك بحسب القاعدة يرجع الى الثلاثي .

عنى : ومعناه شدة المسير ، والشين تدل على التفشي وعدم النظام ، وعليه فالدلالة التامة له السير على غير نظام ، وهو المقصود من التجول في القرى .

- وختلم : ويرجع الى ختل في الاصل وهي موضوعة لاخذ الشيء خفية .

وهكذا كان فأخذ العربي من الاولين هذه القواعد لقاعدة العربي هذه نوائد أهمها :

1 - وضع حد للتعريب .

2 - وضع قاعدة صحيحة لابعاث اللغة .

3 - افاة غير محدودة في الوضع للمستقبل ، وسد حاجة اللغة من بين هذا المد العلمي الزاخر بالمصطلحات .

4 - تصحيح المعاجم من الاقدمين ، الذين كان اعتقادهم بأن الرباعي وما اليه تولد بالتركيب والاختزال ، فظن بأن بعثر من بعث - اثير - ومثل شعثب من شق - حطب -

وقد يظن بأن هذا الاخذ الجديد الذي تدل العربية عليه ، من اقرار الموازين بدلالات قارة ، واقرار الاقفال على باب واحد ، وكذلك المصادر والجموع كل هذا لتصل العربية الى المستوى الذي كانت ستصل اليه لو بقيت في محيطها بدون براح .

والانتهاء بمتحرك هو الضمة الممدودة او الواو ،  
ويبدو اليه احتفاظ عمرو بالواو في املايته. ومن  
بديهي القول ان معرفة العرب للكتابة قديم جدا وان  
كان تطورها بطيئا ، وهكذا نرى بان عمرو ، كلمة زيدت  
عليها الواو التي لا فائدة منها ولا غناء ، اما القول بانها  
للتفريق بين عمرو و عمر فامر هو اقرب الى التخريف  
منه الى التطور ، وانطلاقا من كلمة عمرو نرى :

ا - النصوص الحميرية : مثل اخت امهواى  
اخت امه .

ب - ما فى لسان بعض القبائل من تحريك  
ضائر الجمع للغائب من مثل عليه اليهم وهو معروف  
فى الكلام على قراءات القرآن الكريم .

ج - احتفظت العربية بالوقف بالروم فى بعض  
المواقف ، والروم مختلطة تميل الى الضم .

د - لقد زادت العرب النون فى فعل فعلوا  
واصبحت فعلون ، لتمكين المنطق والتخلص من  
الصوتية .

هـ - بناء فعلين ، يرجع بأمره الى بناء فعل  
فعلون فهذا من أعمال الاتباع وهو قانون شائع فى اللغة

### الدورة اللغوية الطويلة

ان الظن فى هذا القسم هو انه من المؤكد انها  
محركة الاخر ولم تتحرر الكلمة من التقاء الساكنين  
ومعنى هذا ان اسبابا من البناء اللغوي القائم ، جعل  
اللغة تنهيا للتحلل وان لم يكن على الوجه الاكمل ، وعليه  
فقد بقيت الحركة تنطق حرفا فى كثير من مواضع  
الكلمة اى لم تمد تنطق كذلك باطراد ، ومن ثم كان  
وجه للتحلل وان لم يكن على الوجه الاكمل وعليه فقد  
بقيت الحركة تنطق حرفا فى كثير من مواضع الكلمة لم  
تمد تنطق كذلك باطراد ومن ثم كان وجه للتحليل .

ولمى امتقادنا وبحثنا ان اللغة دارت دورتها وكانت  
طويلة جدا ومثمرة كثيرا وخلمت فيه من حركة الاخر ،  
ولكنها تخبطت فى تجارب كثيرة حتى خرجت العربية  
نهائيا بتجربة الاعراب المدهشة .

- ولقد حاول الاستاذ ابراهيم مصطفى صاحب  
كتاب ( احياء النحو ) دوس هذه الظاهرة على وجه  
تعليمي نشوئي ولو دوس العربية للنهج التطوري الذي  
ناخذ اللغة للوصول الى حلول حقيقية وغير رايه فى  
اشياء كثيرة .

ووردت عند غيره ينبوع ، فهنا يبرز التباين فى  
اللهجة ، بينما يرجعها اللغويون فى المعاجم القديمة الى  
بابي طرب يطرب ، وحقد يحقد ، نبع ينبع .

2 - ويذكر بعض اللغويون كابن الاثير والانباري  
وابن منظور فى لسان العرب وغيره من اللغويين وكتبهم ،  
كلمة نعم بانها نصت بنعم كما كذلك وردت فى نعام .

اما النتيجة فواضحة بان هذه الكلمات هي افعال  
مضارعة الرية بقيت فى اللغة على سبيل التحفة الالرية .

ورى بعض اللغويين كابن فارس والفيروزابادي  
وتاج العروس بان العربية مرت بمهدين :

ا - العهد الصوتي : ويمتاز بقيام اللغة العربية  
على الحروف ، ومحافظتها على اسلوب القرآن الكريم  
بالفاظ متفاوتة حركة وصرفا . مع الترداف المصنوي  
- مثل شيمال وشمال .

ب - العهد اللفظي : ومن اهم مبتكراته قيام  
العربية على الحركات وبثحررها ، ولكن تحررا موضعيا  
من الصوتية وبتركما قوانين تمد اللغة للتحرر عنى  
الاطلاق .

ونقدر ان نقول بان فى هذا العهد بلغت اللغة  
الشوط النهائي من ترقى اللهجة .

### ب - صوتية اللغة :

يجب ان يمتاز هذا القسم من الفصل الثانى  
تطور اللغة العربية بامور هامة جدا وهي :

- على المتكلم ان ينطق كل حركة حرفا ، فهذا  
مما يدلنا انه كان هنالك كلمات فى اللغات العربية  
ولدت بمهود صوتية كما فى المثل المتقدم سابقا ،  
شيمال وشمال ، ومما لا شك فيه بانها وردت كذلك  
بمهود كانت اكثر صوتية ، حيث كانت مركبة من حروف  
ذات اصول لمغلولات بعضها .

- يفرض على المتكلم ان يبدأ كلامه بحركة ساكنة ،  
وان ينهى حديثه بمتحرك ، نظنه الواو كما فى الاشوية  
والبابلية فالابتداء بالساكن ، وهذا مما يدلنا على ان  
اللغة مرت فى عهد اكثر سكون ونطقت فيه ساكنة  
الاول مثل : اجفيل ، واخريط ، امشوشب ، وقد  
اضيفت الهمزة للتوصل الى النطق بالساكن من مثل :  
امرؤ امرأة ابن الخ ...

ونخلص الى القول بان الفرد العربي كان همه ان يميث التطور الصوتي ولا يقصد الى التكاثر والتزايد، ولكن وجدت هناك اسباب عملت على حفظ تلك الاثرية في اللغة، مما ساعدنا على استنتاج ما نستنتج لتصحيح ما اخطأ به اللغويون ومن اقرار العربية في الوجة التي قصد اليها العربي، والتي تستطيع بها وحدها ان تكون لغة للمستقبل بين اشياؤه الباقية .

### الاسباب التي حفظت الاثرية

من الاسباب التي ساهمت في حفظ الاثرية في اللغة العربية هي :

- 1 - التشخيص العلمي : ومن ذلك يربوع ويسروع .
- 2 - القصد الكنائي : ومن ذلك باجوج وماجوج .
- 3 - حدائة الارتقاء : ومن ذلك انطور وطومار .
- 4 - الكتابة : وذلك لاحتفاظ الفرد في الاملاء بواو عمرو الزائدة مثلا .

1 - التشخيص العلمي : وقولنا هذا يعتمد على ان نتخذ اللفظ مفهوما شخصيا وان يحتفظ بمدلول معين ، فمن الممقول جدا الا يتاثر اللفظ بالتطورات التي تعرض لاصله الا نادرا بعد التشخيص العلمي لانه فارقه في المعنى . ومن الاثرية في هذا القسم من حفظ الاثرية من الافعال المضارعة .

- 1 - يسروع : اسم دويبه تكون في الرمل .
- 2 - يربوع : اسم دويبه اكبر من الفارة .
- 3 - يعسوب : اسم دويبه من النحل شبيهة بالجرادة .
- 4 - يقطين : نبات معروف .

ب - القصد الكنائي : القصد الكنائي يشابه التشخيص العلمي ، ولكن ذلك في المعاني ، فدلالة الكلمة او التركيب ليس الا المعنى المثلى فقط ومن الاثرية المحفوظة في القصد الكنائي ياوجوج وماجوج .

اما القصد بكلمة ياوجوج ما يلزم عن معناها الكنائي من التاجيح المتدافع ، والتاجيح في كل شيء . اما لغويا فياوجوج فعل مضارع من ثلاثي اججج .

اما ماجوج فهو اسم مفعول منه ، وهو التاجيح للمتدافع واظن انه كله يستعمل لعهد القرآن كمثل في هذا المعنى .

ومما ساعد على حفظ مثل هذه الكلمات ووردها في النصوص القرآنية . فبقي لها امكنة واسعة رحبة .

وكذلك ورد في الاحاديث النبوية الشريفة على ما اظن جوع يرقوع ، وفرس يعبوب ، وطريق ينكوب وارض يخضور ، واعتمدنا في تفسير حركات الافعال في ابوابها الستة فالابواب الستة المشهورة هي :

نصر ينصر ، ضرب يضرب ، فتح يفتح ، علم يعلم ، كرم يكرم ، ورت يرت .

- الكتابة : ومن اهم الاسباب التي حفظت ، وعملت على بقاء الاثرية في اللغة هي الكتابة اطلاقا ومن ذلك قولنا في اسم عمرو والواو الزائدة فلولا الكتابة لما وجدت الواو في آخر الاسم .

وان النتائج في هذا البحث تتجلى في تاريخ التفريغ اللغوي وضبط عين الثلاثي ، وانطباع العربية بطابع الاعراب لهذا البحث اهميته الكبرى وهو تاريخ التفريغ اللغوي لانه الاداة الوحيدة للتاريخ والتشعب المدبر .

ان التطور في اللهجة يؤكد البرهان على اهمية الثلاثي ، كما يؤكد كذلك بان اللغة العربية انفصلت بمد تمخضات وبلوغات طويلة واستوت في اكمل ما تكون لغة بما لها من مميزات فانها في الميسرات المبينة في الاعراب والبنية لادق لغة في ملابس اللفظ للمعنى ملاسبة حقيقية .

ومن ذلك ان المثني شاهدا قاطعا لا يقبل التردد في غيرها ، فاننا حين نرى المذهب البياني في اللغات قاطبة يعبر عن الاثنين بسبيل الجمع ندهش كثيرا وعلى وجه غير محدود للدقة العربية ، التي تبالغ في اعتباره ونجد غيره شيئا كئارا يشهد بدقة العربية كلفة، ويشهد بمقدار التسامي اللغوي في طبيعة الفرد العربي .

### التطور في اللغة

كان بإمكاننا ان نلج هذا الفصل نظرا لاهميته في طليعة تعرضنا للبحث عن اللغة العربية ولكننا تركناه الى الفصل الثالث ، بعد تعرضنا لخرابين أساسيين من

ولهذا الامتناع عن الزيادة وعزو ذلك الى القرآن الكريم ، انه نظم حواشي العربية ، وأخصمها لقانون بياني ثابت وأمات ما هو متراوح الفوص فيها، وانعشها بحيوية أخرى جديدة .

على ان ابن اسحاق لم يفهم السر الصحيح لهذا الانجرار وقد صرحت به لغير مرة من المقدمة. وهو توزع العرب في الانحاء ، وتناول المدرسة اللغوية العربية على وجه خرج جدا من النطاق اللغوي .

فالقرآن هو الذي اعتمد لغة قریش في افصح محتوياته ، والذي أمات منها القسم الغوضوي وقد رجع بعض اللغويين الى امتداد تجديد هذه الغوضى .

وخلاصة القول بان التطور عمل عمله في مادة اللغة كما عمل في صورتها ، وكان من ابرز ما قام به من اعمال منتجة في حروف الاعلال .

— من ابرز القوانين التي وقفت على تاريخ ماهية اللغة هي :

ا — ان لقانون منع الانتقال من الكسر الى الضم اقدم من تمام تحلل اللغة من الصوتية الى اللغوية .

ب — كان لاببدال حرف اللين الهمزة تخلصا من الصوتية ، ولابد ضرورة وهو متأخر عن قانون منع الانتقال .

ج — ان قانون الاتباع بالحركة متأخر جدا .

ان لكل قبيلة نطقا خاصا ولهجة خاصة بها، وكلمات تختلف عن كلمات الاخرى ، فمنهن من نطقت بـ نثدلان، وكذلك اخرى تقول زئبر ، فهذه الكلمات متخلفة تمام التخلف عن الارتقاء والتطور اللغوي واللهجي . اذن فالاستناد الى معرفة التطور من خلال قبيلة واحدة او من خلال قبائل خطأ ، فيجب على من نصبوا انفسهم لهذه الدراسات ان يجعلوا معلوماتهم صحيحة ويقارنوها الى محيطات متطورة ومتحضرة وليس الى محيط خاص بجماعة معينة بل ان يعرفوا المحيط المتطور ثقافيا ، واجتماعيا ، ولغويا ويلجوا بابه لمعرفة مدى تطور لغته ، وان يقارنوا هذا التطور مع تطورات اخرى من جهات اخرى لمعرفة النسبة التي سوف تكون نتائج حاسمة بالنسبة لهذه الدراسات .

### ج — تطور الافعال :

لقد سبق لنا ان بينا قاعدة الافعال في الاثريات المحفوظة من بقايا اللغة وبسطنا معقول العربي في

ضروب دراستنا ، وما يتبعهما من تشعبات وافضان يستندان الاهمية التي امتروضتنا في الفصلين السابقين فمن ذلك ادوار اللغات ونشوء العربية ثم التطور في اللهجة وقد طبقنا كل شيء على العربية ، وقد عيننا باللهجة شكل اللغة المتطور من الصوتي الى اللفظي ، وهنا نصوغ الفكرة .

### ا — نظرية التطور :

لقد مرت اللغة العربية كغيرها من اللغات في ثلاثة ادوار كما افصحنا سابقا ، دور المقطع ، والمقطعين ، والمقاطع وهذا يعني انها جابهت تطورا من الاحادي الذي كان مجموعة حروف الجدول الهجائي التي تمثل لغة الانسان الاول المعرض في القدم .

ومنها صارت الى الثاني والثالثي حيث استقرت فيه ونشطت في حلقات خمس ومن هذه النشاطات كان الرباعي والخماسي والسداسي .

فاللغة كانت كما اسلفنا بتطورها صوتية ، ثم لفظية لكنها في تطورها الصوتي احتفظت بعدة وجوه صوتية بسبب مفادرة العربي لجزيته من جهة وبسبب الذين تناولوا اللغة ، وكان طابع مدرستهم الجمع فقط، ثم الوقوف في وجه كل اجتهاد يرمي الى تحرير اللغة من الاثريات القلقة في الافعال والموازين ، والجموع الا ان خلاصة قولنا ان اللغة العربية تطورت لغة ولهجة ، ولكنها توقفت قبل بلوغ ما كان يقصده العربي منها .

### ب — اللغويون الاولون :

للموى التطور من قبل اللغويين الاولين صفة ذات اهمية ، ولرايهم الخاص بهم ، كذلك اهمية نعلق عليها املا كبيرا اذ ان الذين يبذون اراءهم بتطور اللغة ليسوا ممن نبتهم الحياة ، بل من اولئك الذين عرفوا كيف يبذون رايهم وفي هذه الراء زبدة دسمة نحن بحاجة ماسة اليها والى معرفتها والاطلاع عليها .

قال ابن اسحاق: وان الزيادة في اللغة العربية امتنع العرب منها بعد بمث الرسول العربي (ص) لاجل القرآن . وان معنى هذه العبارة صريح وواضح ، وهي ان العربية كانت خاضعة للتغيير المستمر ، فاللغة بين الزيادة والتنقيح على سنة غير متخلفة ، وهذا هو الغرض المقصود من التطور .



نسوية الاختلاف بين ابواب الماضي والمضارع ، ونحن نتناول الان الفكرة بشكل اوسع من خلال الكلمات واليك بعض النماذج :

1 - دراك ، هيهات ، وى واننا نقول بان دراك اسم فعل امر بمعنى ادرك وهيهات اسم فعل ماضي بمعنى بعد ، ووى بمعنى اصعب بكذا

وان كلمة دراك وامثالها بقايا تمثل الفعل الامري قبل تهذيبه على الشكل الذي وصل الينا .

2 - براع ، ينبوع وهذان يعبران عن صورة الافعال فى العهد الصوتي .

- براع : فعل ماضي متخلف ...

- ينبوع : فعل مضارع متخلف ... ايضا ، ولكنهما ليسا على خلاف مع الوضع الذي استقر عليه الفعلان مما يدل على ان ترتيب الافعال على وضع مهذب سبق تمام التحلل الصوتية ، ولكن ما زالت الخلافات بين الافعال الماضية والمضارعة ، وقلنا بان هذه الافعال هي افعال اثرية ، والواقع ان اختلافها كان له مفهوم فى طبع العرب الاقدمين ، لان شكلية الحروف كان لها تأثير فى تمام له مفهوم فى طبع العرب الاقدمين لان هذه الشكلية كان لها تأثير فى المعنى واتمامه .

لقد ادركت اللغة العربية عهد الاصلاح والتهذيب ، وحاولت التخفيض من الاختلافات المذكورة التي لم تعد لها اى معنى فى الوضع الاخير .

3 - وهل ويوهل : ومن معانيه الوهم والخطا والضعف والخوف .

- واول وهلة : اول شيء والمثال يلي ما قدمنا ويظهر فيه عمل التطور بنقله الى باب : فعل ، يفعل وامتبارها اصلية فيه ، وعلى قلة وشاذة فى باب فعل يفعل ، وهذا المثال متخلف لوجهين :

1 - التصحيح مع موجب الاعلال .

ب - الدوران بين بابي طرب يطرب ، وحسب يحسب ، ويظهر من هذا ان العربي فكر بتوحيد الابواب قبل تمام عمل الاعلام ولذا تقدم المثال الاخير والارقي

4 - وثق يثق : ومصدر هذا الفعل هو الثقة ، والوثوق ، والموثق ، ومعناه الائتمان ، وهذا المثال ارقى من سابقه لانه جاء من باب موات مع الاعلال الذي

هو تمام العمل الارتقائي ، كما تشهد مباراة الفيومي فى كتابه المصباح ، وتصديق كل ما رايناه وجئنا به .

وخلاصة القول فى هذا الموضوع اننا نستنتج مما تقدم :

- ان الصور التي عليها الفعل على اختلافه مهذبة سبقت بصور اميتت وآخرها ارتقاء الامر ، ثم استقر فى انه يتبع المضارع .

- ان تهذيب الافعال سبق التحلل من الصوتية .

- ان توحيد ابواب الافعال متأخر عن التحلل من الصوتية .

- الاعلال متأخر فى الطبع العربي .

### تطور اسم الفاعل

وجدنا مما تقدم فى بحثنا عن تطور اللهجة ان صيغ اسم الفاعل ، فاعل ، فعيل ، فعل ، تنوي كلها فى اصل الدلالة ، وانها ارتقاءات عن فاعيل المات قصد ببعضها التنوع وبالمعنى الاخر الامانة .

ونرى بان الفرد العربي كان قصده طرد الفاعل فى كل ثلاثي مجرد بدون نظر الى الاسباب ، واذن لا حاجة لاختلاف اللغويين فى ابحاثهم حول صيغة ( ايها القياسي ) وحول ابحاثهم فى اسم الفاعل من الثلاثي المجرد .

فصيغ اسم الفاعل تطورات تفيد افادة واحدة ، وقد قصد العربي ان يعرض بها على كل المواد اللغوية ، فحال بينه وبين قصده ما ذكرناه من مفادرة الجزيرة ، وعمل اللغويين المحافظ ، فاكتفى بما وصل اليه وامر الاكتفاء معروف عند اللغويين الاولين فقد قالوا فى المصدر من الفعل ان العرب استغنوا فى بعضه باسماء وقعت موقع المصادر كما فى وصاة مكان توصية وزكاة فاضاف تزكية وصلاة مكان تصلية .

### تطور الاعلال :

الاعلال وسيلة لبقية وسامية ، والاعلال يفيد المعنى الطبيعي ، كما فى طال : فانه يفيد الطول بنمو طبيعي ، واما التصحيح مع موجب الاعلال ليفيد المعنى بتكلف او باضطراب ، كما فى طول فانه يفيد التكلف فى الطول .

الارتقاء فى تطور الاعلال فيعود الى الامثال :

واضحة في منطقتي القبائل المختلفة ، ومنطق القبيلة الواحدة وبالتالي نقف موقفا مخالفا من علماء البيان فهم يبتدعون لها وجوها من التعليل ، كاختلاف القبيلة ، تداخل اللغات ، والفرائر والشذوذ والغلط ، وغير ذلك من حيل المتحيل .

ان التطور الذي قلنا عنه في المفردات يصدق عمله في الاسلوب والبيان على شتى اوضاعهما ، فكتاب ( المجاز ) لمحمد بن المثنى المعروف بابي عبدة يعالج التطورات المختلفة في هذه الناحية التي سماها مجازات اي اساليب ، والحق انها ابدا ما تكون عن معنى التسمية ، وما هي عند البحث الا تطورات وبقايا من مجازات انقرضت .

## 2 - اثر التطور في النظم والشعر :

حتى تطور الاوزان الشعرية لم تفلت من الانعزال والتشذيب ، ولكي يتسنى للباحث ان يربط بين بحور الشعر العربي القديم ، فهناك ابهر اميتت ، ان الشعر انتهى الى نتيجة خطيرة وهي ان البيان العربي ابتداء نظما وتطور كذلك اخذ نحو التحلل ، وكان من آخر البحور المرتقية ، الخفيف وما اليه ، والرجز المرصع الذي منه تحللت الاسجاع وبدل على التحام الترصيع الشعري والسجع عند الشعراء وعليه فيكون السجع بين الشعر والنثر .

فمن هنا انبثقت القصيدة النثرية ، وهي التي تأخذ طريقا نحو الارتقاء في عالم التصاليد .

## اثر القرآن الكريم في التطور :

ان القرآن تناول العربية ولما تستقر ، بحيث كان سببا قويا في تهيئة الاستقرار على اكمل وجوهه :

ويوجد في النص القرآني شتى التطورات النثرية ، حتى يكاد يحتك النثرية ، حتى يكاد يحتك النثر بالنظم في بعض السور « انا اعطيناك الكوثر » ، وهذا يعني بان القرآن يجمع بين مختلف السور البيانية ويأتي بها على نحو معجز جدا ثم يسوق اسلوبا جديدا لا ينتسب الى بيان العربية بحال ، وربما كان في اجتماع هذه السور الشتى من الاساليب في القرآن على مسحة متسامية ، سر اعجاز القرآن الصحيح .

وان الروح القرآنية والاسلوب القرآني ، فقولنا في ذلك ان روح البيان فيه مختلفة واجدر بنا ان ندرس

1 - هوية وتعني صوت الدنب ، وتمتبر اقدم الامثلة .

2 - الاتمام : منها ما هو مكسور ومنها ما هو مضموم ، فالاتمام ليس حركة كانت في اللسان العربي كما توهم اللغوي عبد القاهر الجرجاني ، في كتاب الايضاح ، ويظهر ان الاتمام اعلال بين ايدي التطور ، فمثلا نظقت اول مرة شوق .

- ثم اعلت باتباع الواو للحركة فليل : شيق وفي ذلك اتمام فالاتمام يعني نطق الضمة قبل الياء مع خفة المتكلم .

- وخلاصة قولنا في تطور الاملال هو : ان الممل كان على التصحيح اقدم عهد اللغة .

- ان قانون الاتباع هو قانون الاملال الصحيح .

- ان الاتمام الى الضم اعلال اولي وليس بحركة زائدة اميتت .

- ان الاتباع يميل في الاملال على التناسب ولو لادنى ملاسة .

والخلاصة ان التطور اللغوي يرجع الى شعبتين اساسيتين : يتفرع عنهما كل شيء يتعلق بالعربية مادة وصورة ، وهاتان الشعبتان هما :

1 - اثر التطور في الاسلوب البياني .

2 - اثر التطور في الشعر .

1 - فالتطور الاول وهو الاسلوب والبيان - فهو معين تاريخ النشوء اللغوي وتطور اللهجة : فالدراسة العميقة في البيان والاسلوب البياني قادنا الى :

1 - كان الجدول الهجائي بحركاته لفة للانسان القديم .

ب - نشأت العربية نشوا تطوريا من الجدول ، فالاحادي اصل الثنائي وهذا اصل الثلاثي .

ج - تطورت العربية اللفظية من اصلها الصوتي على ادوار متعاقبة .

وعلى هذه النتيجة ومراقبتها نتائج النظرية : فالبيان ، يساعدنا على مراقبة مقدار المسافات التي عملها التطور في اللغة على مختلف الانماء سواء في الاشتقاق ، والاهراب والموازين والاملال والاعمال والمصادر وتطلعنا على تلك المسافات التي بقيت

بيان القرآن لانه الوثيقة السامية في البيان والاسلوب العربي حتى نطبع به على الدوام فأشد الكتاب طرفا منه أشدهم تعلقا به على الحقيقة ، لان البيان غدى القرآن والغاية، ان القرآن امتاز الفوضى في اللغة وأجبرها للانصياع لقانون بياني ثابت ، ودل فيما دل على تطورها ، كما أوضحنا في الفصول الاولى لنظرية التطور اللغوي :

ونستخلص من استعراض التطور في اللغة وجوه التخلف اللغوي الذي رافقنا خلال دراستنا .

فالعربية لم تزل على فوضى من الافعال والمصادر والجموع والموازن ، ولن تستقر على ما كان ما يريده العربي من لفته ، ولن تطمئن بين أشياء المستقبل الباقية .

الا بازالة ما بقي متشبها بها من علائق الفوضى بسبب ظروف العربي ومغادرته لجزيرته .

وبسبب اللغويين وتشددهم في السماع وفي ما يكتم العربية ، ويمنعها من الانفتاح على الحياة اللغوية المصرية والمستقبلية .

### التنقيح في اللغة العربية

في الفصول السابقة التي أوضحنا فيها تطور اللغات ونشوء العربية في المقدمة ، رأينا عمل التطور في العربية خلال هذه الفصول ، ان العربية تجاوزت حدا بعيدا دون أن تنتهي ، ولكنها مع ذلك أخذت بالاستقرار شيئا فشيئا واستمدت في سيرها ما تدعو اليه الحاجة من موازين دخلتها الزيادة الصرفية كافتعل وما اليه ، ولقد يكون الإخذ الجديد الذي تدل عليه العربية ، من اقرار الموازين بدلالات ثابتة، وأقرار الافعال على باب واحد ، وكذلك المصادر والجموع وهذا يعني الوصول بالعربية الى المستوى الذي كادت تبلغه لو بقيت في محيطها بدون براح .

ولكن الامر الذي يضع اللغة في مواضع قلقه وبصورة تكاد تجعل منها لغتين :

1 - لغة القرآن الكريم :

ب - اللغة التي تبدأ بالقرن العشرين .

وقد تفاوتت كلتا اللغتين تفاوتا يكون لا أقل في أساليبه ومفرداته من اللاتينية والفرنسية هذا هو موقف اللغويين التقليدي وهذا هو رأيهم في

امر اللغة العربية ، وهذا الامر المتناقض ، وتهمهم على اللغة العربية تهجما يجيزه هذا الدرغ الذي يأخذون الناس به ، وأعني به جمع لغات الجزيرة ، وبكلمة أدق تعبيرا لهجات الجزيرة ، والمداخلة بينها ، مداخلة مطلقة ، بغير تمييز ولا تنبيه ، بالاستنتاج منها مجتمعة قواعد اللغة في حين أنهم شهدوا بالاختلاف فيما بينها بصورة مؤكدة ، وهذا الموقف التقليدي لم يلج بأبه المحدثون .

- ولا تكون على مقربة اذا قلنا بان موقف اللغويين المتفاوت بأسباب أهمها ، عدم تفاهم لغويي البصرة والكوفة واتخاذ الخلاف بينهم صفة تعصبية صرفا .

فنقد تشددوا بمنطق الاستماع وهدم الحفظ اخذا على مذاهب الخصوم ، ان هذا الاغراق الشديد فيه هو من جراء التعصب القائم والتحامل البالغ ... وهذا ماخذ شعروا به ، ولكنهم دعوه تنقيحا .

وينتظم التنقيح للغة العربية بأربعة ادوار :

1 - كان بما قدمته قبيلة يعرب بن قطحان .

2 - كان بفضل اسماعيل لما اصهر الى جرحم .

3 - بمعونة قريش بالتدريج انتخابا من لغات قبائل العرب التي كانت تفد عليهم في كل عام .

4 - كان بعمل علماء المصريين ، الكوفة، البصرة، اذ قصروا اختيارهم على لغة قريش وست قبائل من صميم العرب ، لم تحتك بغيرها ...

### - التنقيح الجديد :

ان الظروف التي رافقت العربي بعد هجرته من جزيرته ، وبعد مواقف اللغويين الذين خرجوا مما كان يقصد من لفته، في هذين السببين يكمن مرض العربية الذي قصر بها مطالب العصر ، ناهيك عن مطالب المستقبل ولا شفاء لها الا بمعاودة الدرس مرة ثانية وتنقيحها تنقيحا جديدا لا يخرج عليها بالاساس ولا يقصر بها عن مطالب العصر ، وتطور المستقبل . ولا بأس بتسمية ما نحاوله تنقيحا كان يكشف وحده حقيقة الماضي وينير طريق المستقبل ومن ثمة أصبح ضروريا أن نقول ما هي الاهداف الاساسية التي تلخص التنقيح الجديد .

## أهداف التنقيح الجديد :

ان من أهداف التنقيح الجديد ان :

1 - نحذف السماع من اللغة العربية الا بالمعنى الذي سنقرره فيما يلي : وهذا يعني ان نخلص العربية من هوائق الفوضى في افعالها ونقرها على باب واحد هو باب ضرب يضرب : وفاقا لما اوضحناه فيما قبل .

كذلك يجب ان نأخذ بعين الاعتبار بان التنقيح يجب ان يجارى معقول العربي في لغته ، ان في قواعد الأهلل أو في كل ما يتفرع من بحث الأفعال : ثلاثية وغير ثلاثية من اشتقاق وغيره ...

2 - يجب ان يسمح بصوغ موازين الثلاثي كان ، وكذلك الرباعي وموازينه ، لان التزايد المستمر في اللغات السامية يخضع لقانون الاشتقاق أي الموازين أو قل التحرك من الداخل ، لان العربية غنية في موازينها التي تبلغ الثلاثمائة للثلاثي الواحد ، كما اعطانا اياها سيبويه في كتابه النحو الضخم .

3 - تخصيص هذه الموازين مفردة أو مجموعة بدلالات قارة ثابتة لا تختلف على اختلاف المواد، ففعال يخص بما يدل على الزائدة الاجنبية auto وفعالية يخص بما يلاقي في الاجنبية ism وبذلك تسهل مهمة الوضع الجديد ويكون اكثر علمية ، كما رأينا في وجوه التخلف .

4 - توحيد المعاني في المادة الواحدة ... ونمضي بذلك جعل كل معاني المشتقات من مادة ما معاني لها سواء اكانت مجردة أم مزيدة ، مما يصحح معه اشتقاق المجرود من المزيد وبهذا تزيد الوحدات المادية للمادة الواحدة .

5 - الاستفادة من قاعدة الدوائر أو القاعدة الدائرية ، بوضع مواد جديدة لم يسبق للعرب انهم وضعوها أو وضعوها وأميتت ...

6 - الاستفادة من سنة الرباعي وما اليه بزيادة الحرف على الاخر بعد تحرير معاني الحروف الهجائية

7 - المعاقبة أو الإبدال .

ان الهدف الخامس والسادس والسابع هي ذات أهمية خطيرة في نتائجها .

ومن مجموع هذه الأهداف التي جاء بها تنقيحنا الجديد للغة العربية : وضع المعجم العربي بطريقة

تلبى متطلبات وحاجات العصر وتمد المستقبل بما يحتاج اليه ، وعلى تفصيل هذه الحاجة المزدوجة ، وايضاح الشكليات اللغوية من خط واملاء ، وبيان ومعان ، وعروض ، وبديع وصرف ، ونحو وسجع وغير ذلك من التابيعات ، كالأعجاز والتضمين ، والفك ، في حمل الإدغام للدلالة والتصحيح في موجه الامتثال لغرض ما .

## مستقبل اللغة العربية

### 1 - داء العربية ودواؤها :

ان الفن كله قضية تعبير . والانسان الخالد كله قضية تعبير .

وقد قيل ان العربية لا تتناول من شؤون الحياة ما نحسه ونشعر به ، وتفقدون البيان عنه بأي الفاظ من اية لغة فهي جديرة بان لا تكون الا في متحف يكتفي الناس منها بالنظر اليها . واني غير مطمئن الى ان الجماعة تقر فكرتها على هذا النحو ، ولكنها تعني معنى آخر هو ما سبق لنا ان ما تكمنه وهو ان الجدير بكلمة العربية هي : مجموعة الكلمات التي تضمنها المعاجم بالنقل من لسان العرب قبل ان يراه ما يراه ، وهذا الوضع الحرج الذي وضعوا فيه العربية ، الحق بها فيما ارى نتائج كاسواء ما تكون نتائج ومن أهمها :

1 - فصور العربية من تناول مقتضيات الفكر ، ولا ادل على هذا من عرض مجموعة كلمات الاصطلاح في اللغة العربية ( المادة والجهة والموجهة ) وقد ذكر في تعريفها ان كيفية النسبة في التضايب ( مادة ) واللفظ الدال عليها ( جهة ) والتضبية الواقع فيها هذا اللفظ ( موجهة ) .

2 - جمود اللفظ في معناه فلا تجد فيه شيئا من المرونة والبساطة كما يجب ان يكون ، بل تشعر بأنه ينكمش في طبيعته حتى يعود اشبه شيء بالحصاة مهما تقاذفتها السيول تبقى كما هي حصاة غير متحولة شكلا ولا اعتبارا ، ومن هنا اتهم بعض مستشرقة الاورنج ، اللفظ العربي بأنه ( كليشة ) لا اكثر وسمي العربية ( لغة الاكليشات ) .

- نشوء العامية : وقد يرى عجيبا ان يمد تشدد اللغويين للغة هذا التشدد جر الى نشوء العامية ، أو كان الاثر الفعال اليها ، ولكنني على ما يرى من عجيب اؤكد بصورة لا تقبل الريب وذلك لان الوقفة المترتبة

بهذا الشكل الذي لا يكفل حاجة الناس ولا يمير من  
أفراضهم اليومية وهي لا تنفصل منهم بحال أو لا يثاني  
لهم أن ينفصلوا بأى وجه ، جعل العامة يهجرون تباعا  
هذه اللغة التي للخاصة رغم انها لغة التشريع  
والإبتهالات ورغم أن العامة لا تهجر عادة اللغة التي  
يتميز بها الخاصة إلا لاسباب ماسة لها حدثها ولها  
منها .

فالانصراف الذي نلمسه فى العامية قد كان اذن  
لاسباب لا يحقر ابدا شأنها .

وكيف تحقر وقد سببت انصرافا عاما ، ولقد  
أوخد بأن هذه النتائج التي لرتبها اذا سلم بأن العامية  
نجمت عن الانصراف المذكور ، ولم تكن لاسباب اكثر  
وضوحا مثل الدخيل والامتزاج .

الا ان الاعراب ليس وحده فارقة اللغة وميزتها  
وربما كان أقرب الى الظاهرة بمعناها الصحيح ،  
والمفردات المتميزة المنتقاة ، التي تشمل عليها لغة  
الخطاب .

— ان الفوارق فى اللغة قد حملت الواضع على  
اختصاصها الا اذ ان الفوارق هذه تلبدت على مد التطور  
وغابت عن متناول الرواة ، وقد يقوى هذا الظن ان  
تكون آخذة شكلا تقنيا ، اذا ما تفحصنا هذه الكلمة  
نراها رجعت الى تقن العربية التي جاءت بمعنى الطبيعة  
والمواقف من كل الجهات ، على منحنى موزون خذ مثلا ،  
( فمفعيل ) الذي يظهر ان أصله ( فيعمل ) ( وفعليت )  
الذي يرجع الى ( فعل ) و ( فعلين ) كذلك وهكذا مما  
سنأتي على ابداء الراي به جميعه ، باعتماد المقارنة  
التشاكلية ، وان كنت اقطع بانى مع هذا لا امثل تمام  
معقول العربي فيها ولكنى اطمئن اليها على اى الاحوال .

الا ان الملاحظة التي لازمتنا فى دراسة الموازين ،  
ان العربية كانت تصدر عن لواحق تزداد على الوزن اذا  
كان المراد الافادة من معنى اللاحقة زيادة على معناه ،  
بدليل السوابق وما لها من المعنى المعتبر فى العربية  
كسابقة ( است ) فى استفعل التي تفيد الطلب او  
الصيرورة او المد . واظن بان هذا يقطع هرق النزاع  
كما يقولون من انه كان فى العربية سوابق ولواحق لم  
تتوضح تماما عند قدامى اللغويين .

واننا لا نريد ان نفوس فى اشياء نحن بغنى عنها  
لاسباب وجاهية .

1 — انها خطوة واسعة تشبه الطفرة التي لا  
تخلو من البمثرة والفوضى ، وليس ذلك من عدم  
صدق النظر وانما من عدم سلامة التطبيق من وجه ،  
ولندرة الامثال المحفوظة على هذه موازين العربية التي  
تحتفظ باللواحق من وجه آخر .

2 — حرمة موازين العربية التي هي شخصية  
اللغة ، ان يضاف اليها ما لم يكن منها ومعنى هذا  
بعيدا عن الميزان ثم اضافتها على الوزن لتحصيل  
المعنى المطلوب يؤدي الى تزايد كبير فى الموازين  
الجديدة على اشكال لم تعرفها العربية المريقة ، وان  
كانت ظواهر الدرس تقتضي بان العربي كان يعتمد  
لواحق بعينها للدلالات بعينها ، ومن يشك فى هذا اذا  
تناولنا بعينين عن تشبيه الدهشة من استنفار هابت  
مثل فعلوت ، وفعلوت ، وتفعلوت ، وفعلان ، فلم  
وفعلين ، وفعلن ، وفعليت .

وانما خصصت هذه الموازين بالذكر الخاص لانه  
يظهر فيها صورة قاطمة للتردد فى أن العربية كانت  
خاضعة لما يدعونه باللواحق فى مذهب زيادتها ، ولكن  
تشدبت هذه اللواحق حتى عادت وهي جزء من الوزن  
لا تنفصل عنه وكان هذا بفعل الصقل اللغوي المستمر .

ان هذه الموازين هي اصطناع للمربية بخلاف ما  
اذا كان التفريع على مقتضى ما حفظ من الموازين فقط  
فانه يكون فى فايته اشتقاقا متوسعا . وقد تدرك  
فرقا واضحا بينهما وان كنت اهود فأقرر بان ظواهر  
الدرس الذي اخذت بأسبابه على الموازين يعطى هذا  
وانه مذهب العرب ، ودليله ان لاحق ( وت ) لم  
تختص بوزن ما ، له طابع يميزه كما رأيت فى مفعولت ،  
وتفعلوت ، ولكنه كان مع ذلك خاضعا لشروط من  
أهمها :

1 — ان لا تزيد الكلمة باللاحقة على اكثر العدد  
الذي تكون منه كلمة فى العربية . ان لاجتمع فيها  
لاحتقان ( كفعلان ) مثلا فلا يجيء منه ( فعلائين )  
( وكفمفعيل ) لا يجيء منه فمفعيلين ) وهكذا من مثل  
هذه الانماط .

من الظاهر بان اللاحقة تعتبر فى اكثر من  
حرف ، فكل ما كانت الزيادة فيه حرفا فقط كان وزنا  
أصليا يمكن أن تسيره اللاحقة . وتنضاف عليه ونحن  
رغم انا نظن بأنه مذهب العرب على صورة مؤكدة  
فلاخذ به فقط على شكلية المحافظة للعربية لا يقدر ان

مفعلاء : وهي تدل على الذي يوجد في المكان ويميز عنه حين نقول ( مفعلاء ) للذي يوجد في مكان العفن النتن ولا يكاد يتميز عنه مما يصلح ان يسمى به مكروب العفونة .  
مفعل : وهو يدل على الآلة ، وكذلك مفعال وفعلية .

مفعلان : وهو يدل على اسباب الوصف فنقول للمكان الذي نستظل به الجلوس فيه في ضوء القمر مقمران .

وكذلك مشمسان لحمام الشمس ، ويدل ايضا على مضاعفة خصوصية ( مفعل ) فنقول ( منظران ) للمجهر المضاعف ...

وهناك زيادة اخرى الا وهي زيادة النون .

فنهال : فنهال : فنعلى ، فنعلاء ، فنعلال ، فنعنلوه ، فنعنل ، فنعنلة ، فنعنل .

الزيادة بالسواو .

هفعولة : وتدل على اشارة الوصف بحيث ينتسب الى كل جزء على انفراد اذ نقول ( هرمول ) للارض التي تشيع الرمال ، في كل مكان من انحائها ، ونقول كذلك هركولة ، ولقد اتى في هذا المعنى عند الشاعر الجاهلي الامشي ، بقوله :

هركولة فسق درم مرافقهـ

تمشي الهويئا كما يمشي الوجي الوجلي

وهذا في وصف امرأة في أحد ابائته الشهيرة في وصف النساء ، فهناك كلمة هر كولة في المعنى المناسب .

فهركولة اذن هي المرأة السمينة ذات الارداق

— وهناك الزيادة لبعض الافعال من مثل :

فموال ، فموال ، فموال ، فموال ، فموال ، فموال .

الاوزان الكيماوية

فعليل ، وهو يعني في علم الكيمياء الاوكسيجين ، الذي يعرف في اللغة العربية بكلمة اكسيد . قبل

يعطينا الموازين المحفوظة مغنية من احياء اللواحق والاشتقاق فيها .

اما اذا ما تأملنا في لائحة الافعال فنرى .

فعل : انه يختص بالدلالة على الاتصاف بوحدة المادة نقول ( رنج ) للشيء فيه الغلق .

فعلل : وهو يختص بالدلالة على ما تعددت فيه الوحدات من الوصف نقول ( زبدد ) للمتعدد الزبد .

فعملاء : وخصوصية الدلالة على المكان الذي يوجد فيه الشيء وعلى معنى التميز وعلى تعدد الشيء في غير انفصال ، نقول حرجاء لمكان الغابات الكثيرة وصنعاء للمكان الذي تكثر فيه المصانع .

فعلان : وهو يختص بالدلالة على تكامل الوصف في الشيء تكاملا من كل الجهات نقول ( رونان ) أي صوت متكامل وآلة ذات روناق .

فعلت : وهذا الفعل يختص على سرعة التاثر او الانفصال وعلى سرعة الاحتراق نقول ( عصبت ) لتأثر الاعصاب السريع .

فعلن : ويقال هذا النفوذ الوصف الى غاية الباطن ومن ثم يوضع منه لظواهر الباطن ، نقول ( نفسن ) للرجل المختص بالاعمال النفسية كالممنوم المختطبي .

وهناك ضروب شتى من انواع الفعل يتعذر علينا ان نوردنا هنا .

وهناك الزيادة بالتاء ، مثل :

تفعال : وهو يتم على تجسيم المعنى ، مثل تمثال اي صورة شاخصة نقول ( تظلل ) للظل يتجسم فيصير صورة .

وتفعل : وهذا يدل على المتفعل من الوصف باسباب مشتركة من نفسه ومن الغير نقول ( تنور ) للحشرة التي تضيء في الليل .

— وكذلك الزيادة بالميم :

مفامل : وتدل على المنصف بالمفاعلة بين منفصلين نقول ( مداور ) للذي يدبر شيئا آخر في حركة دورانه كما في الدواليب المتعاشقة .

الاسم المتزج ، ولكن للدلالة عليه يضاف اليه التساء المتحركة وبصير الوزن فعلية .

فعليت : وتعني في علم الكيمياء الهيدروجين وقد يحوي خواص الاسيد الحقيقي ويميز باسم ادراسيد ويسمونها في الاجنبية بزيادة اسيد ، على الاسم المتحد مثل ( اسيد كلوريدريك )

### الاوزان العديسة :

فعل وهو مخصوص للدلالة على الاحادي نقول فقد لما فيه عقدة واحدة الى عشرة .

فعلان : وهو يدل على المشوى نقول ( فعدان ) لما فيه المائة الى الالف مقدة .

مفعل : خصوصيته الدلالة على الريح نقول ( مشهر ) اى ربح شهر يقال ( مجلة مشهوية ) للمجلة الاسبوعية ولكنها لا تستعمل لانها صعبة اللفظ .

وهكذا تكون قد انتهينا من اعداد بعض الافعال والاوزان ، التي كانت داء في العربية ومرضنا كذلك الدواء لذلك وهو الذي يعالج الامراض التي رافقت اللغة العربية طوال مهبها .

### اللغة العربية غاية لا وسيلة :

ان ما نبوح به في هذا القسم من الفصل الخامس هو ان اللغة العربية الفاظ يعبر بها كل قوم عن افراضهم ، وهما يحتاجون اليه ، فاذن هي غاية كي يجعلها دون الغرض تتناوله للكشف منه ، ومشاركته عندما نتجه بنظرنا الى اللغة في دورها النشوئي، واما هي بعده فمجموعة من الانكار ، والتقاليد، والمواطف، والاحاسيس ، والنزوات وشتى المشاعر والاعتبارات تنتظمها الالفاظ انتظاما أصبح منها كما يكون الشيء من الطبيعة .

اذن أصبح للالفاظ وجود معنوي على مقدارها لا تزال دونه في الاعتبارات كما لا يقع دونها كذلك .

والزيادة التي يتاني لنا ان نصفها بالطفيلية لا يسهل تعليلها اذا كانت اللغة وسيلة ، فقط تكيفها المعاني المتجددة على مقاديرها ، وانما تكون اقرب قصدا من التعليل حينما نجعل للالفاظ وجودها اشخاص او الشاهد قيمة معنوية ، وبعبارة اخرى كيانا معنويا ، تقصه افكارنا ، وقصته هذه تتوسل به

الى الكشف عنها بالقياس على كون الالفاظ ، وهذا راى لا نفرده به قيل من قبل ، والعربية هي غاية دون الابعاد والامتدادات ، وان كان بالنظر الى ما يفيدنا منها تكون غاية بملحظ من الوسيلة ، واكثر الغايات يكون لها هذا النصاب من الملحظ فهي غايات غير استقلالية يفرض فيها التعاون مما يتاني لنا تسميتها بالغاية المطاوعة ، والمقصود من هذا التنحي في اسلوب الشرح بيان انه دلالة الالفاظ على المعاني المتجددة لا المستقرة دلالة مقايسة فلذا اردنا ان نؤدي صورة ما فانما نؤديها بضرب من المقايسة المحضبة بين ما هو حاصل في خيالنا وبين معاني الالفاظ المستقرة .

فكان لالفاظ اللغة اية لغة ، التي تستخدم للتعبير عن مختلف الصور زوائد احيانا تفرغ على الصورة ما يزيد في معناها بحيث لا يظن انها كانت كذلك على كمالها في خيال الاديب او العالم .

وهذا غير المجال التعبيري الذي يتاثر كل من يتدوق البيان لان ما نعني به نقص وزيادة على الصورة لا اشراق الديباجة ورونة الالفاظ ورصاعة التعبير .

وهذا موضوع على ما فيه من جلاء غموضا ، ولذا عبر وهو محل للاخذ والرد بين ادباء الجيل . ان في الادب لا بل في محيط البيان العربي عموما ، وجد يربي وحرى بكل عربي ، ان ينطوي على حفيظة مفرضة من هذا النوع واسميها ، مفرضة لاني ابتغيها غير قابلة للتفهم ابدا ولا تسمح باية مناقشة دون رعاية اساسها .

ولهذا نقصد ان نهدم بتحقيق اللغة غاية كما يكون الحساب ، والهندسة ، وما اليهما من انواع الرياضيات والعلوم ، وقرر مالم يكن في معرفة الكثيرين الذين يفرعون اذا ما قالوا العربية قالوها عن عبث .

وان دلالة مفردات اللغة على المعاني المتجددة دلالة مقايسة وموازنة ، والا لو دلت بالنفس لكان لها وجوات متعددة بتعدد الاشخاص اللاهين .

لنقول شيئا عن بيان ابيات الشعر لندل فيها على ما يجدر بالناقد البصير ان يميزه ، أهني به تحقيق الفرق بين اشراق اللفظ وبين زائدة اللفظ وينبني عليه في درس الادب والاديب كثير من التصحيح فقد قال تيس بن الملوح في ليلي :

بعيشك هل ضمنت اليك ليلي  
قبيل الصبح او قبلت فاهها

هذا داء العربية تنفثه جهات خارجية من طبيعتها .

اما دواؤها فتخليصا من التزوير عليها ، الا زورا عما تريد هي وصما كان يريد اصحابها منها .

هذا الدواء الشافي لقد افصحنا عنه وهو حذف السماع من اللفظة وتحكيم القياس فمفنى العربية انما يجيبها من غنى قواعدها وانتظامها لا من اي شيء آخر وفي تحديد معاني الموازين وصوغها من اي ثلاثي كان وكذلك موازين الرباعي وفي توحيد معاني المشتقات جميعا للمادة ومن التنسيق لشكلياتها المختلفة ، الخارجية كالخط والاملاء ، والداخلية كالبيان والمعاني والمروض والصرف والنحو .

في الفصل الاول كان نشوء اللغة والتطور في اللهجة واللفظة . وادراك المعقول العربي من خلال ادوارها النشوئية ويرجع هذا التأخير في اللفظة لسببين :

خروج العربي من جزيرته .

وتزمت اللغويين القدامى وتمسكهم بالسماع ، ومتابعة اللغويين المحدثين لهم رغم ضرورات العصر الجديدة . . .

ولقد كانت اهداف التنقيح الجديد الذي اوردناه في احدي الفصول بالسير بالعربية بمدد توقفها ، ولدفعها نحو المستقبل اللامحدود لتكون خالدة بين اسيائه الباقية .

وفي سبيل ذلك المستقبل المنشود لفتنا المزيدة وشعبها العظيم تنادي اخوة لنا في المغرب الى اخراج مثل هذه الدراسات والابحاث .

وفي هذا السبيل افتتم الفرصة لابداء بعض الملاحظات .

1 - ضرورة اعتماد الفكرة التطورية لانها وحدها الفكرة الجدية والحقيقية التي بها تزال مشكلات حياتنا اللغوية .

2 - الانطلاق بثورة صحيحة في اللفظة العربية وكتابة قواعدها واساليب تدريسها وتفجير المزيد من طاقاتها اللغوية .

3 - نتمنى ونحلم ، وهاتان قدرتان معجزتان ، فاذا ترجمنا عملا نحقق كل تطور وابداع .

ونتمنى على حكومات ومجامع الدول العربية ان تسير بالعربية وتمد يد المساعدة الى اللغويين ونحلم بذلك .

وهل رفت عليك نروع ليلي  
رثيف الاقحوانة في مداها  
ويكاد يكون هذا الجزء عاما على لسان الشعراء  
العرب جميعا .

وهو لا يريد في اعتبارهم على (بريك) او لعمرك وما يتبعهما وهذا ما يدلنا على ان قيس كان يقول هذه العبارات ليس اكثر من الحنف والتأكيد . وهذا ما يسمى مزاحمة تعبيراً في محل تعبير .

كل هذا من زائدة الالفاظ وذلك حين نرى بان المجنون يرى العيب في ظل التي يهوى ويحب سعادة دونها السعادات الاخرى . وهو من نشدانها بقي يبيكها ابدا في انشودة الحزن المرة . بهذا النظر الطالع للقسمة حين يستفهمه من شكل من الاشكال تلك السعادة ولون ثرى من الوانها مرسوما بضمه السحر وقبلة في عين الصباح .

ومهما يكن من امر فان غاية كل لغوي خدمة العربية واغناؤها والخروج بها من قوتتها الضيقة فاذا لم تكن للفرد غاية تامة صحيحة فلن يكون للجماعة فكر تام صحيح ، وفرض انسان بدون لغة معناه فرض انسان بدون فكر .

وبهذا نقدر ان نجد القول بان اللغة العربية هي لغة غاية لا لغة وسيلة .

والخلاصة ان قصة العربية هي قصة الحرية ، وان الفكر العربي مغلول بعبوديات كثيرة اهمها عبودية العادة والتاريخ ويتجلى هذا الامر في الجانب اللغوي منها .

فاللغة هي بيت الكائن الحي ومرآة فكره ، بل قد تكون اللغة هي وحدها الوسيلة للابداع والخلق ومرادف الانسان ، فالانسان لغة لا انسان بلا لغة ، واللغة غاية لا وسيلة ، منذ كان الانسان نهاية سخر له كل شيء .

من هنا كان الاهتمام بالعربية اهتماما بالانسان العربي ، ليست كما يزعمون اصعب اللغات ان لم تكن اسهلها وامرنا والينها ، هي اصلح من اثربها من اللغات للحياة والتطور والنمو والترقي .

كل ذلك اثبت الفوضى في تاريخنا واستجلاء بداية العربية ثم مسيرتها في ادوار رقيها وحلقات تطورها حتى خروج اصحابها من جزيرتهم وتوقفها المفاجيء قبل اتمام دورها التطورية ، مما حملها بعض الفلاقي المتخلفة في الافعال والمصادر والجموع ، والاوزان ومما زاد في عمر هذه المتخلفات تزمت اللغويين القدامى ، ومتابعة المحدثين لهم .



# تعريب العلم

## بترجمة الإنتاج الفكري والتقني الإنساني

أصدرت الامانة العامة لجامعة الدول العربية مذكرة أكدت فيها ان مجلس الجامعة قد اتخذ في دور انعقاده العادي الثالث والخمسين ( مارس 1970 ) بشأن تعريب العلم في الدول العربية القرار التالي :

3 - ان تعمل الادارة الثقافية وبالانفاق مع الدول الاعضاء على تكوين لجنة تمثل فيها جميع الدول العربية ( ما أمكن ) بعلماء متخصصين ممتازين ، تكون مهمتها :

ا ) الاشراف على وضع خطة للترجمة واختيار الكتب والمترجمين من البلاد العربية .

ب ) المساعدة (1) في اصدار المعجم العلمي العربي الموحد الذي باشرت العمل فيه وزارة البحث العلمي في الجمهورية العربية المتحدة .

ج ) وضع الميزانية المناسبة للانفاق على هذا المشروع الضخم لشراء الكتب والمراجع والدوريات في اللغات المختلفة من البلاد المختلفة ، مع توصية الامانة العامة بان تدرج بمشروع ميزانيتها للسنة القادمة 70 - 1971 اعتمادا قدره خمسة آلاف جنيه حتى يمكن تنفيذ المشروع على أساس سليم .

ايانا من اللجنة بقيمة الترجمة العلمية باعتبارها حجر الاساس في النهضة العلمية العربية الشاملة .  
وتقديرنا منها لضرورة التنسيق بين الدول الاعضاء في هذا المجال الخطير في حياة امتنا ومنما للازدواج أو التكرار ، وحتى تكون الترجمة على هدى من المعرفة والتجربة والخبرة بموضوع الترجمة فانها توصي بما يلي :

1 - ان تواصل الادارة الثقافية اتصالاتها مع الدول الاعضاء من اجل استكشاف حال الترجمة العلمية في الوطن العربي .

2 - وبعد ذلك تدعو الادارة الثقافية المكتب الدائم للجنة للنظر فيما انتهت اليه اتصالات الادارة الثقافية من مسح هام للترجمة العلمية في البلاد العربية يستخلص المكتب منها عددا من امهات كتب العلوم يوصي بترجمتها .

1 ) من المعلوم ان المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي يعمل الآن ضمن اختصاصاته وفي نطاق جامعة الدول العربية على اعداد معجم علمي وتقني عام موحد بعدة لغات .

اساسية لا غنى عنها للباحث او طالب العلم المتخصص الى اللغة العربية .

ولى ضوء اجابات الجهات المختصة فى الدول الاعضاء يمكن الوقوف على حال الترجمة العلمية فى البلاد العربية ثم دعوة المكتب الدائم للجنة الثقافية « للنظر فيما انتهت اليه اتصالات الادارة الثقافية من مسح عام للترجمة العلمية فى البلاد العربية يستخلص المكتب منها عددا من امهات كتب العلوم يوصى بترجمتها » .

2 - اما فيما يختص بتكوين لجنة تمثل فيها جميع الدول العربية ( ما امكن ) وهي المشار اليها فى البند (2) من قرار المجلس المشار اليه فان الامانة العامة ترى ان يتم ذلك عند انعقاد المكتب الدائم وبعد ان تكون الدول الاعضاء قد امدت الادارة الثقافية بالامانة العامة بالصورة الحقيقية لحال الترجمة فى البلاد العربية .

3 - وعلى ذلك ، وحتى تكون نقطة البداية فى هذا العمل القومي العلمي الجليل قائمة على اساس سليم ، فان الامانة العامة ( الادارة الثقافية ) للجامعة ، تكرر رجاءها الدول الاعضاء ان تزودها بما سبق لها طلبه منها فى هذا الخصوص من اجل ان تستفيد من الفترة ( ج ) من البند (3) من قرار مجلس الجامعة المشار اليه والخاص باعتماد مبلغ خمسة آلاف جنيه فى ميزانية 70 - 1971 ، فتبادر الى تكوين اللجنة المشار اليها لاختيار عدد من المصادر الهامة فى مختلف فروع العلم الاساسية والتطبيقية لنقلها الى العربية

هذا والامانة العامة ( الادارة الثقافية ) للجامعة الدول العربية تأمل فى ان تتلقى فى وقت قريب مناسب البيانات المطلوبة لتمكين من تنفيذ قرار مجلس الجامعة ترحو التفصيل بأن تراهي جهات الاختصاص الجديدة 70 - 1971 للامانة العامة تبدأ اول يوليو ( تموز ) 1970 .

وتنهر الامانة العامة هذه الفرصة لتصير من فائق تقديرها واحترامها . . .

4 - تعمل على ترجمة عدد من الكتب كل عام توزع على فروع العلوم الاساسية والتطبيقية المختلفة من كيمياء وطبيعة ورياضيات ونبات وحيوان وحشرات وجيولوجيا وفلك وارصاد واحصاء بالإضافة الى العلوم الطبية والفسولوجية والهندسية والزرامية والصيدلية والبيطرية . الخ .

5 - متابعة كل ما ينشر من الكتب والمطبوعات والدوريات فى اللغات المختلفة من انجليزية وفرنسية والمانية وروسية واختيار ما ترى نقله الى العربية .

ولما كان هذا القرار يشتمل على عدة نقاط هامة فان الامانة العامة ( الادارة الثقافية ) للجامعة تشرف بذكر ما يلي :

1 ان الادارة الثقافية بالامانة العامة للجامعة سبق لها ان كتبت الى الدول الاعضاء الموقرة من اجل :

1 ( تزويد الادارة الثقافية بالامانة العامة لجامعة الدول العربية ببيان عما تم تعريبه حتى الآن من الكتب العلمية التي تعد مراجع اساسية ومصادر لا غنى عنها للباحث فى ميدان تخصصه .

ب ) ان تفضل الجهات المختصة فى حكومتكم الموقرة بتزويد الادارة الثقافية ايضا باقتراح ما ترتى تعريبه من امهات كتب العلوم العالمية ( بكافة الفروع ) التي لم تعرب حتى الآن ، واذا كانت هناك بعض الدوريات التي ترتفع فى مستواها وبما تعالج من موضوعات وابحاث الى مستوى المصادر الاساسية وترى تعريبها فلا بأس من ذكرها ايضا ، بين ما يجب تعريبه .

ج ) ان تفضل الوزارة الموقرة ايضا بالايصال الى جهات الاختصاص فى حكومتها الجلية من اجل تزويد الادارة الثقافية ، كل ستة شهور او كلما دعت الحاجة الى ذلك ببيان بما يتم تعريبه مفضلا من الكتب العلمية

لذلك فان الامانة العامة ( الادارة الثقافية ) للجامعة ترحو التفضل بأن تراهي جهات الاختصاص فى الحكومات العربية الجلية ان الترجمة العلمية مقصود بها نقل امهات الكتب العلمية ( فى العلوم الاساسية - البحتة - او التطبيقية ) التي تعد مصادر

# تعريب التعليم في الجزائر ومساكله

الأستاذ عبد الحميد المهيبي - الجزائر

لقى الأستاذ عبد الحميد المهيبي رئيس اللجنة المصغرة للتعريب في الجزائر محاضرة قيمة في مقر الجامعة الجزائرية حول تعريب التعليم ، تعطي صورة عما يتخبط فيه تعريب التعليم في المغرب العربي من مشاكل ، ونحن نلخصها فيما يلي :

ولن نستطيع أن نوفى جميع جوانب المشكل حتما من الدرس في محاضرة واحدة . ولكن نكتفى بإثارة القضايا التي يتكون من مجموعها ما نسميه قضية « تعريب التعليم » .

وأول الاعتبارات التي ينبغي اثارها قضية اللغة العربية نفسها . فهي ليست اللغة الام لجميع الجزائريين ولكنها اللغة الوطنية لجميع الجزائريين .

واختيار هذه اللغة لم يات ارتجالا ولا بصفة اصطناعية ولكنه تم عبر القرون والتجربة التاريخية الطويلة . وكانت لغة التعليم في الجزائر قبل الاستعمار الفرنسي هي اللغة العربية في جميع مراحل الدراسة . وهذه حقيقة تجعلنا نقرر أولا بأن هذه المشكلة تهم سائر الجزائريين وبأن حلها ينبغي أن يشارك فيه جميع الجزائريين بدون استثناء .

الحقيقة الثانية أن العربية كلفة ظهرت فجأة على المسرح العالمي وهي مكتملة من جميع النواحي . ولم يستطع اللغويون على ما أمرف إيجاد تحليل كاف لهذه الظاهرة .

ذكر المحاضر بتاريخ اللغة العربية الطويل وتطورها واضطلامها ابان العصر العباسي بدور ضخم

ذكر المحاضر في البداية أنه لا يريد القاء محاضرة بالمعنى المتعارف وانما اثاره المناقشة حول الموضوع . ثم قال ان ما سيعرضه من افكار ليست افكاره ، وانما آراء نضجت مع الزمن عند المهتمين بالتربية في الجزائر .

وقال ان تعريف المشكل يضمننا في نهاية التحليل وجها لوجه ، اما ضرورة تحديد اختيار لغة أو لغات التعليم ، وهو اختيار لم تتم به بعد ، ذلك لان على الجزائر أن تضع سياسة بعيدة المدى للتعليم ، وهنا يلقي السؤال : هل يحسن بنا أن نتخذ لغة واحدة للتعليم ؟ ، وأن الاجابة على هذا السؤال ليست سهلة كما يتبادر الى الذهن ، فهذه القضايا تثير مجموعة من المشاكل منها ما له صبغة لغوية بحث ، ومنها ما له اتصال بالجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتربوية في نفس الوقت .

ولهذا فان معالجة المشكل لا يمكن ان تتم الا عن طريق الدراسة الكاملة لكل هذه الجوانب ، والاقترار على جانب واحد يؤدي بنا الى حلول ناقصة .

وقال ان هذا التعقيد الناجم من طبيعة القضية قد يتخذ ذريعة لابقائها دائما تحت الدرس والمناقشة .

هو تمثل مختلف ألوان الحضارات ونقل هذا التراث إلى الأجيال اللاحقة .

ثم أصاب العربية انتكاس نتيجة تخلف المجتمع العربي نفسه . وفي الوقت الحاضر تعرف هذه اللغة نهضة جديدة .

وأشار المحاضر إلى ظهور لهجات التخاطب في البلدان العربية ، مبينا أن هذه اللهجات على اختلافها تكون وحدة تمكن المتكلمين بها من التفاهم بجهد بسيط

وخلص المحاضر من ذلك إلى القول :

باننا أمام لغة قديمة قامت بدور أساسي وأمام لغة خطاب مختلفة احتفظت بوحدتها . ثم أمام ظاهرة ثالثة وهي ظهور ما يسمى باللغة المشتركة أو العربية المعربة التي تجمع الإصالة ونوعا من التبسيط في منطها وتراكيبها بجعلها قادرة ومتفتحة على التيارات اللغوية المتصلة بها بشتى طرق الاتصال .

ثم أشار إلى أن الاستعمار جعل ظل اللغة العربية يتقلص تدريجيا في المدرسة الجزائرية إلى أن تفردت بها اللغة الفرنسية ، وهذا جعل المدرسة أداة لمسح الشعب الجزائري وفرنسته .

ومند الاستقلال ، كان لا بد من تغيير هذه الوضعية ، وأدخل في البداية وكخطوة أولى قدر أدنى من اللغة العربية كمادة درس أساسية في كل فصل .

وهنا وضعت مشكلة الاختيار أينصب على لغة واحدة للتعليم أم ينبغي الاحتفاظ بالازدواجية ؟ .

وقد رأينا كيف أن هذا السؤال صعب الجواب نظرا لتشعب الموضوع ، وكيف أن طبيعة التشعب هذه تتخذ ذريعة لإبقاء المشكل دائما تحت الدرس والمناقشة .

وقبل أن تتخذ الجزائر حلا جذريا ، حاولت ألا يكون مجهودها المدرسي استمرارا لنشر الفرنسية في المدارس . فحريت مواد التاريخ والتربية الدينية والخطبة والمدنية والجغرافية مع كثير من التحفظ وحررت السنتان الأولى والثانية من التعليم الابتدائي وأهدت بعض الثانوية المعربة في أوائل الاستقلال . وكان هذا ما يمكن أن نسميه بالتجربة الجزائرية في حقل التعريب .

هل تكفي هذه الإجراءات لإخراج المدرسة الجزائرية من طبيعتها الموروثة وجعلها تعمل وفق الاختيارات الأساسية للجزائر ؟

امتقادي الخاص وكثير من الإخوان في لجنة إصلاح التعليم أن ذلك لا يكفي وإنما إن كانت خفت من هذه الطبيعة الموروثة ، فإن المدرسة الجزائرية ما زالت وسيلة لنشر نوع من الفرنسية غير منظور . وهي لهذا السبب أخطر من المدرسة الفرنسية التي كانت تجابه الجزائريين بما يكرهون كاشفة القناع من وجهها .

والسبب الرئيسي لهذه الوضعية هو أن المدرسة الجزائرية لا من اختيار بل لتوقفها على اختيار طريقة ناجمة للتعريب ، انتهت إلى الازدواجية : العربية في الدراسات الأدبية (النظريات) والفرنسية في العلوم

هذا الوضع يقدم للطفل الجزائري صوريين ، صورة الماضي متمثلا في اللغة العربية ، وصورة المستقبل وبالتالي للفعالية متمثلا في اللغة الفرنسية .

وإذا استمر الوضع على هذه الحال فإنه يوشك أن يحدث اختلال في شخصية المواطن الذي تكونه وإن امتنا لا نريد أن نزيل ماضيها من الأذهان بعيدا عن الفعالية وقد يرتبط هذا الماضي منها باللغة العربية .

وبعد ما أشار المحاضر إلى الحجج التي يقدمها البعض من قصد حسن نية إصلاح جهاز التعليم وجعله ملائما لتوفير العدد الكافي من الأطارات لمقاومة التخلف ، وتولهم أن المهم أن يكون في البلاد مثل هذه الأطارات وأن اللغة شبه ثانوي . هذا التيار في نظر المحاضر يمتد على نظرة ليس فيها همق ، لأن التعريب لا يمكن أن يكون منافيا لهدف التنمية .

### مقدرة اللغة العربية :

ويبدو من الوضع الحالي للتعليم بالجزائر أن هناك تعارضا ظاهريا بين تعريب التعليم وتلقيته . قد ينجم منه الشك في مقدرة اللغة العربية كما قد يكون نتيجة نظرة سطحية إلى واقع العالم العربي .

فمن حيث الشك في مقدرة اللغة العربية ، يمكن أن يرجع إلى أن هناك دولة عربية تستعمل اللغة العربية كأداة لتعليم جميع الصواد ، هي سوريا .

والمختصون بالدراسات اللغوية يؤكدون بان اللغة العربية قطعت شوطا بعيدا في تطوير نفسها ، واصبحت مرشحة لان تكون لغة عالمية .

نعم هناك مشكل المصطلحات ما زال قائما لكون الجهود الفردية بشانه مبشرة غير منسقة . ولكن المشكل حاصل في مستوى معين . هو غير حاصل في مستوى التعليم الابتدائي ولا الثانوي ولا حتى بعض الدراسات الجامعية . وانما يوجد في مستوى الاختصاص الفيق - والبحث العلمي ، والتبادل مع الغير .

فما يقال عن عجز اللغة العربية انما يقال بدون تمحيص . فهي صالحة كل الصلاحية بدون ادنى عائق في مستوى الثانوي على الاقل .

على ان هناك الادعاء القائل بان اللغة العربية صالحة كأداة في تلقين الدراسات الادبية والانسانية ، وغير صالحة لتلقين التقنيات .

اولا : مصطلحات العلوم الصحيحة قليلة ومحدودة .

ثانيا : الصفة التي تمتاز بها المصطلحات هي الدقة والوحدة .

وهذه مطالب غير عسير تحقيقها على جهود العاملين في هذا المجال .

على ان هناك حقيقة يجهلها الكثير ، وهي ان مشكلة المصطلحات في الدراسات الادبية والانسانية ،

أكبر منها بكثير في العلوم الصحيحة . وذلك لشعب تلك الدراسات وصعوبة وضع المصطلح الدقيق بشأنها

وامتقانا ان هذا الامر الممكوس للغاية .

وان القصد من ذلك تبرير الوضع القائم واكثر منه تعبير عن حقائق علمية .

الجانب الثاني : النظرة السطحية الى واقع العالم العربي .

تجارب العالم العربي في ميدان التعريب :

اعتبر المحاضر ثلاث تجارب اساسية

(1) تجربة سماها شاملة ، هي تجربة سوريا .

ليست جديدة، ابتدأت أثناء الحرب العالمية الاولى تمت بتشجيع الخبراء الفرنسيين الذين كانوا يصنعون

التقارير تلو التقارير يؤكدون ان العربية صالحة في جميع مراحل التعليم . وكان حائزهم الى الرغبة في وقف انتشار اللغة الانجليزية في المشرق العربي .

اعطت هذه التجربة نتائج يمكن ان تعتبر حجة كافية على صلاحية اللغة العربية . لكنها تصطبغ بنقص عاب السوريون أنفسهم هو عدم اهتمامها بتدريس اللغات الاخرى .

هذا جعل التخرجين ، وخاصة المختصين والمشاركين في البحث العلمي يجدون بعض العمومة في ميادين الاختصاص نظرا لضعفهم في اللغات الاجنبية .

لكن هذا يمثل مرحلة هي الآن في طريق الزوال .

(2) تجربة وفتت في نصف الطريق ، تمثلها ، مصر والعراق

وقفت عند الابتدائي والثانوي والدراسات الادبية والانسانية في التعليم الجامعي ، وبقيت المواد العلمية باللغة الاجنبية .

وكان من نتائج هذه السياسة تناقض واضح يتمثل في انشاء المجامع العلمية اللغوية من جهة ، ورفض استعمال العربية في العلوم من جهة اخرى .

فوقوف التعليم في الجامعة بالعربية لدى العلوم ليس منطقيا ، ولكنه مرتبط باوضاع .

هنا استعرض المحاضر الكفاح الذي خاضه الشعب المصري تحت الاحتلال الانجليزي لفرض اللغة العربية في الابتدائي والثانوي ، واضطرار الحكومة للاستجابة واصرارها على عدم تمميمه على الجامعة .

وكيف ان الجامعات المصرية قامت بمجهودات الشعب الاهلية ولم تساهم فيها الحكومة .

وكيف ان القائمين عليها اقتصروا على تعريب النظريات لانها كانت في متناول مجهوداتهم المتواضعة ولا تكلف كثيرا .

وكيف ان تجربة العراق تشابه كثيرا تجربة مصر ، ثم قال :

ان الاتجاه الذي في سوريا ومصر والعراق هو التفكير الجدي في اكمال الحلقة .

### 3) الطار المغرب العربي :

تتميز تجربة الطار المغرب العربي بالتوفيق من البت في اختيار لغة واحدة للتعليم ، وتخصيص اللغة الفرنسية لتلقين العلوم والتقنيات .

وهذه تجربة قد تؤدي الى مخاطر ، لانها مبنية على احكام سابقة غير مخصصة .

ثم لخص المحاضر الوضع في العالم العربي ككل ، فقال ان التجربة ككل تعتبر عامل اللغة ، وتناسى اشياء اساسية ، وهي ان حركة التعريب بدأت في وضع سياسي كان العالم العربي فيه خاضعا لنظم استعمارية ، وان المجتمعات العربية في ذلك الحين كانت مجتمعات اقطاعية او شبه اقطاعية .

ولهذا فان تجربة التعريب كانت منعزلة تمتد تطوير اللغة بمفردها ، دون البحث في الاسباب المؤدية الى تطوير المجتمع ككل . اذ مدى تطوير اللغة مرتبط بتطور المجتمع . وقد كانت تجربة تستهدف احداث ثورة في اللغة ، في نفس الوقت الذي تريد تلافى احداث ثورة في المجتمع .

وهذا من شأنه ان يؤدي الى الاخفاق .

اذ كيف يمكن ان تتطور اللغة العربية في مجتمعات اقطاعية او شبه اقطاعية لا وجود فيها لاساس مادي للعلوم والتكنولوجيا .

### التعريب يسدا الان

وعلى هذا ، فان التجربة الحقيقية للتعريب تبدأ الان بعد ان اصبح واضحاً ان هذا لا يمكن ان يتم الا في نطاق ثورة شاملة . في اطار هذه الثورة يمكن ان تستكمل التجربة جميع اسباب النجاح .

### النتيجة

انه اذا كان التعريب لم يؤد في نظر الاجانب الى نتائج ايجابية ، فالمسؤول عن ذلك ليس اللغة العربية . ولكن فساد النظم التي كانت سائدة ، تمكس صورة للمجتمع ، ونقا على طبقة محظوظة ، محشوة بالنظريات ، بعيدة عن مجالات التطبيق يتميز بغلبة التكوين العام او الثقافة العامة على حساب العلوم الصحيحة والتقنية .

هذا الوضع لم يتغير جنربا . وهو لسمية مشتركة بين سائر الطار العالم العربي ، ولا تشذ الجزائر عن ذلك .

ان الجزائر تحاول الان ان تقوم بثورة شاملة في جميع المجالات وسلوك سبيل الاصلاحات الجدرية بغية تطوير المجتمع اقتصاديا واجتماعيا . واننا متجهون الان الى اصلاح نظم التعليم بما يوافق اختياراتنا الاساسية . وهذا عنصر مساعد جدا .

### سياسة رجعية ؟

على اننا نرى بعض المتحمسين للثورة ينكرون امكانية ان تكون العربية في الجزائر اداة للتربية . ويلهبون الى ابعد من ذلك اذ يتصورون ان العربية التي مضى عليها ربح من الزمن انكشفت فيه واصبحت لغة التعليم الديني فحسب ، وانقطعت عن تيار الحضارات والانكار الحديثة والعلوم التقنية ، لا يمكن ان تكون الا اداة لسياسة رجعية .

ومع ملاحظتنا على هؤلاء انه سواء بسواء يمكن ان تنفذ سياسة رجعية من طريق الفرنسية ، فاننا اذا سلمنا ان العربية بما اصابها من تاخر بفعل تاخر المجتمع ، نرى ان احسن وسيلة لاجبار العربية على القيام بدور سلبي ، هو ابقاؤها بعيدة عن ميدان العلوم الصحيحة . لا فرو اذا اننا اردنا ان تلعب العربية دورا ايجابيا في تطوير البلاد وتحقيق الثورة ، يجب ان نتخذها اداة للعلوم . هذه الاختيارات النظرية . -

اضيف الى ذلك شيئا اساسيا هو الدعوة الى الازدواجية . وبهذا الصدد تعدد مزايا الازدواجية في التعليم وفي الحياة .

امتقد ان الازدواجية ليست ذات معنى واحد . لهذا اللفظ يمكن ان يطلق على اشياء كثيرة تختلف من حيث الدرجة كما تختلف من حيث الطبيعة .

ونحن نرفض الازدواجية مبدليا لاسباب بديهية هي :

1) ان الازدواجية بين العربية والفرنسية ليس لها سند سكاني .

كان الامر يختلف لو ان الاثنية الاوربية قررت البقاء في الجوائر اذن لكان المشكل فالما .

(2) نحن نفرض الازدواجية ، اذا كانت تعني اعتماد الفرنسية كوسيلة وحيدة للتفتح على الحضارة المصرية ، لاننا لا نسلم بمجز اللغة العربية عن تادية هذا الدور .

يبقى هنالك نوع من الازدواجية نسميه بالازدواجية التربوية . ويدعو اليه الكثيرون من المرين في العصر الحديث . معناها تعلم اللغات الاجنبية .

والازدواجية بهذا المعنى يمكن اعتبارها اذا كانت لغة التعليم موحدة والعربية لغة تدريس لجميع المواد في جميع المراحل ، يمكن اذ ذلك ان نفكر في تعليم اللغات الاخرى من اجل التفتح والاتصال .

والازدواجية بهذا المعنى بدا تطبيقها في بعض البلدان على سبيل التجربة وهي ما زالت في طور التجربة .

ونحن نستطيع ان نسلم جدلا بان الجزائر في استطاعتها ان تتبنى هذه التجربة في النطاق الوطني العام . وهذا يمكن ان يناقش ويستفاد منه .

### التعريب من الناحية العلمية

الجميع يقر بان العملية لا يمكن ان تتم دفعة واحدة . والتدرج نفسه اذا لم يطبق بدقة قد يكون سببا في الفشل وذريعة تتخذ لفرض مبدأ التعريب نفسه .

### والتدرج يصطدم بصعوبات أهمها :

صعوبة توفير الوسائل البشرية والمادية والتربوية لتعريب صف كامل ( التدرج العمودي من الاسفل الى الاعلى ) . وهذا التدرج العمودي منطقي ، ولكن صعب تخطيطه . فهو يضع المسؤولين امام آجال لا تقبل التأخير . وفيه ايضا اجبار التلاميذ على تغيير اداة التعليم فجأة ( ابتداء من السنة الثالثة الابتدائية الآن ) : هنالك التدرج الافقي = أن تعرب كل سنة مجموعة من المدارس الابتدائية والثانوية تعريبا شاملا وفق سلم التعليم .

مثلا = مائة مدرسة ابتدائية

وفي نفس الوقت 10 اعداديات

وبعد سنة 5 ثانويات

وقد يمكن التوسع اكثر اذا سمحت الامكانيات . هذه الطريقة تضمن للتلاميذ ترقيا في السلك يوصلهم الى البكالوريا بدون هائق .

ويمكن ادخال اللغة الاجنبية ابتداء من السنة الرابعة او الخامسة ليتمكنوا من مواجهة تعليم الجامعة بالفرنسية ، اذا لم تكن قد تمكنا من تعريب الجامعة اذ ذلك .

### خضم لوحدة التعليم :

هنالك من يرى في هذا التدرج خصما لنظام وحدة التعليم الواقع ان الامر لا يخلو من ذلك . وقد نعيش لفترة طويلة على نظامين تعليميين مختلفان قليلا . ومع ذلك فان الفرق بين النظامين يكون في العلوم الصحيحة فقط . ومن السهل ان تصور التلاميذ الذين يتابعون النظام الانتقالي الحاضر بما يحصل لهم من ملكة في اللغة العربية ، يصبحون قادرين على مواصلة تعليمهم العالي باللغة العربية .

هذا التدرج يمكن من التغلب على كثير من المشاكل ، الا انه لا يعفينا ايضا من الاحتياجات البشرية والتربوية والمادية ، ومن الآجال الواضحة .

واخيرا فان تعريب التعليم لا يمكن ان يتم بواسطة الجهاز التقليدي لوزارة التربية ولا بد من انشاء مؤسسات تسهر على حركة التعريب ، وهي في نظري :

(1) مركز وطني لتيسير اللغة العربية ونشرها . لا كجميع ، اذ لا فائدة من ذلك بل مركز يجمع بين البحوث الاساسية في العربية ومحاولة ايجاد الحلول لمشاكل العربية ، وليست العربية بدعا بين اللغات في ذلك . وقد تكون المشاكل في العربية تختلف من حيث الدرجة ولكنها لا تختلف من حيث الطبيعة بالنسبة للغات اخرى .

اتصور المركز ملتقى الباحثين من رجال التربية واللغة والتعليم ، لايجاد احسن الحلول لتعليم اللغة العربية لا في المدرسة وحدها ، ولكن ياساليب عصرية ووظيفية للعديد من الجزائريين المنتمطين للتزود بهذه الاداة التي تمكن من الاسهام الحقيقي في تعميق جذور الثورة وجعل معركة التعريب معركة الشعب .

## مدرسة الترجمة

من هذه النواة يمكن الانطلاق لاعطاء مفهوم جديد للترجمة يجعل منها لا عملا هامشيا ، ولكن أساسا لتطوير المجتمع وتنظيم العلاقة بينه وبين الشعوب .

ينبغي اذن تكليف المدرسة برسالة اخرى . لا ينبغي ان تقتنع بتكوين الترجمة للأعمال اليومية ، بل أن ننزع الى تخصيص علماء في مختلف المواد والعلوم لتكريس جهودهم لعمل الترجمة الذي هو على ما اعتقد عمل أساسي في بناء النهضة العلمية .

## المؤسسة الثالثة

تنظيم واسع شعبي اعتقد من السابق لاوانه تعود جميع عناصره . ولكن اتصوره على شكل مؤسسة تجمع بين مسؤولين معينين يحتلون مراكز حساسة بالنسبة للعمل الإداري والجماعي ، يسهرون على تطبيق المخطط العام للتعريب وربط تعريب التعليم بتعريب بقية الميادين .





# تأثير العربية في سنغال

الأستاذ مالك انجاي «سنغال»

«... ما ترددنا عن فتح مدرسة عربية في كل من جنه وتمبكتو وسان لوي حيث يجد طالب العلوم الدينية تعليما فرنسيا رفيعا مع دروس النحو والفقه... والفكرة الدائمة لانشاء المدارس العربية الفرنسية هي ان تصير محل تلاق وتوافق بين العقلية القرآنية وروح العصر.» (1)

وهذا اقرار واعتراف بأنه وجدت وقتلها عقلية قرآنية تستحق ان تنكف السياسة لجاراتها والسلوك معها مسلكا خاصا ، ومعنى وجود عقلية قرآنية كهذه هو وجود ثقافة عربية دينية راسخة يعتبرها الاحتلال الجديد منافسا لا يمكن الاغضاء عنه واخذ التدابير الحيلية للانتصار عليه .

ورغم افراوات الحكومة وضغطها على الناس لارسال ابنائهم الى المدارس الفرنسية فلم تستطع ان تحمل الناس على الامراض من الكتابيب ، ويشهد التقرير الرسمي لعام 1912 على ان 633 تلميذا فقط هم الذين كانوا يتابعون ، مع استمرارهم على دروسهم القرآنية في الكتابيب ، دروس المدارس الفرنسية ، وهذا من بين 11.451 تلميذا الموزعين في كتابيب سنغال البالغ عددها في العام المذكور 1385 كتبا .

احتلت فرنسا سنغال والعربية هي اللغة الحية الوحيدة المستعملة فيه ، ووسيلة التفاهم بين الملوك في مناطقه المختلفة اللغات . كان الملوك يستعملون المستعربين للكتابة والترجمة ، واتخذوا منهم القضاة والمستشارين في الشؤون الدينية ، فكانت العربية لغة تدوين الوثائق من معاهدات وعقود ورسائل ، واتخذت فرنسا نفسها العربية واستعملتها في التفاهم في الاعلانات والمناشير التي تهم الخاص والعام من الاهالي . وكان الملوك والمشايخ يرسلون السلطات الفرنسية بالعربية . وفي كتاب «دراسات اسلامية عن سنغال» يقول الافريقياني الفرنسي «بول مارتي» ان جميع المشايخ كانوا يرسلون السلطات الادارية بالعربية ما عدا الشيخ «بوكنت» زعيم الفرقة القادرية الكنتية ، وصكت النقود حاملة الكتابة العربية مع الكتابة الفرنسية ، وصدرت الجريدة الرسمية الاولى للحكومة الفرنسية في سنغال مكتوبة فيها الاخبار المهمة للاهالي بالعربية والفرنسية . وفتحت في سان لوي عاصمة سنغال الاولى مدرسة فرنسية عربية لافراء الناس على تعلم الفرنسية مع العربية . قال الافريقياني الفرنسي «روبير ارنو» Robert Arnaud في كتابه (الاسلام وسياسة فرنسا الاسلامية في غرب افريقيا) :

(1)

وفي مجموعة الجريدة الرسمية لعامي 1878 - 1879 م الموجودة في مكتبة الاتحاد الثقافي الاسلامي، والتي نقلنا منها النصوص الآتية في آخر هذا الفصل ، توجد الاخبار الهامة لدى الاهالي مكتوبة بالعربية والفرنسية. والورق المصكوك في دكار بتاريخ 13 اكتوبر 1924 تحمل الكتابة العربية في احدى جهتيها مع الفرنسية في الجهة المقابلة .

### دور الطرق الصوفية في التعريب :

ومن اهم الدوافع للتعريب في هذا القرن والقرون السابقة من غير شك الطرق الصوفية واهمها في سنغال ثلاث : القادرية والتجانية والمريدية او القادرية المريدية بتعبير ادق . ويظهر تأثير هذه الطرق في مجالين هامين هما مجال اعلام الاناس والاماكن والمنظمات والعوائد ومجال التعليم ، والمجال الثاني تتكفل ببيانه الفصول المعقودة للمدارس العربية الكبرى في سنغال كمدرسة التجانية في تراوون ومدرسة المريدية في جربل

اما المجال الاول فان تعلق القوم بالشخصيات الصوفية البارزة في هذه الطرق مثل الشيخ سمد ابيه والحاج مالك والشيخ الخديم احمد بمب كان سببا للتبرك بهم والتقرب اليهم بتسمية الابناء باسمائهم واسماء من تفرغ منهم . ولكن هؤلاء متعلقين بدورهم بالوجهاء المشهورين في التاريخ الاسلامي من النبي صلى الله عليه وسلم والصحابه والتابعين وكبار المتصوفة فانهم لا يترددون في اطلاق اسماء هؤلاء على ابنائهم وعلى ابناء من يخيرهم اسماء لواليدهم من المريدين وعلى من اهدوا الى الاسلام بواسطتهم بدلا من اسمائهم العائلية ، فمن هنا تنسخ الابوة الروحية محل الابوة النسبية برضى ووافق بين الطرفين . فما يلبث الولفي المهدي الى الاسلام باسم « جبل » ان يتسمى باسم «محمد الامين» والسرايري المهدي باسم « لئسر » ان يحمل اسم « ابراهيم » والفلاقي المهدي باسم « جول » ان يحمل اسم «علي» وهكذا . ولو اراد الانسان ان يكتب عناوين الدين سموا الحاج مالك والخليفة ابا بكر سه والحاج منصور سه من الطائفة التجانية التواونية او عناوين الذين سموا احمد بمب ومصطفى البكي وبشير البكي من الطائفة القادرية المريدية للزمه للقيام بهذا

المعمل اضبارة من الاوراق . هذا ولم يمض على ميلاد اكبر هؤلاء سنا الا 115 سنة . فاذا عرفنا ان هذا التعريب يستمر بنفس الحماسة في القادرية واللاهية . ادركنا اي سرعة يسير هذا التعريب الجماهيري في اعلام الاشخاص ويتقدم نحو الشمول.

لا يسعنا وقد تكلمنا في دور الطرق الصوفية عموما في تعريب اعلام الاشخاص الا ان نتكلم من دور المريدية والتجانية التواونية كل منهما في فرع خاص من فروع المجال الاول من التعريب يرت فيها غيرها من ضرائها . لقد فاقت المريدية في تعريب اسماء البقاع وسبقت التجانية التواونية في تعريب اسماء المنظمات الداخلية المسماة بـ « الدوائر » الموجودة في جميع الطرق السنغالية والتي ابتدعها مجاراة للمريدية في دساكرها الفلاحية .

ففي اقاليم بول وجلف وجنوب كجور يتجلى دور المريدية في تعريب البقاع حيث قام الشيوخ المريدون بحماسة فائقة بتأسيس الدساكر والقرى والمدن حتى طبعوا المناطق المذكورة بطابع متميز من طابع غيرها من المناطق السنغالية من حيث تعريب كثير من اعلام قراها ودساكرها . فنشروا على ارضها هذه الاسماء اللطيفة في السمع مثل : طوبى - دار السلام - دار المسطي - دار الفسفور - دار المنن - دار المنان - دار النسيم - دار العليم - دار الرحمن دار الرحمة - دار القدوس - الشام - مدينة - طائف - عالية - طوبى فال - طوبى كن ، وسموا سوق طوبى مهد المريدية هناك .

ونشاط المريدية في تعريب اعلام الامكنة يسهاه نشاط التجانية في تعريب اعلام المنظمات الداخلية « الدوائر » . ومنذ نشأة هذه الجماعات اختارت القيادة التجانية التواونية تعريب اسمائها فاطلقت على اول جماعة تكونت منها اسم « دائرة الكرام » ثم تباينت الحلقات في هذه السلسلة : دائرة المهتدين - دائرة المنة - دائرة المقتفين - دائرة المتقين - دائرة الوفاء - دائرة المهاجرين والانصار - دائرة المقتدين - دائرة المحسنين - دائرة الابرار - دائرة الخليفة الاكبر - دائرة الخير والبر - دائرة المومنين . الى غير ذلك من الاسماء الرنانة التي اطلقت على مئات الجماعات .

المذكور مكملته بمشربين اسما من الوزراء وكبار المسؤولين في الحكومة . والمجموعة الثالثة مؤلفة من عشرة قوائم مائوية مصدرها الجريدة المذكورة في عددها الصادر يوم 2 - 8 - 1968 . وهي أكبر المجموعات الاربع واصدقها تمثيلا للواقع لانها تمثل قائمة اسما الناجحين في امتحانات الدخول في السنة السادسة من التعليم الثانوي واصحاب اسما هذه القائمة متقاربون في السن لا يجاوز اكبرهم سنا ثلاث عشرة سنة ولا يقل عمر اصغرهم عن احدى عشرة سنة . ويزيد في قيمة هذه المجموعة تمثيلها لجميع اقاليم السنغال السبعة لان الامتحان المذكور يجري في جميع انحاء سنغال وتظهر نتائجه جملة مترتبة الاسما فيها بترتيب أبجدي ومن هنا انتفت الاقليمية عن نتائج المجموعة .

### تأثير العربية في اللغات المحلية

اثرت العربية في لغات سنغال المحلية ولاسيما الولفية والفلاندية فقد استعملت كل من الجماعتين الحروف العربية في الكتابة بلفتها ، وذلك منذ زمان قديم مجهول يرسلون ويدونون بها خواطهم ، اما الولفية فيوجد بينها وبين العربية شبه كبير من خصائص البناء ليس هذا الكتاب مجالا للتفصيل فيها مثل كون اكثر الانعام الماضية مركبة من ثلاثة حروف ، وتقديم ملامة الفارع على اصل الفعل والتلفظ بلامة الجمع . وتأخير الضمائر المتصلة بالماضي عنه الى غير ذلك .

ونظم الشعراء المستعربون الولى والتكفور القصائد ملتزمين فيها قوانين العروض العربية من التفعيلات والقوافي والبحور واستحدث الشعراء المستعربون الولى فنا شعريا سموه البديع وهو قصائد منها «المصدور» يتألف البيت منها من صدر ولفي وعجز عربي . ومنها المعجوز صدره عربي وعجزه ولفي . ومنها المحشو يحشي القسم الولى بين جزئين عربيين ومنها غير ذلك . وسنلحق بهذا البحث نماذج من هذا الفن لبعض الشعراء الولىين .

طبق المستعربون الفلايون والولىيون قواعد العروض ونظموا قصائد ذات افراض مختلفة كالقصة والوفظ والمدح والهجاء والثناء . ولا ينافي ذلك ان يستنكف الكثيرون من كبار المستعربين عن نظم الشعر

وهذا التعريب الذي يتولى كبره قادة الطرق الصوفية في الاسما التي يختارونها للقرى والاشخاص والجماعات ادخل في الشعب حماسة مماثلة لعرب الكثيرون منهم اسما القرى التي اسسوها ويتجلى هذا في الاحياء الشعبية في المدن السنغالية الاساسية حيث اتخذت للكثيرة منها اسما مثل : فاس - نساط - طوبى - مدينة - دار السلام - مزدلفة الخ ..

خذ خريطة مفصلة للقرى والمدن السنغالية واجل بصرك في اقاليمها المختلفة من الشرق الى الغرب ومن الشمال الى الجنوب او تناول سجل العمال لاحدى المؤسسات الصناعية او سجل الاهضاء المنخرطين في احدى الجمعيات ، او اسما الجنود في احدى الشكات العسكرية او اسما التلاميذ في احدى المدارس فسيكون اول ما يلفت انتباهك ذلك العدد الكثير من اسما القرى والساكر والاشخاص العربية .

تمت انا شخصيا لاختبار سرمة التعريب في اسما الاشخاص فاعجبني السرعة التي يتم ويسير بها هذا التعريب ، فبينما كانت النسبة المئوية تتردد بين 44 ٪ و 48 ٪ في اواخر القرن الماضي واوائل هذا القرن اعتمادا على القائمين المؤيدين العديدين عن قوائم اسما كثيرة من الجريدة الرسمية لعامي 1878م و 1879م اوتفع خلال الستين سنة الماضية الى 69 ٪ و 77 ٪ في عام 1966م

اما الطريقة التي سلكتها في هذا التحقيق فهي اننا اعددنا ست عشرة قائمة تتألف كل قائمة من مائة اسم . وقد مر في السطور السابقة نتيجة القائمتين الاوليين . وبتنا في الجدول الملحق بهذا الفصل ثلاث مجموعات من القوائم تتألف المجموعة الاولى منها من ثلاثة قوائم مصدرها جريدة « دكار متان » اليومية « Dakar Matin » في عدديها الصادرين يومي الجمعة 22 - 7 - 1960 ويوم السبت 23 - 7 - 1960 . وهي قوائم اسما النواب المرشحين للانتخاب لحرزبين المتنافسين في الحكم في السنة المذكورة . والمجموعة الثانية مصدرها الجريدة المذكورة في عددها الصادر يوم الخميس 18 - 1 - 1968 وهي قائمة اسما النواب المرشحين للانتخابات التشريعية للعام

بالاعجمية ، ولعل ذلك ناتج عما يسود هذا المجال من اللغو المناني للورع والمقاصد الصوفية .

يجد الباحث في العلاقات بين الالفية والعربية ظاهرتين لا محيص من ملاحظتهما والاقترار بهما والاعتراف بهما وهما ظاهرة تأثير العربية في الالفية من حيث الحفظ وابقاء الكثير من مفرداتها وظاهرة تأثيرها فيها باندساس الكثير من مفرداتها اليها .

ففي الظاهرة الاولى نلاحظ ان الكثير من المفردات الالفية المهجورة في المخاطبات ومن ذواكر الاغلبية العظمى من الشعب - غير المستعربين - بقيت محفوظة في صدور المستعربين من الفقهاء واللغويين الالف ، وذلك بفضل المنهج الذي كانوا يسلكونه في الدرس بتفسير كل كلمة عربية على افراد بالكلمة الالفية المرادفة لها . وبمرور قرون عدة على تدريس كتب الفقه والاصول والحديث والالفية مثل مختصر خليل في الفقه والورقات ومقامات الحريري ودواوين الشعر الجاهلي وغيرها . ولا شك انه انما تطور لغة الحديث بقيت الالفية الشبيهة بالكتوبة متحجرة يتناقها المستعربون كابراً من كابر وحفظت الكثير من المفردات المدرسة من الدواكر . وفي العصر الحاضر لا يمكن لاحد تأليف معجم ولفي كامل لسوي دونما اعتماد واستعانة بهؤلاء المممين المدرسين في الحلقات المحظوظين بالدراسة على المنهج القديم المستحفظين في ذواكرهم جميع الكلمات الالفية المرادفة لما في مقامات الحريري ومختصر خليل وغيرهما من كتب الفقه والادب . وكفى للاستنابات من هذا الراي ان يستمع اكبر خبراء الالفية غير المستعربين الى عدة دروس لدى احد المممين .

اما الجهة الثانية من تأثير العربية في الالفية وهي اندساس كثير من مفردات العربية الى الالفية

نتجلى في تسرب الكلمات العربية العديدة الى الالفية خلال الاحتكاك الطويل بين اللغتين . والكلمات التي اتحمت على الالفية عربيتها ما اتيح لها ذلك النصر الا بالصبر على الجروح الفائرة التي اصابتها انشاء المعركة وهي متمثلة في التحريف المبني والمعنوي واصابها من اللحن والتحريف ما يصيب كلمات كل لغة عندما تفزو غيرها وتتسرب اليها .

والحق ان التحريف المبني للكلمات العربية المولفة اكثر شيوعا من التحريف المعنوي وهذا لا يعني ان كلمة من اطهر الكلمات العربية « صادقين » جمع صادق اقبلت ان تفتح دالها وان تكون لها معنى « فاسق » جزاء لدخولها الالفية .

يجرنا الكلام على تأثير العربية في الالفية الى ذكر ما يتعرض الكلمة العربية من التحريف حينما تدخل في الالفية والى شرح ابرز قواعد التحريف . ان الكلمة العربية قد تفقد بعض حروفها بالحذف ويتشوه البعض الآخر بالتحريف .

العربية بتضمنها اثني عشرة حرفا غير موجودة بالالفية ، اصلا، تعرض لتحريف لا محيد منه، وهذا زيادة على ضروب التعبير التي تترك اثرها في الكلمة العربية . وهذه الحروف هي : ث ح ذ ز ش ص ض ط ظ ع غ هـ . اما اشهر دواعي التحريف المبني فهو :

1 - الترخيم : هو ضرب من التحريف ياتي به الالف لظهور التحنن على المعبر منه وهو مستعمل في العربية ايضا ولكن بصورة تختلف عن الصور الالفية في الترخيم ، وقد يكون بحذف اول الكلمة او حذف آخرها ، وهكذا يقولون في :

زئب	نب	سي	جارية	جار	فاطمة	فات
خديجة	جة	خد	محمود	مود	رقية	رق
نقية	نف	»	مبد	اب	حليمة	المه
صفية	سف	»	ابراهيم	اب، ابر	آدم	آد
فرمة	فر	»	هرون	ار	رحمة	رم

4 - يلقبون الشاء ، والذال والزي والشين والصاد والفاء سيناً لأنها غير موجودة في لغتهم : زينب ( سينب ) صالح ( سالو ) .

5 - يلقبون الصاد لاما والطاء تاء .

قال الدكتور عبد الواحد وافي في كتابه « علم اللغة » ص 231 ط : 4 : « والمفردات التي تقتبسها لغة ما من غيرها من اللغات يتصل معظمها بأمور قد اختص أهل هذه اللغات أو بزوا أو امتازوا بانساجها أو اكثروا استخدامها » وفيما يلي قائمة من الكلمات العربية المولفة التي يبين تأثير العربية في الولىة خصوصا من الناحية الدينية .

ولعلنا لاحظنا ان العلم « زينب » اصبح شبه مجهول الاصل بعد حذف الحرفية الاخيرين وتبديل الزاي في اوله سيناً فلم يبق فيه من اصله العربي الا الياء ومثل هذا يقال في « هرون » وغيره .

2 - ويتحرف العلم بزيادة حرف مد في آخره عند النداء وعدم مراعاة قاعدة الوقف العربية : مود ( محمود ) مودو ! . سال ( صالح ) سالو ! . آد ( آدم ) آدا ..

3 - تغلب العين والهاء والحاء همزة في اول الكلمة وتحذف غالبا في وسط الكلمة : حبيب ( ابيب ) حليلة ( الة ) عبد الله ( ابلاي ) هادي ( آد ) هائشة ( ايسة ) هرون ( آرون ) محمد ( مد ) معاذ ( ماس ) مهدي ( مدي ) .

الكلمات العربية المولفة :	الزواية ( مكان تجمع الصوفية للذكر )
اجل ( نسم )	حساء
آدم	الخاتم
ابيس	الخبر
الانين	الخطبة
الاحد	الخليفة
الآخرة	الخميس
الاربعماء	الدائرة
اسرائيل	الدابة
الاول ( الكاس الاولى من الشاي خاصة )	الدار
البيت ( الجزء من القصيدة )	الدبران
البدعة	دجنبر
البرادة	الدرامة
البرزخ ( مقر الارواح بعد الموت وقبل البعث )	الدرجة
البركة	الدرهم
البطاقة	الذنيا
البلاء	الدواة
البيمة	الديبة
التخمة	الدين
التربية ( بالمعنى الصوفي )	الذكر
الترجمان	ذو الوجهين
التبيح	الراية
التفسير	الربا
التهمة	الركمة
	الركوع
	الروح
	الروضة
	الزواية
	الزيارة
	الزكاة
	السامة
	السبب
	السبب
	سبوح
	الشر
	السجادة
	السجود
	السر
	السطر
	السطل
	السكر
	السلام
	السلام عليكم
	السماء
	السنة
	السورة
	الشرح
	الشرط
	الشريف
	الشفل
	الشيطان
	الصابون
	الصبح
	الصدقة

ما قالت اذ كنت املودا كلمتها  
 بهيم ليل سوادا فعادة نممه  
 لكن للشيب في فودي وجمجمتي  
 وخطا وخطا فعذراء النسا نيمه

— \* —

الا ارمواء لمن ولت شبيته  
 واذنت بمشيب معلم هرمه  
 بل كل ضيف كريم القوم حوله  
 قرى عليه وهذا شيبه كتمه  
 فاقره - ان ترى ما عشت شادي من  
 هو الشفيح وكل قائل تلجه  
 من ذاته كل ذات لازمت هرفسا  
 في عشر شعرتها لو تفتدى سقمه  
 من كل جرم له قدر يعمره  
 عند الفراغ فداه والفداد يمه  
 من دونه كل منطوق بحرف هجا  
 في الاسم الا الهالجره سكمه

من تحتته كل موجود له جهة  
 من أي ست وربسي أنني نرمة  
 محمد سيد السادات لا احد  
 منهم مدائيه او قائل كتمه  
 صلى عليه اله المرش ما رجيت  
 شفاعة منه او قول له ولمه  
 يا من شفاعة يرجسو وياملها  
 اهل الكباير امثالي فداه نتمه  
 فان جاهك عند الله منجمل  
 هو العظيم فسي الاحوال فتكمه  
 احوال دنياي او احوال آخري  
 او برزخ ثم من ذكراك ديلتمه  
 لا زلت انيبك واسمع ما اردده  
 يا خير من يرجيه مريج ويمه  
 وقال الشيخ ماجورسيه متحديا للقاضي  
 مجنحت كل ومنوها بشأن الشيخ احمد بيب :

الصراط	القلم	ما.رضيت عليه	الناقاة
الضر	التغطسان	مارس	النصراني
الضميف	القوال	المحراب	النفس
الطالب	القياس	المداراة	الهدية
الطبل	القيمة	المربط	الهلاك
الطريقة	لقمة	المسبح	الورقة
الطيرة	الكافد	المسبح الدجال	الوقت
مزرائيل	الكافور	المسك	الوكيل
المادة	الكاس	المكين	الوظيفة
المورة	الكامل	المصحة	الورد
المعيب	الكمال	المصيبة	الوفاة
النفوس	الكرامة	المعنى	الولي
الفتنة	كش !	المقامة	يرحمك الله
الفجر	الكفر	المكان	يهديك الله
القاضي	الكلام	المحنة	يوم القيامة
القبر	الكوب	الملاك	الزمن
القبة	لا بد	المهدي	المرش
ندوس	الله	النبر	اليهود
القعيدة	الروح	الميراث	القعبة
القطب	الماموم	ميكايل	الشر
القرنفل	الشمال	المنافق	الفوقية
		لنافلة	الآية

لم انهمت بعد شيب هبرة وبمه  
 اراقها كلمتا سمدى بيه وبمه ؟  
 اذ كلمتني بتبين الكلمتين بلا  
 هول ومزج بدا لي انها بيمه  
 وان جبل وصال صار منصرما  
 او واهنا خلقا تجديده نتمه  
 مالي اراشي ان لامت هانية  
 عصر الشباب تقبل او تقل بيمه  
 واليوم ان لمت خودا يدي لمبا  
 تاففت ثم نادت : « يا ابي سرمه ا »  
 وكل ناهدة الشديين تلحظني  
 بيمين سخط فتعلي صوتها فومه  
 وان لهوت تلمت او دنوت نات  
 وان اسل فجاب مندها خممه  
 كل كامب واعدتني زورة مشقا  
 زمان شرخي ولما جنتها نغمه

أبدى الكجوري فنا في البديع « كمن  
ندف « بديعا كما أبدى وما بدمعا

ان الحقيقة بحر غاص فيه « تفسر  
درمو « عند التقاط الفانس الودعا

اجاد مدح النبي الهاشمي « توح  
سخلا ميمم « واجاد المدح والقدمعا

فالبيت ليث عريض الساعدين « كجس  
جغم « تيقن ان قد طال ما صرعا

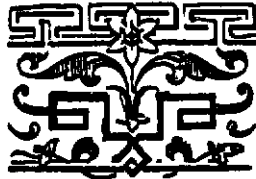
نفي وحوش الفلا عن أرضه « بجندو  
جسنى ج سو نم س « لاسيدا ولا ضبعا

— \* —

لكن هنالك شبل رابض « بجكى  
ج خمن « أن سي جيد الصيد والنقعا

لولا حياء وتقوى رببه « اكتم  
د دول يم « شب بسرا عالما ورععا

وحرمة الشيخ « اكتم مولك مك ث بدون  
ك ملن من « رد ماء حيشما نبععا



# نظرة في الصّلات العربيّة الفارسيّة حتى مطلع الإسلام

الدكتور محمد التونجي

(2)

يلام نطقها العربي ، فابدل الحرف بحرف يدنو من مخرجه ، ان لم يكن هذا الحرف نفسه ، لان نطقه في الفارسية لا يوازن نطقه في العربية ، فحور في الشكل ، ولام في المخرج .

وقد جرى هذا ، اما بابدال حرف مكان اخر ، واما بزيادة حرف او حرفين ، واما بتغيير البناء كله ليصير من ابنية العرب ويتمكن من الاشتقاق منه . وقد ينقص حرفا او يبدل في الحركات ، او يسكن ، او يحرك الساكن . وقد يتركه على حاله دون تغيير ان لم يحوجه الامر الى ذلك .

والجدير بالملاحظة ان العربي اخذ اسماء ولم يأخذ افعالا او حروفا ، وحينما احتاج الى افعالها اشتق ما حلا له وما شاء . فمن (الجم) قال : اجمت الفرس . ومن (مهر) : مهر الكتاب . ومن (ديوان) : دون الحساب . ويمكن حصر هذه الاسماء ، فهي اما اسماء نبات او حيوان او معادن او آلات او ماكولات او مشروبات او عادات مما لم يكن يعدها العربي من قبل .

فكلمة ( طبرزين ) التي هي في الفارسية ( تبرزين ) اسم لسلاح ، كان يحملها الفارس الفارسي معه . وقد تكلمت به العرب . قال جرير

وكان من نتيجة اتجاه الحكم وجهة الشرق ان تآثر العرب باساليب حكم الفرس ، وبمظاهر حياة جديدة افوتهم جدتها وجذبهم لمآنها ، مما اضطر بعض خلفاء بني العباس خاصة الى التعرف على تاريخ الفرس والاطلاع على اخبار ملوكهم ومواظف حكماهم كجزء هام من ثقافة الخليفة او الامير . ولا زلنا نذكر ان المأمون حكم في بلاد فارس ودحا من الزمان ، واستعان بالفرس على اخيه الامين في بغداد .

ولقد تطورت نظم الحياة الاجتماعية ومظاهر الحضارة ، وشاع الترف واللهو والطرب ، وتعددت الازياء والفرش والاثاث والانية . وكان كثير من هذا غير معروف للعرب ، فسموها باسمائها الفارسية او اليونانية او الهندية .

ونحن اذا تصفحنا المعجمات العربية - وليس ذلك بعسير - وجدنا عددا وافرا من المفردات كتب المؤلف عنها انها اعجمية او معربة او ان اصلها فارسي . كذلك اذا نظرنا الى القواميس الفارسية وجدنا اكثر من ثلث الفاظهم - ولم اغال في ذلك - عربية ومستخدمة في لغتهم الى اليوم .

ولم يتوان العربي عن اخذ اية مفردة احتاج اليها من جاره ، وقد تجرأ على تغيير شكلها بحرية بشكل



في رجل من بني كليب ، يقال له (مجيّب) ، اتهم بقرفة ، فلم يلحقوا عليه شيئا فخلوا منه :

كان مجيد الخبث تلقى يمينه

طبرزين قين مقضبا للمفاصل

تداركه عضو المهاجر بعدما

دعا دعوة يا لهفه عند نائل

وكانوا يبدلون الحرف (ب) بثلاث نقط باء احيانا ، و احيانا اخرى فاء ، لان نطقه واقع بين الباء والفاء ، والثلاثة من الحروف الشفوية . فقالوا لـ (برند) فرند وافرند وبرند وهو السيف او جوهره . وكذلك قالوا لـ (بئكان) فنجان . ومثلها : الاصفهانى والاصبهانى وكلاهما واحد . وكذلك قلبوا الشين سينا . فقالوا للصحراء (دست) وفارسيته (دشت) قال الاعشى :

قد علمت فارس وحمير وال

اعراب بالدست ايكم نزلا

وحولوا كلمتي ( بنفشه و لشكر ) الى بنفش وعسكر . اما حرف ( الكاف الفارسي ) فقد اكثر من تبدله وتحويله . فبعض الكلمات الفارسية قلبت كافها الفارسية الى كاف عربية مثل : ( كردن : عنق ) فقالوا لها: كردان . وقالوا لـ ( الكنج ) كنزا . وهنا حصل ابدالان ، فالتفاف مكان الكاف والزاي مكان الجيم . وقد تبدل الكاف الفارسية فينا كما في غربال التي اصلها (كربال) . اما تحول الكاف العربية والكاف الفارسية الى جيم وقاف ، فقد كان كثيرا مثال : لكام - لجام . كزبه - قزبق ، ويعربها بعضهم ( كزبج وكزبق ) ، وهي بمعنى دكان البقال قديما ، لاننا سنرى بعد اسطر انهم كانوا يبدلون الهاء جيما او قافا اذا كانت في اآخر الكلمة .

اما الكلمات الفارسية التي تنتهي بهاء السكت فانهم بدلوها جيما ، فكلمة (بالوده) عربت الى (فالودج) ، وهي حلوى من الطحين والنشاء والشراب ، والموام عندنا يلفظونها (بالوظا) لفظا تركيا . و(برده) عربوها الى (بردج) وهي السبي من الجوارى او الغلمان . قال المعجاج :

كما رايت فى الملاء البردجا

وقالوا للقصر (جوسق) واصلها (جوسه) وقد تحولت فى العامية الى (كشك) . وقد يبدلونها قافا كما فى (باشه) وهو صقر الصيد ، قالوا له (باشق) .

واذا اتى قبل الهاء حرف الدال فانهم يبدلونها بالدال فالجيم مثل : ساده ونموده ، قالوا : ساذج ونموذج . وبدلوا التاء طاء ، فقالوا لـ ( تازه ) طازج .

وقد يزيدون على الكلمة حرفا او ينقصون منها حرفا ، فقالوا لـ (كليد) التي هي بمعنى المفتاح (مقلید) او (اقلید) . قال الراجز :

لم يؤذها الديك بصوت تغريده ولم تعالج غلطا باقلید

ونلاحظ انه لم يجتمع فى كلمة عربية الجيم والقاف الا بحاجز ، ولا الصاد والجيم . وليس فى ابناء العرب اسم فيه نون بعدها راء مثل : نرجس . ولا زاي بعد دال مثل : اندازه ، ثم ابدلوا الزاي سينا فصارت هندسة . كما انه ليس فى العربية كلمة مبنية من باء وسين وتاء ، واذا وجدنا كلمة رباعية او خماسية وليس فيها حرف او حرفان من حروف الزلاقة ، وهي ثلاثة من طرف اللسان : الراء والتون واللام ، وثلاثة من الشفة وهي : الفاء والباء والميم ، فالكلمة ليست عربية مثل : صهريج وشبارق وهو فلذات اللحم التي تقطع للطبخ .

كما كان يتم التاثر عن طريق الجوارى او الاميرات الفارسيات اللواتي انتقلن الى البيت العربي فكان لا بد لهن من ان تؤثر لفتن وعاداتهن فى ازواجهن واولادهن ، وكم عشق الشعراء هؤلاء الجوارى وكم نظموا فيهن . فلقد اهدى الوليد بن يزيد ابن ميادة الشامر جارية طبرستانية رائعة الجمال ، كان تقصها الوحيد فى نظره انها لا تحسن العربية ، فقال فيها :

باهلى ما الدك عند نفسى

لو انك بالكلام تعريينا !

ويتبدى هذا التاثر بواسطة الاسر الفارسية التي هاجرت من ايران الى البلاد العربية ، كما حصل لوالد المهلب الذي هجر بلاده ، وسافر الى عمان ، فطلق ديانته الزردشتية ، واسلم وجعل اسمه ابا سفرة . والعرب اذا كانوا ياخذون اللفظة للحاجة ، فقد اخذوها للتفكه ، كقول ابي المهدي :

يقولون لي شنبد ، ولست مشنبدا

طوال الليالى او يزول بغير

ولا قائلنا زودا ليمجل صاحبي

وبستان فى صدرى على كبير

وشنبذ : من الكلمة الفارسية شنبه أي يوم السبت . وزودا من زود معناها هجل . وبستان : خذ . أو يأخذونها للتفاح بمعرفتهم الفارسية ، كما نجد الأمثال الكثيرة على ذلك في كتابي : تيمية الدهر ودمية القصر .

وعلى هذا فقد تأثر العرب بالفرس لغويا كما تأثروا بالألم المجاورة ، على أن تأثرهم بالفرس أكثر وأوسع نطاقا . وقد جرت هذه الألفاظ إلى العربية في أزمان متفاوتة . فلم تزحمهم كثرتها ولم يعقبهم نطقها . ومن الحق أن نقول أن للفارسية فضل راب الحاجة الحضارية وسد النقص اللغوي الذي تطلبه العصر الجديد بعد الفتح ، فدخلت في قرآننا ، وشعرنا ، ونثرنا ، وأمثالنا .

وإذا كنا تأثرنا بهم حكما وسياسة وثابعية ودينا ولغة قبل الإسلام ، فإننا أثرتنا باستقلالهم واديانهم وعاداتهم ولغاتهم بعد الإسلام ، ولما ضاع استقلالهم ، واندمجوا في دولة الإسلام التي قادها العرب ، ولما ضاعت أديانهم وذابوا في الديانة الإسلامية ، انغمسوا في اللغة العربية وعاداتها وعاداتها .

وكنا ذكرنا في مقالنا السابق أن الأثر العربي الأول في الفارسية كان في تغيير الخط البهلوي الصعب بالخط العربي السهل .

على أننا لا نلبث نراهم يقتبسون الألفاظ الدينية لتتبعها الألفاظ العلمية ثم الألفاظ الأدبية . ورغم أن اللغة العربية هيمنت على الأرض الفارسية ، ورغم أن القرون الثلاثة الأولى كانت العربية لغة العلم فيها ، فإن العربية لم تستطع أن تمحو الفارسية تماما . فقد ظلت متداولة بين الناس على الأقل ، وبين الشعراء لحاجتهم إلى القوافي ، ولا يمكنهم استخدام الألفاظ الفارسية في القافية دائما لأن الفاظهم غير كافية لذلك . ويكفي أن ينظر المرء في ديوان فارسي ليجد أن ثمانية بالمائة تقريبا من الفاظ القوافي عربية .

ولقد بدأ الفرس في مقاومة العربية منذ القرن الرابع ، فقد لاحظهم أن تكون العربية رائجة كل هذا الرواج في بلادهم ، وأن يكون العرب حكاما لهم ، وأول هذه المقاومات كان استقلال الدويلات الفارسية في مناطقها ، وتشجيع الشعراء الفرس على نظم القصائد الحماسية والقومية . فقام شعراء ينظمون الشاهنامات ، ويعمدون الإقلال من ذكر الألفاظ

العربية . وقام أدباء يحضون على الكتابة الفارسية - غير أن هاتين الطيقتين لم تستطعا الحد من التأثر اللغوي للحاجة الماسة إلى كل ما دخل من الفاظ ، حتى أنهم أنفسهم استخدموا الألفاظ العربية في موضوعاتهم الحماسية والقومية هذه .

وكما دخلت القرمان الكريم الفاظ فارسية فقد دخل الحياة العربية كثير من الفاظ دالة على الزينة والتشرف مما لم يكونوا راوها ، كما راوا من تنظيم الحكومة وتدوين الدواوين ما لم يخطر لهم على بال . فاضطروا أن يقتبسوا من الاسم المفتوحة الفاظا يدخلونها في لغتهم ، وكانت اللغة الفارسية أقرب نبع يستقون منه ما يحتاجون .

- فمن أسماء الأزهار الفارسية : النرجس . البنفسج . النسرين . الخيري . السوسن . الجنار . الأرجوان .

- ومن الطيب : المسك . العنبر . الكافور . الصندل . القرنفل .

- ومن الأطعمة : السميد . الكمك . السكاج . الدجاج . الكبة . الخريز وهو البطيخ . الفستق .

ومن الحلوى : الفالودج (وعربت إلى البالوظة) . الجوزنج . اللوزنج . الزرده . الجلاب .

- ومن التوابل : الفلفل . الزنجبيل . القرفة . الكراوية ( وهي الأكلة المعروفة في دمشق خاصة ) .

- ومن المفردات الحضارية: مهندس . روزنامه . نرد . برسيس (برجيس) . طربوش . بابوج . كوز ابريق . طست . خوان . طبق ، كاسة ( عربت إلى فصحة) . خز . ديباج . سندس . لجام . غربال . كردان . ساذج . طازج . نموذج . برنامج . سمسار دهقان . صولجان . فنجان . نيزك . زنديق . بازار .

- ومن مفردات الدواوين : مهر . ديوان .

- ومن الأسلحة والحرب : سبيد وهو كالامير والقائد عند العرب . درفش ( علم ) . طبرزين . جند . مسكر . لجام . صولجان .

- ومن الحيوانات : شاهين . باشق . جاموس جؤذر ( كاونر ) . ذنب .

ولقد عمد العربي إلى ما خفف على اللسان ، واستعذبت الأذن جرسه ، وأن كان عنده اسم لها ، فاستعمار : مسك . توت . رصاص . ميزاب .

مكان : مشوم . فرصاد . صرفان . مشب .

- كما اخذوا بعض التراكيب منها :

- جلاب ( ماء الورد ) . ميزاب ( سيل ماء ) .  
سرداب ( الماء البارد ) سراب ( رأس الماء ) . زركشة  
( التطريز بالذهب ) .

- كما استعملنا في عاميتنا عددا كبيرا من  
الالفاظ كانت الخلافة العثمانية سببا هاما في نقل  
بعضها لان اللغة الرسمية في بلاط استانبول كانت  
اللغة الفارسية :

كبة . كفتة . نازيك . سيخ . كباب . كفكير .  
بشكير . خولية . عرموط . جادة . جاكوج .  
بوقالة . ثمنا . بقلوة . ارمغان . برشت . كشتبان .  
بابوج . طربوش .

ولقد استخدم الادياب العرب الكلمات الفارسية  
في تراكيبهم . من ذلك قول الجاحظ في البخلاء :  
« ويسكروا الدرياجة على صغار السمك » .  
والدرياجة هي البحيرة ، و ( سكر ) كلمة سريانية .  
وكان الاخفش يقول لتلاميذه : لا تقولوا عندي كلمة  
هم وبس . وهكذا لا تقولوا لفلان بخت . وفي حديث  
مجاهد : يغدو الشيطان بغيروانه الى السوق .  
وقيروان معربة عن كاروان معناها القافلة .

اما المفردات العربية التي استخدمها الفرس في  
لغتهم ، فقد كانت في كل باب . اذ انهم اخذوا :

- مفردات دينية : زكاة . حج . مسلم .  
مؤمن . كافر . منافق . فاسق . حنث . خبيث .  
قرءان . اقامة . تيمم . متعة . طلاق . زواج . قبلة  
محراب . منارة . ابيس - زقوم . سلسيل .  
حلال . حرام . بركة .

- ومفردات في الادارة والسياسة : خليفة .  
ملك . امير . وزير . حاجب . قاض . غلط . خطأ .  
هارية . نصح . فضيحة . جلاد . سياف . مستخدم

- ومفردات الدواوين : كتاب . حبر . قلم .  
مداد . خط . درس . فصل . باب . الاعداد حتى  
العشرة .

- ومفردات الالبسة : جبة . ازار . لحاف .  
مخدة . طراز . رداء .

- ومن أسماء الاطيار : فاخشة . قمري .  
بلبل . لقلق . غراب .

- ومن أسماء ادوات الرينة : حناء . غالية .  
بخور .

- ومن أسماء البلاد والافلاك : بلد . صحراء .  
طبيعة . بركة . حوض . سهيل . فلك . مشرق .  
مغرب . شمال . جنوب . طالع . صبا : دبور .

- ومن أسماء اصحاب المهن : خياط . نقاب .  
بيطار . بقال . صراف . دلال .

- واسماء خاصة بالاطعمة واللهمو : قمار .  
سفرة . قثينة . شراب . خمرة . غذاء . حلواء .  
هريسة . قطائف . قلية . نقل .

- واسماء في الحرب : حرب . جهاد . علم .  
طبل . مرادة . منجنيق . ركاب . لواء . نصل .  
دبوس . حربة . حلقة . قفل .

- واوصافها : نبيل . لطيف . ظريف .  
عاشق . شاعر . كاتب . وفاء . احمق . جاهل .

- كما اخذوا تراكيب واتصلا ، واعتبروها  
بشكل مفرد :

سرحدات : رأس الحدود . فهميدم : فهمت  
( من الفهم ) .

مرد لا ابالي : رجل مهمل . زمين لا يزرع :  
ارض لا يمكن زرعها . بالاضافة الى عشرات  
المفردات التاريخية . وعشرات المفردات الجغرافية ،  
وكذلك الطبية والفلكية . واذا طالعنا نثرا او شمرا  
فارسيا وجدنا ان النسبة المئوية للمفردات العربية  
تبلغ احيانا 45 او 50 ٪ ، واذا سمى الاديبي ان يقل  
من الالفاظ العربية ، فانه لا يمكنه ان يستغني عن  
20 ٪ من المفردات العربية .

والجدير بالملاحظة ان اغلب الالفاظ العربية  
التي دخلت الفارسية بقيت محفوظة على شكلها  
الذي اخذوه لعدم وجود الاشتقاق عندهم ، اما اللفظة  
الفارسية التي دخلت العربية فانها صهرت بالعربية  
واشتقوا منها حتى ضاع اصلها على المطالع . وربما  
قيض الله يوما لائمة اللغة من الامتين تجمعهم حمية العلم  
وفريضة الادب ليتعلقوا حول الدواوين والمعجمات  
سنوات ليصفوا ما لنا وما علينا ، وما احسب ان الامر  
يسير ، لما حدث من تلاحم واندماج ، بل لما هنالك من  
تشابهات وصدف . وهل اخذت اللفظة من العربية ام  
من العبرية ام من السريانية . ومن ناحية ثانية هل

أخذت من البهلوية أم السنسكريتية أم الفارسية  
الدرية ؟ .

ملاحظة أخرى جديرة بالانتباه تدل على مدى  
التبادل اللغوي بين الامتين . ذلك ان العرب  
استخدموا أسماء فارسية لمسميات ، في حين أن  
الفرس استخدموا أسماء العربية . وقد حصل  
هذا في العصر الحديث خاصة :

فنحن نقول روزنامه ومعناها (كتاب اليوم)  
والفرس يستخدمون (تقويم )

ونحن نقول كهرباء ومعناها ( جاذب القس )  
والفرس يستخدمون ( برك )

ونحن نقول دستور ومعناها ( قانون ) والفرس  
يستخدمون ( قانون )

ونحن نقول اركيلة - ناركيلة ومعناها ( جواز  
الهند ) والفرس يستخدمون ( غليان )

ونحن نقول كثار ومعناها ( طرف ) والفرس  
يستخدمون ( حاشية )

ونحن نقول كاسة ومعناها ( زبدية ) والفرس  
يستخدمون ( باطية )

ونحن نقول دستور ومعناها (القانون الاساسي)  
والفرس يستخدمون ( مشروطة )

ونحن نقول شرشف ومعناها ( فطاء الليل )  
والفرس يستخدمون ( ملانة أي ملحفه )

ونحن نقول خرزة ومعناها ( القراضة والاشياء  
الدقيقة ) والفرس يستخدمون ( خرزة )

ونحن نقول بخشيخ ومعناها ( الانعام )  
والفرس يستخدمون ( انعام )

وقد اخذ العرب أسماء فارسية وتسموا بها  
مثل : قابوس وهو معرب عن ( كاووس ) . وقد لقب  
بها النعمان بن المنذر . ومن النساء دختنوش ، وهو  
اسم بنت لقيط بن زرارة وهو معرب عن ( دخت  
نوش ) .

كما اننا نلاحظ وجود عدد من عربية اسمائها  
فارسية مثل : بغداد ومعناها اعطى الصنم أو الله  
المعطي . البصرة ومعناها بعد الطريق وكانت ( بس  
راه ) . الانبار ومعناها المخزن ثم حورت الى منبر .  
القيروان ومعناها القافلة . ونجد عددا من القرى

والنواحي حول دمشق اسمائها فارسية مثل : مزنة ،  
كيوان ، برامكة ، بلودان ، زبداني ، جرجانية . وقد  
تكون هذه التسميات اطلقها التازحون من بلاد  
فارس الى بلاد الشام .

وقد استعملنا اعلاما فارسية حديثة مثل :  
شيرين . مهتاب . شهرزاد . شهنار . سوزان .  
كيثي . مهيار . فرهود . جهان . فرزبان . وقد  
تكون هذه الاسماء أسماء غلمان وجوار وقد تكون  
استخدمناها تحببا برقتها .

وإذا دخلت الاعلام الفارسية . فان اغلب  
اسماء الفرس كانت عربية أو مركبة مع العربية .  
فقد تازرت الاعلام الفارسية بالاسلام فاستقوا من  
الدين الاسلامي ، ومن المذهب الجعفري خاصة هذه  
الاعلام . فمنها : خير الله . شكر الله . وقد تكون  
هذه الاعلام غير مستعملة عند العرب مثل : ذبيح  
الله ، قدرة الله ، يد الله . وقد يركب العلم من كلمة  
فارسية وكلمة عربية مثل : خدا مراد . خدا رحم .  
خدا كرم . وقد يستخدمون أسماء الانبياء واسماء  
آل البيت مثل : عبد . محمد . عبد الرسول . عبد  
النبي . وقد يتغير اسم محمد الى معد ، واسم محمد  
علي الى مدلي . ويسمون كلشوم فيقولون لها  
كرسوم .

ثم هناك : علي . حسن . حسين . باقر .  
صادق . اصغر . كاظم . رضا . تقي . تقي . وقد  
يعرفون بعضها فيقولون لزين العابدين زينل أو زينل  
لايدين . وقد يركبونها أو يدخلون عليها لفظة ( عبد ) :  
عبد الحسين . علي اصغر . عبد الرضا . غلامحسين .  
غلامعلي . كما ادخلوا عليها أسماء الاشهر الهجرية  
فقالوا : صفر علي . رجب علي . رمضان حسين .

وقد تأثرنا بأعيادهم التقليدية القديمة ، وأهمها  
النوروز والمهرجان . وبالرغم من أن الامويين لم  
يتعمدوا التأثر بالأعياد الفارسية . لأنها أخذت  
تتسرب الى العرب بدون استئذان ، حتى إذا كان  
العصر المباسي نقلوا اليها الكثير من عاداتهم ، والتي  
كان لها النفع الكبير لمحبي اللهو والطرب ، والآثر في  
الادب العربي .

ونوروز ومعناها اليوم الجديد أي عيد رأس  
السنة ، ويأتي في 21 آذار من كل عام ، ويعتبر  
أول الربيع ، وهو أعظم اعيادهم . أما المهرجان ولفظه  
الفارسي مهرگان ، فهو عيد الخريف ، ويبدأ في أول  
الخريف ، وأوله 23 ايلول . وأهم أمر في هذين

العبيد اهداء الملابس والاموال الى الشعب وتقديم الاطعمة المتنوعة . يحكى انه قدم لسيدنا علي كرم الله وجهه طعام فارسي ، فاحبه وسال : ما هذا ؟ قالوا : هو النوروز . فقال : نوروزنا كل يوم . كما يحكى ان الحجاج اول من رسم هدايا النوروز والمهرجان فى الاسلام ، وابطلها عمر بن عبد العزيز . وشاعت فى العصر العباسي اذ كان الامراء يوزعون البستهم على حاشيتهم ، كما كان يفعل الاكاسرة . وصار من الشائع ان نسمع عن النوروز فى الشعر ، كما فى قول البحترى وهو يصف الربيع :

انك الربيع الطلق يختال ضاحكا  
من الحسن حتى كاد ان يتكلما

وقد نبه النيروز فى فسق الدجى  
اوانل ورد كن بالامس نوما

وقد مدح المنبى ابن العميد وهو يهنئه بعيد النوروز بقوله :

جاء نوروزنا وانت مراده  
وورت بالذى اراد زناده

عظمته ممالك الفرس حتى  
كل ايام عامه حساده

ووصف ابن الرومي عيد المهرجان حينما هنا  
عبيد الله بن عبد الله به فقال :

ما رات مثل مهرجانك عينا  
اردشير ولا انو شروان

مهرجان كانما صورته  
كيف شامت مخيرات الامانى

اما الحركة الادبية فقد حصل فيها تبادل تام بين الامتين : ولكن هذه الصلة وهذا التبادل يقل ظهورهما فى الجاهلية ، الا ما ذكرنا من الفاظ ومور . واذا بقي الشعر الجاهلي الى اليوم واستطعنا تمييز ما اقتبسوه من الفرس ، فان الادب الفارسي ضاع قبل الاسلام ، فلم نعد نعرف بماذا تأثر العرب وبماذا اثر العرب .

على اننا عندما نقول الادب الفارسي فانما نعني الادب الذى يظهر بعد الاسلام ، وبعد ان تعرعر ونشأ فى حقل الادب العربي ، وبعد ان غدته اللغة العربية والثقافة الاسلامية بجملها وتراكيبها وامثالها واساليبها وبلاغتها .

واذا طالعنا كتبهم الادبية وجدناها زاخرة بالافاصيص العربية والحكايات الشهيرة كحكايات حاتم الطائي ولقمان الحكيم وقيس وليلى . ومن اهم هذه الكتب : كلستان . بوستان . منطق الطير . قابوسنامه . كما انهم اقتبسوا من القروان والحديث وقصائد الشعراء المشهورين كالمثنبي والمعري ، وكذلك تأثروا بالمقامات . والفوا على منوالها فى القرن السادس الهجري . على انهم اذا بدأوا مقلدين لمذاهب وافراض الادب والشعر فانهم مسا لبثوا ان تخطوا مراحل تجديدية ومبتكرة لدرجة انروا فيها بالادب العربي والهندي والتركي .

اما الادب العربي فقد تأثر بدوره بالادب الفارسي وثقافته ، ذلك ان كثيرا ممن دخلوا فى الاسلام اضطروا الى تعلم اللغة العربية ، وسرمان ما ظهر منهم ومن نسلهم كتاب وشعراء بالعربية فى حين ان نطقهم للحروف العربية لم يكن سليما - فى بادئ الامر - ومن اقدم هؤلاء : زياد الاعجم ، اسماعيل بن يسار النسائي . ابو العباس الاعمى . موسى شهوات . فهؤلاء وغيرهم نشأوا نشأة فارسية ، وتادبوا بالادب الفارسية ثم صاغوا ادبهم بالقالب العربي فاحكموا التقليد اذ ان الفاظهم عربية وتراكيبهم عربية واوزانهم عربية ، وكان الخيال الفارسي ، والروح الفارسية ، والمعاني الفارسية بادية فى شعرهم العربي الذى يصوغونه .

وعندما كان الشاعر الفارسي يفخر بقومه على العرب ، كان يستوحى من تراث اجداده ما يقدر ويتخيل ما كانوا فيعرضه بشكل تفاخر ، كقول اسماعيل :

رب خال متوج لي وعسم  
ما جد مجتدى كريم النصاب

انما سمي الفوارس بالفرس  
س ، مضاهاة رفعة الانساب

فاتركي الفخر يا امام علينا  
واتركي الجور وانظقي بالصواب

وانسالي - ان جهلت - منا وعنكم  
كيف كنا فى سالف الاحقاب

اذ نربى بناتنا وتدسو  
ن سفاها بناتكم فى التراب

وكان الشعب فى السامعين ، فقال له : صدقت والله ، اراد العرب بناتهم لغير ما اردتموهن له . قال

اسماعيل : وما ذلك ؟ قال اشعب : دفن المرب  
بناهم خوفا من العار ، وريثموهين لتكوهن ،  
( ويقصد انهم كانوا يتزوجون بناتهم ) . فضحك القوم  
وخجل اسماعيل .

ومع قلة ما وصلنا ، فقد استفاد من ذلك الادب  
قدماؤنا فكثيرا ما يقول ابن قتيبة في عيون الاخبار:  
وفي كتب المعجم كذا ، وقرأت كتاب ابرويز الى ابنه  
شبرويه . وكثيرا ما ينقل صاحب التاج اشياء عن  
اخلاق ماولك الفرس ومادابهم وكتبهم .

كما ان كثيرا من الشعراء والادباء من المرب  
كانوا ينزلون فارس او العراق ، ويخالطون اهله ،  
ويرون مدينته ، ويكون لذلك اثر في ادبهم ونسب  
شعرهم . فقد نزل الطرماح وابو النجم اتراجز  
وجريز والفردق العراق ، وابو تمام والثنبي فارس .  
وقد كان الفرس شديدتي الامجاب بالشعر العربي  
فكانوا يتوخون محاكاته في كل اشكاله والمراضه .

فالموضوعات التي نظموا فيها ، بعضها تابع  
لموضوعات العرب كالمديح والفخر والهجاء والغزل  
والرثاء والوصف والحكمة ، وتفوقوا في موضوعات  
الحماسة والقصص ووصف الطبيعة . وقد فلدوا  
العرب في وصف الاطلال مع انه عربي خالص كالشاعر  
منو جهري في القرن الخامس الهجري وهو اول من  
فقد الاطلال . كما فلدوهم في بكاء الديار والاناتر كما  
فعل خاقاني في وصف ابوان كسرى الذي سبقه  
البحثري بقرون في وصفه . وكذا بكى حميد الدين  
البلخي مدينة بلخ عندما خربها الفرس سنة 548 هـ .  
كما انهم غالوا في الموضوعات الشعرية التي اخلدوها  
من العرب كالمديح والخمرة والغزل . وبرهوا في  
الشعر القصصي ، وتجلت براعتهم في نظر الفردوسي  
للساهنامة التي يريد عدد ابياتها على خمس وخمسين  
الفا من الابيات على بحر واحد هو المتقارب . ثم  
هناك يوسف وزليخا ، خسرو وشيرين ، ليلى  
والمجنون .

والتصوف من الموضوعات التي تآثر العرب بها  
واهم الشعراء المتصوفين الفرس جلال الدين  
الرومي وحافظ الشيرازي . اما الاوزان والقوافي  
فقد نشأ العروض الفارسي في احضان العروض  
العربي وفي دوائره وبحوره واصطلاحاته وقوافيه .  
الا ان الفرس عاثروا بعض الاوزان العربية لانها اكثر  
طواعية لثقتهم واقرب الى انطباقهم ، واضافوا ثلاثة  
ابحر وهجروا بعضها ، واكثروا من المثوي اي الشعر

مزدوج القافية بين الشطريين . كما اخترعوا  
الرباعيات ونظموا بها قبل الخيام وقبل العرب .  
وخالفوا الموشحات العربية بموشحات سموها ترجيع  
بند منذ اوائل القرن الخامس الهجري .

ومن الشعراء العرب الذين تأثروا بالصورة  
الفارسية : الكميث . العتابي . الفردق . البحثري  
ابو تمام . المثني . المعري . وتورد بعض الكتب  
الادبية قطعاً وابياتاً تشير الى انها مقتبسة عن الشعر  
الفارسي كالبيان والتبيين للجاحظ ، وبتيمة الدهر  
لابن قتيبة ودمية القصر للباخري . على ان المجال  
الضييق لا يسمح لنا باستعراض نماذج من ذلك . ونذكر  
ان ابا نواس له قصائد فارسية لا يعرفها الادباء  
العرب ، سميناها ( فارسيات ابي نواس ) .

وما يقال عن الادب والشعر والعروض يقال عن  
الבלافة ، فقد كانت قواعد الاسلوب الادبي الفارسي  
مطابقة تماما لقواعد الاسلوب العربي من حيث  
الايجاز والاطناب والتشبيهات والاستعارات . كما  
ظهر نوع من الشعراء زادوا من التبادل الثقافي ،  
لانهم نظموا باللغتين فسموا ( ذوي اللسانين ) .

ويحسن ان اتوقف لحظات عند الخمرة والغزل  
المكتشف قبل ان اختتم الموضوعات الشعرية .  
فالخمرة كانت معروفة في الجاهلية ، تاجروا بها ،  
وشربوها ، وحرّمها القرءان ، ووصفها الشعراء .  
وازدادت مع الزمان حتى بلغت اوجها في الاتساع  
والجراة في العصر العباسي . وعلى هذا فالشعراء  
العرب الذين وصفوا الخمرة لم يقتبسوا عن الشعراء  
الفرس لسبب بسيط هو ان ميلاد الشعر الفارسي  
لم يبدأ قبل اواخر القرن الثالث الهجري ، ونعلم ان  
الاخطل وبنشارا و ابا نواس ومن لف لفهم عاشوا وماتوا  
قبل ذلك بكثير . ولكننا نقول ان الترف الذي عرفه  
العرب عند تماسهم بالفرس فسح الطريق لمثل هذا  
اللهو اكثر .

والغزل المكتشف كان معروفا كذلك عند امريء  
القيس والنايفة والاعشى منذ الجاهلية ، وعند  
الاخطل . وعمر والوليد وغيرهم في العصر الاموي .  
ويزداد الغزل المكتشف حرية حتى يبلغ العصر  
العباسي عند بنشار و ابي نواس واسماعيل بن يسار  
 وغيرهم . ولم يتأثر الشعراء العرب بالغزل الفارسي  
للسبب الذي ذكرناه في الخمرة ، ولكنهم تأثروا  
بالحضارة الفارسية التي زادت من جهة هذه الجراة  
في الكشف . اما الغزل الغلامي فالجاهلية لم تعرفه

ولا القرن الاول ، ولكن جاء به الترف والحضارة الجديدة وكثرة الفلمان والسقاة . على ان الفرس ليس عندهم ضمير خاص بالمؤنث وضمير خاص بالذكر ، فالضمير لكليهما واحد ، وكذا الامر في المخاطب والمخاطبة واسم الإشارة ، لذا فاذا نادى الفارسي لم يعرف السامع هل المنادى مذكر ام مؤنث ، على ان هذا ليس دفاعا عن الفرس فهذا هو الواقع ، كما ان الفرس لم يقولوا الشعر قبل رواج الغزل الفلامي ، وبعدئذ برعوا فيه ، انما الحضارة وكثرة الفلمان والترف هي التي سادت الشاعر والحياة الى هذا اللون من الغزل . وجدير بالملاحظة ان العرب في الطرف الغربي من الامبراطورية العربية لم يفعلوا فعل الشرقيين في الغزل المكشوف والغزل الفلامي .

وما يقال عن كل ما مضى من تبادل في التأثير والتاثير نقوله من القصص والحكايات ، فقد تأثرنا بأساطيرهم وحكاياتهم وتأثرنا بهم في حكاياتنا وقصص قرائنا . وكذا استفاد الفرس من الامثلة العربية ، كما استفاد العرب من الامثال الفارسية .

وتعتبر العقائد من اكثر الامور تأثيرا في الامم وفي ادابها . فقد عرف العرب في الجاهلية الزردشتية وهي المجوسية ، والمانوية ، والمزدكية . وقد تجلى ذلك بتقديس العرب للنار المقدسة عند المجوس بحلفهم بها وبوصفها ، كما عبد بعض العرب الشمس وهي من عناصر الطبيعة التي عبدها الفرس والشرق ، وبدا كل ذلك في شعرهم . ونجد بقايا ذلك في اشعار الشعراء بعد الاسلام كبشار والمعري والمتنبي وابي تمام . ولا ادل على تأثرهم بالاديان الفارسية من قول ابن قتيبة في كتابه ( المعارف ) ، عند كلامه على اديان العرب في الجاهلية : « وكانت النصرانية في ربيعة وغسان ، وبعض قضاة . وكانت اليهودية في حمير وبني كنانة وبني الحارث ابن كعب وكنده ، وكانت المجوسية في تميم ، وكانت الزندقة في قريش . اخذوها عن الحيرة » . وقد رفض المنذر الثالث اعتناق المزدكية فمزله قباز وعين مكانه الحارث ابن عمرو امير كنده بعد ان اعتنق المزدكية .

وقد تأثر الاسلام بالزردشتية كما يقول احمد امين بمقيدة العامة من المسلمين في بعض الامور ، كما تأثرت المعتزلة بمسألة الجبر والاختيار . ومن الجدير بالذكر ان الاعاجم عندما دخلوا الاسلام كانوا على دين خاص ورتوه عن اجدادهم ، ولم تمنح من مخيلتهم ملامح دينهم القديم فاضافوها على ما يتعلمونه من الدين الاسلامي .

ووجود الزندقة ، وبقايا المجوسية خلق حركة فكرية ومعركة ادبية جديدة ممثلة في مدارس علماء الكلام واهمهم المعتزلة . وقد الفوا الكتب ضد هؤلاء الزنادقة ، ونظم الشعراء القصائد في الرد عليهم او مشاركتهم آراءهم . ومن اهم من الف في هذا المضمار واصل بن عطاء في كتابه ( الالف مسالة ) للرد على المانوية . والجاحظ في كتابه ( البيان والتبيين ) .

ورغم كل ذلك فقد ازال العرب من ارض فارس تلك الديانات التي وزعتهم فرقا ، وشتمتهم موقبا ، فجمعتهم تحت راية التوحيد ، الطاهرة ، وحررتهم من النظم الاجتماعية والطبقة الفاسدة .

وقد تبع هذه الحركة الفكرية ، حركة ادبية قريبة الشبه منها وفي مسالة تفاخر الموالي على العرب ، ورد العرب مزاعم الموالي الشعبيين . ومهما كانت النتائج ونوعية الخصام فقد نتج عن ذلك تبادل ثقافي تام الاركان فيه التاريخ والفلسفة ، وفيه الشعر والنثر ، وفيه التأليف الواسعة ، والاطلاع على الفلسفة . ومهما غشت هذه الحركة من مزاعم بشوبها الخطا ، فان نتيجتها الادبية والفكرية الجديدة واقعة على الاديان العربي والفارسي على السواء .

ولقد كانت حركة المناوأة شديدة في العصر الاموي ، وتضعف الحدة ويتسع نطاقها الادبي كلما دنونا من العصر العباسي او خطونا فيه . ولقد شرقت قصور الخلفاء العباسيين بالموالي رجالا ونساء وعلمانا وفصحت الجيوش بهم .

واذا كان الموالي يتخوفون من الرد على الشعراء العرب في العصر الاموي فانهم لم يتورعوا عن التفاخر بجدودهم امام خلفاء العصر العباسي ، وها هو الشاعر المتوكلي ، شاعر المتوكل ونديمه يقول :

انا ابن المكارم من نسل جم  
وحائز ارب ملك العجم

ومحيي الذي باد من مزهم  
وعفى عليه طول القدم

الى ان يقول :

فعودا الى ارضكم بالحجاز  
لاكل الضباب ورعي الفهم

فاني سأعلو سرير الملوك  
بعد الحسام وحرف القلم  
ويتهجم ابو نواس على العرب بوسيلة اخرى ،  
هي تهكمه الكثير بطريقة العرب في التقديم لقصائدهم  
بالغزل وبكاء الاطلاق ، ودعوتهم الملحة الى بدء القصائد  
بالخمريات . ولا يمكننا - كمرب - ان نعتبره تجديدا  
في الادب لان ابا نواس احاط برغبته هذه بالسخرية  
والوضع من قواعد الشعر العربية ، وقد كان  
يستطيع ان يجدد بغير تندر ، كما في قوله :

عاج الشقي على دار يسائلها  
وعجبت اسأل من خمارة البلد  
دع ذا ، خدمتك ، واشربها معتقة  
صفراء تمتق بين الماء والزبد  
كم بين من يشترى خمرا يلد بها  
وبين بالك على نؤى ومنتفد  
اما التجديد الحق ، فهو الذي قام به المتنبي ،  
حينما عجب من الشعراء المتكلفين للحب ، اذا افتتحوا  
مدائحهم بالغزل ، فقال صادقا :

وانما الناس بالملوك وما  
تفلح عرب ملوكها مجم

لا ادب عندهم ولا حسب  
ولا عهد لهم ولا ذمم

اذا كان مدح فالنسيب المتقدم  
اكل فصيح قال شعرا متيم ؟  
لحب ابن عبد الله اولى فانه  
به يبدأ الذكر الجميل ويختم  
على ان الامر لم يقف في هذه المعركة على الشعر  
بل انبرى الطرفان بتأليف كتب في هذا المضمار .  
فمن الكتب التي الفت انتصارا للشعوبيين من الموالي :

1 - بالتعاليم الدينية التي وودت في القران  
والانتر ، ومن الانجيل والتوراة .

2 - بالفلسفة اليونانية التي نقلت في العصر  
العباسي .

3 - وثالثاً بحكم واقاسيمم الفرس او ما نقل  
بواسطتهم من الهندية ، بما نقل عن الملوك والوزراء  
ورجال الاديان الفارسية ووعاظهم . وقد ملئت كتب  
الادب بها ، ومن اهم الكتب التي ملئت بامثال هذه  
الحكم ، هيون الاخبار ، سراج الملوك ، وكتب الجاحظ  
وابي حيان . المقدم الفريد .

ومن جملة الامثال الفارسية التي عرفها العرب  
واستخدموها :

- اذا جاء البعير حام حول البير .

- العرب - لان قتيبة . البيان والتبيين  
للجاحظ .



عربية . واذا استهجن الأميون أبناء الأماة فان الملب  
أمهات الخلفاء العباسيين كن أماء وقينات فارسيات  
وغير فارسيات .

وختاما لحديثي ، انه لمن الخطأ والغلو - كما  
يقول احمد امين - أن نعتبر ان العرب كانوا بمعزل  
عما حولهم من الثقافات والأديان ، وان آراءهم  
وآدابهم وعلومهم نبئت وحدها من عقول عربية ، من  
غير ان تغذى بغيرها .

فقد رأينا انهم - حتى في جاهليتهم - لم يكونوا  
بمعزل ، وانهم كانوا بعد الاسلام اكثر اتصالا والتحاما  
وعلاقة . ولا يقدح التبادل الثقافي اية امة ، فالعلم  
ملك شائع ومرفق مباح يفترف منه الناس جميعا ،  
وليس له حدود فاصلة كالتى ترسمها السياسات ،  
وانما الذى يقدح في الامة حقا ان تفضى هبونها ،  
وتسد اذانها عما حولها من نظريات وافكار ، او ان  
يدنمها التعمصب الاعمى ان تنسب لنفسها ما ليس  
عليها ، وتعزو اليها خلق ما لم تخلق ، وابتداع ما لم  
تبتدع . كما على الامة ان تبحث عن تراثها ، ولا تتهاون  
فيه ، وتحافظ عليه ، فهو الدخيرة الدسمة والمجد  
الايلب الذى عليها ان تبقى عليه .

ولشدة الارتباط الوثيق بين الادب العربي  
والادب الفارسي الاسلامي في العصر العباسي هذا  
لزاما على دارسي الادب العربي من الفرس دراسة  
الخطوط العريضة على الاقل للادب العربي ، واصبح  
من الضروري لفهم الادب العباسي العربي تفهم الثقافة  
العربية التى كانت مفرقة من ارض الجزيرة العربية  
شرقها وغربها ، او مستقاة من الامم المجاورة ودراسة  
تطور الادب الفارسي لمعرفة الجديد في ادبنا والجديد  
في ادبهم .

- سالوا الشاب اين شاهدك ؟ قال : ذنبي .  
- احذروا صولة الكريم اذا جاع ، واللثيم اذا  
شبع .

- اذا اردت ان يقبل قولك فصصح رأيك ولا  
تشوبه بشيء من الهوى . فان الراي الصحيح يقبله  
منك المدو ، والهوى يرده عنك الولد والصديق .

- اذا كلمك الوالى فاصغ الى كلامه ، ولا  
تشغل طرفك عنه بنظرة الى غيره ، ولا اطرافك بعمل  
ولا قلبك بحديث نفسي .

- استح الحياء كله من ان تخبر صاحبك انك  
عالم وانه جاهل ، مصرحا او مبرضا . الى غير ذلك  
مما تزخر به كتب الادب والحكم .

على ان الفرس اخذوا حكمهم كذلك من القروان  
والحديث ومن حكم حاتم ولقمان والمنتبي والمصري  
وغيرهم واستفادوا منها بعد الاسلام .

ومن اهم الامور التى ادخلت العربية في  
الفارسية ، والفارسية في العربية التصرف ،  
والجوارى خاصة من اسباب الترف . فلقد ادخل  
نظام التسري الى الاسر العربية عادات وتقاليده  
والوانا من الامور الاجتماعية ، وفنوننا وموسيقنا ما  
كانت معروفة عندهم انما جاء بها هؤلاء الجوارى من  
بلادهم .

ولقد كان العربي يشتري القينة لفن تجيده ،  
والشعراء كان عندهم قينات ، واغرموا بهن وهرفوا  
منهن اسماء الآلات الموسيقية والازهار وورقة الفناء  
والوان الطعام . كان كل ذلك يتابع للشعراء على  
تاوين شعرهم وتطعيمه باوصاف وتشبيهات لم تكن

# لغز البادية

الأستاذ عبدالله بن خميس  
«الرياض»

هذه الصفات دلت بالامراء ، والرؤساء  
والخلفاء ، وعلية القوم ، وذواتهم .. ان يبعثوا بابنائهم  
الى البادية ، المدرسة الاولى لتربية اصيلة ، تعطى  
الشباب الى جانب الرشاقة ، وبناء الجسم بناء رياضيا  
متينا ، وتكونا متكاملتا فارها .. تعطيه قوة الشخصية ،  
واستحصاد الرأي ، ونبذ الإرادة ، ومصادر الشجاعة  
والدربة ، وسلامة المنطق ، وقوة المعارضة ..

قال بعض الاعراب : نحن امراء الكلام ، نبينا  
وشجرت مروته ، وعلينا تدلت فصونه ، فنحن نجني  
منها ما احلولى وعذب ، ونترك ما امولج وخبت ..

وتال الجاحظ : ليس في الارض كلام هو امتهج ،  
ولا اتمع ، ولا اتق ، في الاسماع ، ولا اتقود للطباع ،  
ولا اتمق للسان ، ولا ايجاد تقويما للبيان .. من كلام  
الاعراب الفصحاء المعقلاء .

ووصلهم الحارث بن كعدة امام كسرى فقال :  
لهم انفس سخية ، وقلوب جرية ، وعقول صحيحة ،  
وانساب صريحة يمزق الكلام من افواههم مروق  
السهم من الرمية ، اعذب من الماء ، وارق من الهواء  
يطعمون الطعام ، ويضربون الهام ، وهزم لا يرام ،  
وجارهم لا يضام .. ووصف اهدم امراة فقال : كاد  
الغزال يكونها ، لولا ما نقص منه وتم منها .

واوجز اهدم تصيدة كاملة في جملة مقتضبة  
فقال : سبقنا الحي ، وفيهم ادوية السقام ، فقران  
بالحدق السلام ، وخرست الالسن من الكلام ..

البادية خلاف الحاضرة ، وجمها بسوادي ،  
وتسمى بداوة بالكسر ، والنسبة اليها : بسداوي ،  
بالفتح والكسر ، وبدوي أيضا .

وهي من بدا اذا نشأ ، أو اذا ظهر وبرز . وهو  
الارجح ، لبروز البادية في الليالي والقفار ..

والبادية هم سكان الوبر ، الذين يتبعون  
مساقط الفيت ، ويطلبون الكلا والمرمى لما شبتهم ،  
ولا يستقر بهم القرار في مكان معين ، الا في فصل  
الصيف حيث يقطنون المناهل ، ويدنون من المياه .  
والبادية هي اصل العرب ، وسكان جزيرتهم الاولون ،  
وسفر لغتهم المتمد ، منها تكونت الحواضر ، واليها  
ترجع الارومات الاصيلة ، ومنها تدرمت الشعوب  
والقبائل ..

وهي في الجاهلية رمز العرب ، ووجههم الامثل ،  
وفي الاسلام - كما قال عمر - اصل العرب ومادة  
الاسلام . صريح اللغة ولصيحها مصدره البادية ،  
ومادات العرب الكريمة ، وتقاليدهم الاصيلة ، ومميزاتهم  
الاثيرة .. مصدرها البادية ، والشعراء المتاويل ،  
والخطباء المصانع ، والمتكلمون للسن .. اعلامهم ،  
ومبرزهم ، من البادية .. لم تفسد الحضارة سحنهم ،  
ولم تن السنتهم ولم تفض لهم صعدة ، ولم تفل لهم حد  
.. يتكلمون بالسليقة والقطرة ، منتثر شفاهم من قول  
لصل ، وكلام جزل ، وبيان سليم مستقيم .. يصدر من  
طبع ابي ، وخاطر نكي ، ولسان ذرب طلق ..

في هذه البيئة المتأبئة ، واللغة الصريحة .. تربي سيد العرب عليه السلام ، وتربي اعلام الخلافة ، وكبراء القادة ، ونبلاء المجتمع الاسلامي .. ولم يكن الوليد بن عبد الملك بن مروان ، من ثقته البادية ، واصلحت لسانه ، فكان لحنه ، وظل لحنه وصمة عار في تاريخه . قال ابوه : اضر بالوليد حيناً له حيث لم نبعثه الى البادية .

خطب الناس يوم عيد مقراً في خطبته : يا ليتها كانت القاضية بضم تاء ليت . فقال عمر بن عبد العزيز : عليك واراخنا الله منك .

وعن البادية اخذ علماء اللغة فصيحها ، ومتوتحها ، وتعلموا في اختيار الامصح ، والا بعد عن الحواضر ، ومجاورة الاعاجم .. فعنوا عناية فائقة بما دونوه ، فاخلصوا لغة العرب في صبيها الذين لم ترتضخ لغتهم عجمة ، ولم يخذشها شذوذ : ولم يداخلها تقصير .. دونوا لغة قريش ، وقيس ، وتميم ، واسد ، وهذيل ، وبعض كنانة ، وبعض طيء ..

وتحاشوا الاخذ من لغة لخم ، وجذام ، وقضاعة ، وغسان ، وايد .. لجاورتهم اهل الشام . وكذلك تحاشوا لغة تغلب ، وبين الجزيرة ، وبكر ، وعسبد القيس ، وازد عمان ، واهل اليمن ، وبني حنيفة ، وثقيف .. لمجاورة بعضهم للفرس ، ولجواردة الآخرين للاحباش ، ولان بعضهم اهل تجارة ، وبقلة ، واختلاط بمشبهوي اللغة ..

فماخلصوها من تلتة بهراء ، ومن طبطمانية حمير ، ومن كشكشة ربيعة ، ومن ككة هوازن ، ومغلفة هذيل ، ووكم ربيعة ، ووهم كلب ، ومجمعة قضاعة ، وشنشنة اليمن ووتها ، وعجرفة ضبة ..

ومن اخذ عن البادية ، ولقيهم في مراتبهم ومراتهم ، وسبع منهم : يونس بن حبيب الفسبي ، وخلف الاحمر ، والخليل بن احمد ، وابو زيد الانصاري ، والاصمعي ، وابو عبيدة ، والكساني .. وهؤلاء هم من اول من رحل الى البادية واخذ عنها ، وهم من علماء القرن الثاني ..

وكان العلماء في القرن الاول يعتمدون الفطرة ، ويرجعون الى السليقة ، ويستأنسون بمن يلتقونه من الامراب ، ولما اوغل العلماء في التحقيق ، وتأنقوا في الاحصاء والاستقصاء ، وبعدت الحواضر الاسلامية عن البادية ، وداخل لغة البادية المجاورين للحواضر ما داخلها .. بدأ عصر الرحلات ، ولقيا الامراب ..

وكانوا اذا لقوا الاعرابي وشكوا في سلامة لغته ، امتحنوه ، وربما وضعوا له تياسا غير صحيح ، او جمعا غير وارد ، او لفظا غير فصيح ، فان نطق به ، او اقره ، طرحوا لغته ، وان ثبت سليقته ذلك اخذوا عنه ..

قال الاصمعي : سمعت ابا عمرو يقول : ارتبت بفصاحة اعرابي ، فاردت امتحانه ، فقلت بيتا . والقيته عليه وهو :

كم رأينا من مسحب مسلح  
صار لحم النسور والمقبان

فأفكر فيه ، ثم قال رد على ذكر المسحوب ، حتى قالها مرات : فعلمت ان فصاحته باقية ..

وقال ابن جنبي : سألت مرة الشجري - وهو اعرابي من عتيل ، كانوا يرجعون اليه في اللثة - ومعه ابن عم له ، كان دونه في الفصاحة ، وكان اسمه غصنا - فقلت لهما : كيف تحقران حمراء ؟ فقالا : حميراء ، وواليت من ذلك احمرنا وهما يجنيان بالصواب ، ثم دسست في ذلك طباء ، فقال غصن : عليباء وتبعه الشجري فلما هم بفتح الباء : تراجع كالمدهور ، ثم قال : آه عليبي ..

وقال في موضع آخر : سألته يوما - يعني الشجري - : كيف تجمع دكانا ؟ فقال دكاكين . قلت : نسرحانا ؟ قال : سراحين .. قلت فعثمان ؟ قال : ايش عثمانون ! فقلت له : هلا قلت عثمانين ؟ قال : ايش عثمانت ؟ ارايت انسانا يتكلم بما ليس من لغته ؟ .

وهكذا خاطب القرآن هؤلاء القوم ، بمستوى من البيان على غير مثال سبق ، ونهج من التعبير على غير مهيج صرف ، وبلاغة من القول هي المثل الاعلى ، والقول الفصل .. في كل ما تكلمت به امة الضاد ..

لقد كان ازدهار لغة العرب بين يدي الاسلام برعيل ممتاز من الشعراء المقاولين ، وبصفاة من الخطباء المصانق ، وبصيارفة من النقاد ، يزنون ما تفيض به ترائح القوم ، وما تتدفق به خواطرهم .. كانت تلك البيعة اللغوية ، توطئة بين يدي الاسلام ، وترشيحا للذهن العربي لاستقبال المعجزة المنتظرة .. فكان البيان العربي قبيل ظهور الاسلام ، غاية في الابداع ، ونموذجا حيا في تاريخ اللسان العربي .. والا لما وتمت آية محمد عليه السلام من هؤلاء المقاولين ، موقع الذهول ، ثم الاستسلام ..

لم يكن الاعراب بلغتهم الصافية، وذكائهم الفطري واستعدادهم الذهني .. توم استماع ولهم محاسب ، بل رشحتهم هذه الصفات ، ليكونوا مرجعا في تفسير القرآن ، وايضاح غريبه ، وتاصيل لغته ..

سأل مير بن الخطاب وهو على المنبر جماعة المسجد عن معنى قوله تعالى : او ياخذهم على تخوف. فسكت القوم ثم قام شيخ من هذيل فقال : هذه لغتنا التخوف : التتقص . قال مير : هل تجد له شاهدا من لغة تومك ؟ قال نعم . قال شاعرنا :

تخوف الرجل منها تامكا تردا  
كما تخوف عود النبعة السفن

وكان ابن عباس - وهو حبر الامة ، وترجمسان القرآن - يقول : الشعر ديوان العرب : ماذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي انزله الله بلغة العرب ، رجعنا الى ديوانها ، فالتمسنا معرفة ذلك منه .

وكان رضي الله عنه يجلس بفناء الكعبة ، ثم يكتنفه الناس ، يسألونه عن التفسير ، وثبته من كلام العرب ، وقد استشهد على جواب سؤال واحد بنيف وتسعين بيتا من الشعر العربي الفصيح .. وهو ما سألته عنه نافع بن الازرق .

وتأبى سليقة الاعراب ان تقبل ما خرج عن مقاييسها الفطرية ، او تفهم ما جاني لسانها . بل ترد كل ما سمعته الى اصوله ..

دخل امرابي على الوليد بن عبد الملك - وقد اسلفنا انه لحن - وكان عنده مير بن عبد العزيز ، فقال الوليد للامرابي : من انت بوصل الهمة ؟ فظن الامرابي انه يقول : مننت فقال : المنة لله ولا مير المؤمنين . فقال مير بن عبد العزيز : ان امير المؤمنين يقول لك : من انت ؟ قال : فلان بن فلان . قال الوليد : ما شأنك وفتح النون ؟ قال جدري في وجهي ، ولمحج بساتي . فقال مير بن عبد العزيز : ويحك ان امير المؤمنين يقول : ما شأنك وضم النون ؟ قال ظلمني خنتي . قال الوليد : ومن خنتك وفتح النون ؟ قال : وما سؤالك عن ذلك يا امير المؤمنين حجام مندنا بالبادية قال مير : ان امير المؤمنين يقول لك : من خنتك وضم النون ؟ قال : فلان . وهكذا ندرك ان البادية مصدر اللغة العربية الاول ، ومعناها الاصيل ، وهي المرجع فيما اختلف فيه ، حتى في الفاظ القرآن والسنة .

ورغم ما اصاب الامة العربية من نكبات وهزات ، عبر القرون المتتالية ، ورغم ما لحق لغتها من انتكاسات ، وعلق بها من اوزار ، وداخلها من حجة .. مما جعل الممول في حفظها ، وبقائها .. على القرآن الكريم ، وعلى معاجم علمائها البررة .. رغم ذلك كله فقد بقيت البادية الى يومنا هذا ، تمتاز بلغتها ، وتدل بلسانها الذرب ، وبياناتها الجميل .. غني هضبة نجد ، ومرتفعات الحجاز ، ومناكب السروات .. تتبادل ثابت لغتها على الواكز واللاكز ، وانفتت من اللغسة الحضرية اللينة الملوحة . وهي وان كانت لا تنطق لغة القرآن سليمة مستقيمة ، ولا تواكب لغة امرى القيس ، والناطقة ، وزهير .. واضرابهم ، على نحو ما وصل الينا من شعرهم ، الا اننا نجعل في الحساب اختلاف اللهجات ، بشكل واضح ، ربما يصل الى استعصاء نهم قبيلة لهجة اخرى في بعض الاستعمالات والمسببات . ومعلوم ان لغة القرآن حصرت في لسان قريش .. كما نجعل في الحساب ايضا ما هنالك من تسهيل في الهمز ، وتسكين لاواخر الحروف ، وادغام لبعضها في بعض .. ونحو ذلك مما يكاد يتفق فيه نطق الجميع .. بحيث اذا اجتمع بهم دارس العربية ، واستمع اليهم ينطقون .. ظنهم يرتضفون عجمة موغلة .. واذا تدبر ما يقولون ، وتقدم حقيقة النطق .. تكشفت له حقائق ما كان يظنها باقية في قومه .. وابرز ما يكون هذا في بلاد عسير ، وسراة تحطان ، ومنحدرات جبال الجنوب ، وسهول نجد ..

في احدى زياراتي لتلك المناطق ، كنت يوما جالسا في دكان احد الاخوة في مدينة ابها ، فدخل الدكان رجل مؤتزر بازار مصبوغ باللون الاحمر الفاق ، ويلف اعلى جسمه ما عدا منكبه الايمن ، وجزءا من جنبه ، برداء سهك اغيب ، يشد وسطه على خنجر مغرطة الطول ، بحزام من الادم - هذا الرجل تصير اسمر ، نحيف ، هاري الاشاجع ، تتوقد عيناه ، وتريخان نظرها هنا وهناك ، مكشوف الرأس ، عن لمة منسخلة على مؤخرة رقبته ، مشدودة برباط من الادم ، غارزا في جوانبها طاقات من الفصان البشيران والشيح .. فتكلم بما يشبه النقيق ، فمه صاحب الدكان وأنا لم افهمه .. ولما تفسى حاجته احب هذا البائع ان يعرفني مكانة هذا من اللغة العربية ، سليقة ، ومطرة ، وكان البائع يعرف اهتمامي بمثل ذلك . فاجلسه معنا ، وقال لي تفهم كل ما يقول ، فمأخذ يسأله من قبيلته ، وعن ارضه ، وماشيته ، ومن اية الطرق اتى ، وبماذا هبط المدينة .. الخ واذا به يتكلم اللغة العربية الفصيحة ،

ويسمون المنجل : مخلبا

ويسمون البندقتية : بارودا .

وهكذا تتميز لهجتهم ، كما تتميز كل لهجة من اللهجات الأخرى ، عن أختها .. غير أنها تلتقي في صميم اللغة ومصيحها .. وتجمع على محاربة الدخيل والشاذ .. ويتلق أهلها على نقد ما تاباه اللغة وتكرهه .. ادخل أحد الحضريين أنه في حديث في الإبل ، بحضرة رجل كبير في بلادنا ، نجاء هذا الواغل بمرد للإبل ، فقال : ما راينا ولا ( بلة ) واحدة ، فكانت مثار سخرية ، وهمز وهمز ، واستهجان وممـروف أن الإبل لا مفرد لجمعها ، وفي لهجتهم : يقال : ابل واحده للمجموعة الواحدة من الإبل ، وفي المجموعتين من الإبل يقال : فلان يملك ابلين . ويقولون إذا تجاوزت الإبلين : فلان يملك ثلاث رعايا ، أو ثلاث عصي ، فيكنى بالمعصا عن الإبل . وهكذا .

وأسماء أعضاء الناقة ، وأجزاء جسمها ، تختلف عن أسماء ذلك . من الفرس ، ومن الشاة ، ومن غيرها ، وكذا الحال بالنسبة للطير ، والوحش ، وسائر الدواب .. فإذا أعطى حضري ، أو مستعرب ، أسما أو صفة لجنس من ذلك هو معروف للجنس الثاني ، فقد استهدف للنقد ، وتعرض للسخرية والهزاء .

ونجد أن من يعيش في أحضان البادية من الحاضرة ، أو يكثر الاحتكاك بالأعراب ، أو يعيش في قرى أو مواضع تربها البادية .. نجد لفته تتسم بالفحولة ، والجزالة والقوة ..

ولما كان الشعر حليفا للعربي منذ أتمد العصور ، تغنى به وغر ، ووصف وبكى ، ومدح ورثى .. وسلك به شتى المذاهب ، وولج شتى الأبواب .. ولم يزل كذلك لما هو شعر بادية اليوم ونحن لا نزال نعترف لهم بسلامة اللغة وأصالة المنطق ؟

رغم أن شعر البادية اليوم يسمى شعرا شعيبيا ، ويسمى شعرا نبطيا ، ويعيش في عصر نارق فيه شعر السليقة والطبع ، وسلامة اللغة ، منذ ما يزيد على ألف سنة ، ولكنه ينزع إلى أصله ، ويمت إليه .. تترؤه على أنه شعر شعبي ، ويقروء الكل كذلك ، ولكن إذا وقتت عنده وثقة المدارس ، وأردت أن تواسج بينه وبين الفصح ، وجدته يعود إليه ، ويعمل في أوزانه ، وروبه وتوائمه ، عليه ، ويلتقي معه في أغراضه ومناحيه ، ويحمل صورا من الجمال ، ودفقات من الفن ، والموسيقى ، والجرس تطرب وتمجب ..

التي بعضها مهجور الاستعمال ، مودع بطون المعاجم ولولا سرعة نطقه ، وادغام بعض الفاظه ، وتزك المهز في بعضها ، لم يفنتي من عربيته الأصيلة شيء ..

قلت لصاحبي : ممن هذا ؟ قال : من قبيلة ربيعة . ومعلوم أنها ربيعة اليمن لا ربيعة أخت مضر .

أما بادية نجد ، فهم صميم القبائل التحطانية ، والعدنانية . تحطان ، والدواسر ، وسبيع والمجمان ، وآل مرة ، وبنو هاجر ، وبنو خالد ، والسهمول ، وعتيبة ، ومطير ، وشمر ، وحرب ، وهنزة ، والقرينية .. وغيرهم من القبائل الضاربة في نجد وما جاورها ، هؤلاء لكل منهم لهجة خاصة به ، من اليسير على العارف أن يلتقي فردا لا يعرفه ، ولا يعرف من أيسة القبائل هو .. وبمجرد مخاطبته يدرك أنه من القبيلة الفلانية ..

فمثلا قبيلة شمر : تشير إلى شيء من لهجتها : هي تقلب الهزمة ( شيء ) إلى نون ، فنقول : ما رأيت شيئا ، وما وجد شيئا ، وما حظيت بشيء .

وهي أيضا تستعمل لفظ ( دهج ) بمعنى مر ، أو ألم ، تقول : دهجت المنهل الفلاني : يعني مررت به ، أو الممت به .

وتستعمل ( نهج ) بمعنى ذهب ، ومرادفاته ، تقول : نهج فلان : بمعنى ذهب أو سائر ، أو راح .. كما أن لهجتهم على مذهب القائل :

أيها السائل عنهم وهنسي  
لست من تيس ولا تيس منسي

فهم يحذفون نون الوقاية ، من ( هن ) و ( من ) الشاذ حذفها فيهما لغة ، إذا اتصل بها ضمير المتكلم . فيقولون : ليس عليك مني ، بكسر النون لمقط . وهل سأل عني بكسر النون لمقط وهكذا ..

وهم أيضا يقلبون الهزمة من ( ما ) نونا فيقولون : مان :

وباء الجر المتصلة بالضمير يضمونها ، فيقولون : ما به مان : أي ما به ماء .

ويسمون الجدول : سريرا ، وهذه مواثقة للغة القرآن .

ويسمون السنبل : سبلا

ولسه أيضا :

علي من قديم العبر نفس عزيزة  
امض على عصيانها بالنواجذ

منذ نعومة اظفاري ، ونفسي لا تقبل الدون ،  
ولا ترضى بالهون ، واذا راودتني عصيتي ، وعضت  
على عصيانها نواجذي ، فهي عزيزة ابدأ ..

وتولسه :

مقام الفتى في منصب العز ساعة  
ولا الف عام يصحب الذل صاحبه

فلا بالتني تبلغ النفس حظها  
ولا بالتاني ناز بالصيد طالبه

حياة الفتى هي العز ، ولو لم يكن الا ساعة  
واحدة ولو هاش الف عام ، وهو في ذل ، فليست  
حياة الذل بحياة ..

ثم دعا في البيت الثاني الى العمل ، ورفض  
التني ، ودعا الى انتهاز الفرص ، واهتبال الاوقات ..  
فبئس من كانت بضاعته الاماني ، وتمس من فرط في  
الفرص واضاعها ..

وقال الشاعر الشعبي ابو حمزة العامري :

تابى من الطمع الزهيد نفوسنا  
ومروجنا تابى من الفحشاء

نفوسنا ابية لا تقودها المطامع الى ذلعة ،  
ومروجنا علة لا تستهويها الفحشاء .. ونعم الصلوات  
صلواتهم .

وقال بركات الشريف :

نلا تمد تمدلاني لاني من وقومي بريما  
لمن قبلكم خالفت بالنصح عدالسي

اروم الامور العاليات بهمة  
ويمعني خذلان قومي واتلالسي

وجزت مجاج الارض شرقا ومغربا  
على كل عيص تقطع البيد مرقال

وليس يلام المرء بمد اجتهاده  
ولا يدفع المقدور حيلات محتال

ان من يتذوق هذا الشعر ، بعد دراسة ورياضة طبع ..  
يجده ذلك الشعر الفصيح بيمينه ، بل يمتاز عليه شعر  
البادية اليوم ، او الشعر الشعبي ، بانطلاقه من  
بيئة عربي اليوم ، ومجتمعه ، وحمله طبع العربي ،  
وصفته كما خلقه الله ، من غير تحمل ، ولا تعمل ،  
حيث ينطلق من الغباء ، والمزرعة ، والريف ، والفلاة ،  
والقرية ، والمسكر . الخ .. اما شعرنا الفصيح اليوم ،  
فهو ابن المدرسة ، او المدينة المترفة ، او المجتمع  
المحضّر ..

تعالوا نستقريء طاقة من شعر البادية ، ونطمس  
خلالها صلتها بشعرنا العربي الفصيح :

قال الشاعر الشعبي ماجد القباني :

لما الناس الا من تراب معادن  
وما طاب من تلك المعادن طابا

بيت من تصيدة شعبية طويلة ، قالها امرابي في شملته  
انطلق ليها من سجيته ، وقرأها كما يقرأها غير من  
رواة الشعر الشعبي ، ومريديه ، بلغة عامية دارجة ..  
ولكن حينما تمود بهذا البيت الى اصله ، بصفتك دارسا  
للشعر الفصيح ، ومنذوقا له ، الست تجده بيتا موزونا  
متقى ، سليم اللغة بكر السبل يرمز الى حكمة نبوية  
كريمة : الناس معادن كمعادن الذهب والفضة .. الخ .

ثم اترا للشاعر نفسه :

نديت على الدنيا شقا لو ندييه  
على الدين ما مس النفوس عذاب

يقول نداب في طلب الدنيا ، دابا لو دابناه على  
ديننا ، ما مس نفوسنا عذاب . جرى شاعرنا على  
لغة من لا يهمز ، وتلب الهزمة ياء ، كما هو شأن  
الشعر الشعبي .

وللشاعر الشعبي راشد الخلاوي :

ولا يد الا يد الله موتها  
ولا غالب الا له الله غالبه

كل يد مهما تويت فهناك يد اقوى منها ، هي يد  
الله ، وكل غالب قاهر ، فالله اقوى منه ، وقادر على  
قهره ودمره .

الى ان قال مادحا :

وعلى الغياري من علماء هذه الامة وأدبائها في  
هذا الجيل مسؤولية حملها ايهم اسلافهم البسرة  
الافياء ، الذين خلصوا هذه اللغة من كل شائبة  
وربية ، ولم يزالوا توأمين عليها ، غيرا على حماها..  
يلقون ما يخدم لغتهم بالنقد اللاذع ، ويتقبلون ما  
يائفونه بالرد الموجه ، ويلاحقون الواغل الدخيل ،  
كما يلاحق المجرم .. حتى وصلت الينا ..

نما هو موقفنا من هذا التراث الضخم ، في عصر  
العلوم ، والفنون ، والمخترعات ، وعصر تواشج  
الامم ، وتقاربها واندماجها .. وعصر التقليد والمحاكاة -  
تقليد الاضعف للاقوى .. ان هذه الامانة تستهدفها هذه  
التيارات ، وتنقصها من اطرافها ، وتنازعها البقاء ..  
تريد منا غيرة ولا كغيرتنا على التراب ، والكبان ،  
والمصالح ..

وتريد منا لغة البادية - وقد علمنا مكانتها من  
لغتنا وتومنا - ان نتخذ الوسائل الكفيلة برمايتها ،  
وحمايتها وجعلها منطلقا لحياء لغة الضاد ، سليقة  
وطبعا ، في السواد الاعظم من بني جلدتنا ، على نحو  
ما كان اسلافنا يفعلون ، في الاستفادة من لغة البادية ،  
وطبعا ، وخشونتها ، ورجولتها ...  
واننا ان شاء الله لنفاعلون .

فتى لا يرى الاموال الا ودائعا  
لديه سوى سيف ورمح وسربال

وعدة بولاد ولدن من القنسا  
وصلرا علنداة من الخيل مصهال

الستم معي في ان هذا الشعر الى جانب كونه  
مصححا نصيحا ، فهو يحمل صورة حية من الجمال ،  
ولفتات بارزة من المعاني الشعرية ، المؤثرة .. وانه  
بهذا يمثل الشعر العربي النصيح ، رغم انه قيل  
بالسليقة ، ونبع من البيئة العامية ؟ !

وبعد فهذه هي لغة البادية ، نثرها وشعرها ،  
تبرز من خلالها سجايا هؤلاء الاعراب ، وتشف من  
طباعهم الكريمة ، واخلاقهم المثلى ، وتنبئ عن الاصرة  
التي تربطها بالنصحى ..

لنا اذا لغة في بطون الاسفار ، نجتزها ، ونرجع  
اليها ، ونصدر عنها .. تلتقي اخرى توارثتها السنة  
الاجيال ، وتناقلها الخلف عن السلف ، وبقيت مصدرها  
السليقة ، ومنطقها الطبع ، وحارسها الغيرة ..

# الصِّراع بين الفصحى والعامية

## أو أثر الازدواج اللغوي في أسلوب يوسف السباعي

الدكتور زكي عبد الملك

أستاذ الأدب العربي والعلوم اللغوية  
جامعة يوتا (الولايات المتحدة)

واللغة الفصحى مشتركة بين العرب وإنما وجدوا  
فالمغربي يقرأ ما يكتب في مصر فيفهمه ، والمصري  
يقرأ ما يكتب في المغرب فيفهمه . أما اللهجات العامية  
فتختلف باختلاف المناطق ، واستخدامها في كتابة  
الأدب يحول بين الأدباء في كل منطقة وبين القراء في  
المناطق الأخرى .

بقيت حجة أعرب عنها الدكتور محمد مندور  
حين زعم أن العامية الدارجة تفيق عادة بالتعبير عن  
أعمق المشاعر وأدق المعاني « بحكم أنها لا تزال  
مقصورة على حياة الأميين الذين لا يستعملونها إلا في  
التعبير عن حاجات حياتهم الضيقة في أنواع المشاعر  
ودقة التمييز بينها ، فضلا عن عمق الخاطر أو  
أصالته » (3) .

ولما ظهرت القصة الحديثة في الأدب العربي  
ونشأ فن المسرح العربي الحديث ، أخذ بعض الأدباء  
يتبرمون باضطرابهم إلى انطاق الشخصيات القصصية  
والمسرحية باللغة الفصحى . وتساءل أولئك الأدباء :  
أفليس عجيبا أن يجري الحوار بلغة فصحة متينة  
السبك بين أشخاص لم يصيبوا من الثقافة كثيرا ولا  
قليلا ؟ اليس ذلك مما يفسد القصة والمسرحية وبنائهما

في العالم العربي ازدواج لغوي قوامه اللغة  
الفصحى واللهجات العامية الدارجة . فأما اللغة  
الفصحى فتستخدم في أكثر الأغراض الكتابية كما  
تستخدم في أكثر الأحاديث التي يفلب عليها الطابع  
الرسمي . وأما اللهجات العامية فيستخدمها الناس في  
غير تكلف لتضاه حاجاتهم العادية . والأغلبية الساحقة  
من المثقفين في البلاد العربية يرون أن اللهجات العامية  
لا تصلح للتعبير الأدبي ، ولهم في ذلك حجج يجدر بنا  
أن نعرض لها في إيجاز :

وأهم تلك الحجج أن اللغة الفصحى لغة القروان  
وعلى معرفتها يتوقف فهم القروان . لذلك تحمل علماء  
اللغة فيما مضى ألوانا من المشقة وضروبا من العناء في  
شرح قوامها (1) ، ولذلك يأبى المرء اليوم أن  
يستبدلوا بها اللهجات العامية في كتابة الأدب فيقصوها  
من حياتهم انصاء لا ندرى أتمود بعده أم لا تعود .

ثم إن اللغة الفصحى تعتبر عند العرب أوفى من  
اللهجات العامية وأعلى ، وإتقانها دليل مندهم على  
الثقافة العالية والدوق الرفيع . ليس فريبا إذن أن  
يرد طه حسين جهل فريق من الشعراء بالفصحى إلى  
الكسل والتقصير والتصور (2) .

- (1) « المقدمة » للعلامة ابن خلدون ( القاهرة : مطبعة التقدم ) ، الجزء الأول ، ص 455 .
- (2) « حديث الأربعماء » لطله حسين ( القاهرة : دار المعارف ، 1957 ) ، الجزء الثالث ، ص 200 - 201 .
- (3) « المسرح النثري » للدكتور محمد مندور ( القاهرة : معهد الدراسات العربية العالية ، 1959 ) ، ص 81 .



بهما عن الواقع الذي تجتهدان في تصويره ؟ ومع ذلك ظل أكثر الأدباء والنقاد يرون **اللغة الفصحى غير أداة للتعبير في المسرحية والقصة ، ويقاومون استبدال العامية بها ؛** فالدكتور محمد مندور مثلا لا يتردد في رفض الدعوة الى استخدام العامية في المسرحية ، وهو يعمل رفضه على النحو التالي :

« كل مسرحية انما هي حكاية حال ... ولا يمكن أن تكون حكاية لسان ، فالمؤلف لا ينطق لسان مقال شخصياته الروائية بل ينطق لسان حالهم ، والواقعية ليست في اللغة وانما في التصوير النفسي للشخصيات ومدى مطابقتها هذا التصوير لواقع الحياة الظاهر منها والخفي ، والذي تستطيع الشخصيات التعبير عنه أو لا تستطيع . والذي يحدث فعلا هو ان المؤلف يمبر بلفته هو ولسانه ، وكل ما يطلب منه هو ان يأتي تعبيره صادق التصوير لواقع شخصياته . وسيان في ذلك - من الناحية الفنية - أن يستخدم لغة عربية فصحة أو عامية أو أية لغة أخرى » (4) .

**والاديب المصري يوسف السباعي ممن يرون أن للعامية في القصة والمسرحية دورا يجب أن تؤديه .** وقد عرضه ذلك لنقد عنيف رد عليه أكثر من مرة ثم تظاهر بالامراض عنه ، ولكنه تأثر به ما في ذلك شك ، فقد مر أسلوبه القصصي بمراحل ثلاث : كان في المرحلة الاولى أسلوبا جزلا فصيحاً يكثر فيه الاستشهاد بالشعر ويوشك أن يبرا من العامية . ومن خير الامثلة على أسلوب هذه المرحلة كتاب «اطياف» ( القاهرة : مؤسسة الخانجي ، 1947 ) ، فانت تقرا فيه الصفحة تلو الصفحة فلا تجد من العامية (5) الا الفاظا قلائل متفرقة ، يدل عليها المؤلف ويميزها من بقية الالفاظ كأنه يعتدل منها الى القارىء : (6)

اني لم أرك منذ كنت تصطاد السمك على شاطئه الترمه « بالبنطلون القصير »

ما زالت ذاكرتك قوية « يا عم محمد »

سأجهز لك « سنارة » لصيد السمك .

(4) المرجع السابق ، ص 57 - 58 .

(5) اللهجة العامية التي استخدمها يوسف السباعي في قصصه هي اللهجة القاهرية .

(6) ص 82 .

(7) المثال الاول مقتبس من صفحة 25 والثاني مقتبس من صفحة 28 .

وقد تجد بين صفحات الكتاب احيانا ما يبعث في نفسك شعورا قويا بأن المؤلف يشق على نفسه في الكتابة ، ويتكلف من العناء شيئا غير قليل في اختيار الالفاظ حتى تستقيم له العبارة ويبرا أسلوبه من العامية : (7) .

— قم يا ابن الليمة . ماذا تفعل ههنا ؟ تالله لئن رايتك خطوت الى هنا مرة ثانية لادفن عنقك .

— لتقر عينك يا ابا لهب ، ولتهدأ بالا . لتتخذن لك من دارى مأوى ومخبا .

وفي المرحلة الثانية تنقسم القصة من حيث الاسلوب الى قسمين : القسم الاول هو ما يقدمه السباعي نفسه بين يدي القارىء من تحليل ووصف للزمان والمكان والاحداث والشخصيات . واسلوب هذا القسم فصيح رغم أن الالفاظ العامية تتسرب اليه بين الجين والحين . والقسم الثاني هو الحوار ، واسلوبه عامي ليس فيه من آثار الفصحى الا الهجاء . ومن خير الامثلة على أسلوب هذه المرحلة كتاب « السقامات » ( القاهرة : مؤسسة الخانجي ، 1952 ) الذي شرح السباعي في مقدمته موقفه من العامية :

« التقيت ذات يوم بالاستاذ احمد بك عباسي كبير مفتشي اللغة العربية بوزارة المعارف ، فانباني ان الوزارة كانت توشك أن تقر بعض كتيبي لمدارسها لولا أن اللجنة المختصة رأت أن الكتب تحوي بعض عبارات بالعامية ....

« وعلى هذا فلم اكد أبدا هذه القصة حتى ذكرت وزارة المعارف ومطالبها التي تتفرع عن اللغة العامية، وعزمت أن اقيم سباجا منيعا يحول دون تسرب الالفاظ العامية التي تأبى الا أن تفرض نفسها فرضا في سياق الحديث . واخذت في الكتابة محاولا اجراء الحوار بين ابطال القصة باللغة الفصحى ، ولكنني لم اكد أكتب بضع صفحات ، ولم اكد « أحصي » في الكتابة ، حتى وجدت ابطال القصة ينطلقون على الرغم مني في الحديث بالعامية ...

« ولست أشك أننا في فترة صراع بين العامية والفصحى .... »

« وهذه قصة يبدو فيها هذا الصراع بين الفصحى والعامية . ولا جدال هناك في أن الغلبة - في الحوار - للعامية ، لأنه من المستثقل الممجوج أن نحاول انطاق اشخاص القصة باللغة الفصيحة وهم لا يمكنهم في حياتهم الطبيعية أن ينطقوا بها . » (8)

واستثناء العامية بالحوار جاري في العبارات التالية التي نقتبسها من الكتاب : (9) .

— ما فيش لزوم يا شحاتة أفندي . أنا رايح القهوة بتاعتنا عشان عندي شوية شغل عايز اقصيهم .

— وماله . تقضي شغلك وبعدين نروح سوا .

بقي أسلوب المرحلة الثالثة ، وهو يفوق الاساويين السابقين في الاهمية لسببين :

أما السبب الأول فهو أن السبامي يلتزم ذلك الأسلوب في أكثر ما كتب من قصص ، ولعنه قد استقر واتخذ مذهباً دائماً . واذن فقد يكون ذلك الأسلوب النتيجة التي انتهى إليها الصراع بين العامية والفصحى عند السبامي . وما دامت خصائص الازدواج اللغوي واحدة في كل مكان (10) فقد يكون في أسلوب هذه المرحلة من الخصائص ما هو شائع في الاساليب القصصية أينما يوجد الازدواج اللغوي .

وأما السبب الثاني فهو أن السبامي من أكثر العرب إنتاجاً ، فقد نشر بين عامي 1947 و 1968 خمسة وأربعين كتاباً ، منها خمس مطولات مسرفة في الطول هي : « رد قلبي » و « ناديا » و « جفت الدموع » و « ليل له آخر » و « نحن لا نزرع الشوك » . وأكثر قراء السبامي من الشبان الذين تبدأ حياتهم الأدبية عادة بتقليد ما يطالعون . وقد ظفر السبامي من ثناء النقاد (11) بما يفري القراء بتقليده ان كانوا في حاجة الى الإغراء ومنهم من يعجبون به إعجاباً يخرجهم من

طورهم أحياناً . (12) لن يدهشنا إذن ان يكتب عدد كبير من قصص المستقبل بأسلوب المرحلة الثالثة .

لهذين السببين يجدر بنا ان نحلل أسلوب المرحلة الثالثة في شيء من الإناة والتفصيل . وأول ما نلاحظه ان السبامي في تحليله ووصفه يصطنع أسلوباً فصيحاً تعترضه أحياناً الغلط عامية أو أجنبية كالالفاظ التالية :

برنيطة ، معيز ، بنج بونج ، دكة ، شلة ، شورت ، بوز ، تنس ، مد موازبل .

لكن الجديد حقاً في أسلوب هذه المرحلة هو ما تجده في الحوار . ذلك أن لغة الحوار ليست فصيحة صرفاً ولا عامية صرفاً ، وإنما هي بين بين ، تأخذ من هذه بمقدار ومن تلك بمقدار . ومن خير أمثلة على هذا الأسلوب كتاب « نادبة » ( القاهرة : مؤسسة الخانجي ، 1960 ) . تفرد ذلك الكتاب فيخيل اليك ان الأشخاص يتخاطبون على فطرتهم بالعامية ، ولكنك تتأمل ما يقولون فإذا أنت مضطر الى الاعتراف بان للفصحى اثرًا ظاهرًا لا سبيل الى انكاره . على هذا النحو يجتهد السبامي في التوفيق بين العامية والفصحى وهو يتوسل الى هذا التوفيق بأربع وسائل هي : اقتباس ، واصطناع كلمات « الطبقة الدنيا » ، وترجمة التعبيرات العامية الى الفصحى ، وتجريد الكلمات من علامات الإعراب . ولنفصل :

#### الاقتباس

يقتبس السبامي من الانجليزية والفرنسية عدداً غير قليل من المفردات ولكنه ، كما يتضح من الأمثلة التالية ، قل ان يقتبس العبارات :

هالو

ول

تيم

جمنزيم

بونجور

(8) ص 6 - 8 .

(9) ص 261 .

(10) Charles Ferguson, « Diglossia », Word, Vol. XV (1959), pp. 325-340.

(11) من هذا الثناء ما كتبه توفيق الحكيم في « يا أمة ضحكتم » ليوسف السبامي ( القاهرة : مطبعة روز اليوسف 1955 ) ، ص 5 - 8 .

(12) سجل يوسف السبامي شيئاً من هذا الإعجاب في كتابه « اني راحلة » ( القاهرة : مؤسسة الخانجي 1950 ، ص 10 - 15 .

غير أن ما يقتبسه السباعي من اللغات الأجنبية قليل إذا قيس بما يقتبسه من العامية . ذلك أن السباعي لا يقتنع في اقتباسه من العامية بالمفردات بل يتمداها ، كما ترى في الأمثلة التالية ، إلى التعابير ولا سيما التعابير المجازية والأمثال السائرة :

ماما	فحة	صبيطة
بابا	جاجة	يزفد
شمامة	فائلة	طس
زور	فتلة	

أمال سي ( سي عمر )  
الله ا ياربيت  
اما ( اما مفاجأة ! ) وماله

على سن ورمح - عيون فارغة - يفتح الله  
لا هنا ولا هناك ( أنا لا هنا ولا هناك )

جه نقبها على شونة

اكف الجرة على فمها تطلع البنت لامها

الله يخرب بيته - الله بعمار بيته - لا مؤاخدة

راح الله لا يرجعه - أشيل مين فيهم - راجل اليط  
انت بنت مياعة - مياعة بنات - مش بطل - برك  
على انفاسي - حاضر يا فندم .

ولمة نوع آخر من الاقتباس يتميز به الحوار في المرحلة الثالثة هو اقتباس التراكيب من العامية . ومن أمثلة ذلك :

(1) العطف بدون حرف عطف :  
قومي البسي

(2) تكرار اللفظة للدلالة على الاستهتار :  
شيوعيون شيوعيون

(3) مخالفة البديل للمبدل منه في التعريف والتشكيير :  
هند دادة فاطمة

(4) استعمال الواو للدلالة على الاستمرار :  
ثلاث ساعات وأنا واقف على قدمي

(5) مخالفة بعض الصفات للموصوف في التذكير والتانيث ، أو في الأفراد والتثنية والجمع :

فستان بمبة - زهور بمبة - ناس بلدي

ولنلاحظ أن السباعي في اقتباسه من العامية متأثر بالفصحى من حيث لا يدري . فما ينطق في بعض الكلمات العامية همزة يكتبه السباعي قافا ، وما ينطق في البعض الآخر دالا يكتبه ذالا :

نقبا - خذ بالك

### اصطناع كلمات « الطبقة الدنيا »

الكلمات المشتركة بين اللغة الفصحى والنهجة العامية القاهرية ثلاثة أنواع :

(1) كلمات لا تختلف صيغها العامية من صيغها الفصيحة ، ومن هذه الكلمات « كتب » و « درس » و « بلد » و « من » وهلم جرا .

(2) كلمات لكل منها صيغة فصحة وأخرى عامية : والصيغتان مختلفتان اختلافا يقرره قانون لغوي عام . فالصيغ الفصيحة « نائم » و « صائم » و « عائم » و « دائم » و « فوائد » تختلف من نظائرها في اللهجة القاهرية ( « نايم » و « صايم » و « هايم » و « دايم » و « فوايد » )

اختلافا يقرره القانون اللغوي القائل ان المشتقات من مجرد الثلاثي الاجوف تكون عينها في العامية القاهرية ياء اذا كانت في الفصحى همزة .

(3) كلمات لكل منها صيغة فصحة وأخرى عامية : والصيغتان تشابهان الى حد وتختلفان الى حد ، ولكن ما بينهما من فرق لا يقرره قانون عام . فالفروق التي تميز الصيغ الفصيحة « رجل » و « امرأة » و « عربية » من نظائرها في اللهجة القاهرية ( « راجل » و « مره » و « عربيه » ) لا تقررهما قوانين عامة .

ومن الكلمات المشتركة ما له مترادفات تنفرد بها الفصحى من دون العامية ، ومنها ما ليس له مثل هذه المترادفات : فالفعل « دوح » مشترك بين العامية والفصحى ، وله مرادف فصيح لا تشترك فيه العامية هو « ارهق » . واسم الفاعل « صائم » مشترك بين العامية والفصحى كذلك ، الا أننا لا نجد له مرادفا تنفرد به الفصحى من دون العامية .

مضطجمة راقدة  
يرهقونه بدوخونه

### ترجمة التعابير العامية الى الفصحى

نصح الدكتور محمد مندور للقاصيين بترجمة اقوال العامة كلما دعت الى ذلك مشاكلة الواقع (13). وقد وفق السبامى الى نوع من الترجمة لا نؤم انه يرضى الدكتور محمد مندور ، ولكنه أبرز ما يتميز به الحوار فى المرحلة الثالثة .

يعمد السبامى الى العبارة العامية فيبقى فيها على النوع الاول من الكلمات المشتركة ، أما بقية الكلمات المشتركة فانه يستبدل صيغها العامية بالصيغ الفصيحة ، وأما الكلمات التي تنفرد بها العامية من دون الفصحى فانه يستبدلها بنظائرها الفصيحة . وفيما يلي بعض العبارات العامية ، والترجمة التي يستعملها السبامى ، والعبارات التي يؤثرها انصار الفصحى :

يمكننا اذن ان نقسم الكلمات الفصيحة الى ثلاث طبقات : طبقة عليا تألف من كلمات تنفرد بها الفصحى من دون العامية ( مثل « حذاء » ) ، وطبقة وسطى تألف من كلمات مشتركة لصيغة الصيغة ليس لها مترادفات بين كلمات الطبقة العليا ( مثل « صائم » ) ، وطبقة دنيا تألف من كلمات مشتركة لصيغة الصيغة لها مترادفات بين كلمات الطبقة العليا ( مثل « دوخ » ) .

وكلمات الطبقة الدنيا تنسم بطابع عامي مصدره وجود مترادفات لها فى الطبقة العليا . لذلك يزور انصار الفصحى عن كلمات الطبقة الدنيا ؛ اما يوسف السبامى فيتعمد اختيار تلك الكلمات ليلبغ ما يريد من التوفيق بين العامية والفصحى . وفيما يلي بعض ما يستعمله السبامى من كلمات الطبقة الدنيا ، وما يؤثره انصار الفصحى من كلمات .

### كلمات الطبقة العليا

### كلمات الطبقة الدنيا

انهضى

قومى

العبارات الفصيحة	الترجمة	العبارات العامية
معافى تماما	سليم اربعة وعشرين قيراطا	سليم اربعة وعشرين قيراط
معافى تماما	سليم مائة فى المائة	سليم ميه فى الميه
معافى تماما	كالجنن الازرق	زي الجنن الازرق
ضاع عليك الكثير	فانك نصف ممرك	فانك نص ممرك
ارهقنى من امرى مسرا	ارانى نجوم الظهر	ورانى نجوم الظهر
تنصب له اشراكها	تشتغل عليه	تشتغل عليه
امطاني اياها فى الحال	امطاهالى وانا واقف	ادهانلى وانا واقف
رمضان لا يعنينى فى شىء	لا يهنى رمضان	ميهمنيش رمضان
رجل طيب القلب	رجل امير	راجل امير
تأبين ما يشين	تعملين العملة	تعملى العملة
احتشمى	لمى جسمك	لمى جسمك
لا بد ان الثوب لا زال عند الكواء	لا بد ان الثوب لم يات من عند المكوجى	لازم الفستان ما جاش عند المكوجى

(13) « فى الميزان الجديد » للدكتور محمد مندور ( القاهرة : مطبعة نهضة مصر ) ، ص 55 .

انا احب مصام  
أريد غيار لنادية  
وضع الدكتور لها مرهم  
اتظنين الرئيس جمال عبد الناصر فاضي ؟

يرى تشارلز فرغيسون ان « التخصص من أهم  
مميزات الأزواج اللغوي » . (14) وهو يقصد بذلك  
ان العامية قل أن تؤدي من وظائف الفصحى شيئا ،  
وان الفصحى قل أن تؤدي من وظائف العامية شيئا .  
ذلك حق ، ولكننا نرى مما سبق ان العامية والفصحى  
تتنازعا في بداية الامر ، وان ما يكون بينهما من تنازع  
على وظيفة بعينها لا يتمخض عن نصر حاسم الا بعد  
مرور زمن قد يطول . فظهور وظيفة جديدة في الادب  
العربي ، هي القصة الحديثة ، قد اثار بين العامية  
والفصحى خصومة شديدة وصراعا عنيفا . وليس  
أسلوب المرحلة الثالثة عند السبامي الا اثرا من آثار  
هذه الخصومة وصدى من اصداه ذلك الصراع .

ونحن نصر على ان نقطة الانطلاق ليست المبارات  
الفصيحة ، اي ان السبامي لا يعمد الى العبارات  
الفصيحة فيختار منها اقربها الى العامية . ولو كان  
ذلك مذهبه لما عثرنا في كتبه على تعابير مثل « رجل  
امير » و « تشتغل عليه » لانها لا تؤدي في اللغة الفصحى  
ما يقصد اليه من معنى .

#### تجريد بعض الكلمات من علامات الاعراب

اكثر الكلمات التي يجردها السبامي من علامات  
الاعراب هي أسماء العلم ، وهو يجردها مادة من علامة  
النصب ومن التنوين . غير ان السبامي احيانا يجرد  
من علامات الاعراب ومن التنوين كلمات غير أسماء  
العامية . وستجد في الجمل التالية امثلة على ما نقول:  
العلم ، ولا سيما اذا كانت تلك الكلمات مقتبسة من

ساعود الى البيت لارى فاضل

لا بد ان اذهب لارى مصام

Charles Fergusson, « Diglossia », Word, Vol. XV (1959), p. 328. (14)



# أساليب مناهج صياغة اللفظ في التعبير العربي

للدكتور باناهج رباكو (الاتحاد السوفياتي)  
ترجمة الأستاذ فؤاد حمودة "الرباط"

وثمة خطر آخر يواجه اللغة العربية يتمثل في نقل المصطلحات الفنية انطلاقاً من اللغات الأوروبية وترجمتها إلى العربية . وليس يخاف أن معظم الكلمات المركبة والأوروبية الأصل قد استعارتها بحالتها الإنشائية الثابتة أي أخذت الكلمة بصورتها الأوروبية وكتبت بأحرف عربية . بالرغم من أنه كثيراً ما نجد أن الكلمة الأوروبية تلك إنما يتكون هيكلها من مزيج مركبين أو أكثر الأمر الذي ينتج عنه في بعض الحالات أن العديد من تلك الألفاظ لا يتواءم مقتضيات مفهوم الكلمات ومعناها . لا سيما وأن منها ما هو متعدد المعنى ، أي يمكن استعماله للدلالة على أكثر من معنى واحد فهي - والحال هذه - ليست محكمة الضبط للتعبير عن معنى بعينه ، مما قد يؤدي في النهاية - حال استعمالها بشام شكلتها الأوروبية معربة - إلى عدم تحديد مؤداها وما تستهدفه على وجه التدقيق - من معنى أو صفات وسمات مميزة تلك هي النتيجة المتسرة التي يؤدي إليها استعمال تلك الكلمات والتي مردها عدم أحكامها وتوثيقها والاقتران على مجرد تغيير ملامحها باستبدال الحروف العربية بالأحرف الأوروبية . ولهذا فإنه لمن الأهمية بمكان الإشارة إلى أن أي تركيب لغوي - يراد تحويله إلى كلمة مركبة أو تغيير لفي أو مصطلح علمي - يجب التيقن بادئ ذي بدء أنه يتوفر على صيغة متماسكة معينة كما يحتوي على مضامين مدققة فكما أن من شأن ذلك تلخيص هذا التركيب من خاصية تعدد المعنى وتكريسه للدلالة على مفهوم محقق ومضبوط ، فإنه من شأنه أيضاً أن يؤدي إلى

لم تنزل صياغة الكلمات التي تعالج شتى مناحي الحياة الاجتماعية تشكل القضية العلمية التي تواجه المصطلح اللغوي أو الفني الحديث في اللغة العربية ، والتي لما يتوصل بعد إلى حلها .

أن مراجعة معاجم اللغة واستقراء المواد والنشرات العلمية لتعطي للقارئ فرصة الوقوف - بين الحين والآخر - على بعض المصطلحات الأوروبية الدخيلة .

وفي العصر الحاضر وخلافاً لما كان سائداً في المصور الوسطى فإن عدداً وافراً من تلك المصطلحات الأوروبية الغربية ، تحيد عن قواعد اللغة العربية من حيث الصرف والأعراب وفن تركيب الكلمات وضبط التهجئة بل وفي قواعد علم الأصوات والسمميات اللغوية ويتمثل ذلك في علوم الفسيولوجيا . والمتروlogيا . والجيولوجيا... الخ .

ولا مناص من القول بأن أقسام مثل هذه الكلمات في اللغة العربية من شأنه أن يهدد مستقبل تلك اللغة وعوامل تطورها ، فضلاً عما يؤدي إليه من بلبلة واضطراب في ضبط التهجئة وأحكام الإملاء وصحة اللفظ وصياغة الكلمات وأخيراً في قواعد الأعراب .

فإذا وفرت في الأذهان تلك الحقيقة العلمية فإنه يجب أن يكون التدرج في الأخذ بتلك الكلمات الأوروبية وفسح مجال لها في معاجم اللغة العربية ومراجعتها بكيفية محدودة للغاية .

تفهم صياغة الكلمات المتزاوجة وليدة هذا التركيب . وهذا التركيب في اللغة العربية يطابق ما يسمى بالمركب المزجي الذي يساير كل القواعد اللغوية . وكما ان اساليب متنوعة قد استخدمت في انشاء التركيب المزجي هذا فان طبيعة المادة التي هي موضوع التركيب تسهم في الدور الذي يؤديه التركيب المزجي في تشكيل علم الاصطلاح اللغوي لوضع الاسماء العلمية ومصطلحات الفنون .

وتسود علم اللغات العربية آراء متضاربة فيما يتعلق بكيفية تأليف تلك المصطلحات الفنية في نطاق المركب المزجي .

وعلى ضوء ما هو ملموس لدينا يمكن القول بان استيعاب المؤلفين لاسلوب صياغة المصطلح من خلال المركب المزجي لا يركز على قواعد التحول او التطور الذاتي للغة العربية .

كما يبدو لنا انه في صدد صياغة المصطلح الحديث - نجد لزاما علينا استخدام نماذج واساليب من تلك التي كانت سائدة في العصور الوسطى والاستعانة بها . ومن ثم ، فان النماذج يجب ان تكون - دون غيرها - الانماط التي تمثلها اللغة العربية وتمتدي بحدودها . كما ينبغي ان تكون الكلمات المركبة الوليدة متوائمة وقوام اللغة العربية .

ويختلف تركيب هذه العناصر اختلافا جديرا عن تركيبها في اللغات التركية والهند و - اوروبية

ولما كانت الكلمات المركبة يجب ان تتساوى مع نماذج ثابتة محددة المعالم في بنية اللغة العربية فان عملية المركب المزجي قد تتم بالاحتفاظ بحرف ساكن أو حرفين من كل مركب وطرح ما تبقى من احرف ، أما الاحاد المعجمية واللغوية فتتركب من عناصر مختلفة بواسطة الابقاء على ثلاثة أو اربعة حروف أو خمسة - في حالات نادرة - تتشكل طبقا لقواعد قارة .

والتركيب المزجي الذي كان بمثابة حقل تزدهر فيه صياغة الكلمات المركبة في العصور الوسطى قد لا يكون هذا شأنه اليوم . وقد يكون العكس صحيحا . اذ بمقارنة النماذج التي تؤلف فيما بينها المصطلحات الحديثة في اللغة العربية المعاصرة مع تلك كانت سارية في اللغة التقليدية - نلاحظ ان هناك توافقا فيما بينها وقصورا في الصلة بين اللغتين في هذا المجال :

ففي العصور الوسطى كانت الكلمات المؤلفة في سياق المركب المزجي تنشأ من ادغام اداة النفي ( لا ) في الاسم أو اسم الفعل على الشكل التالي :

( لا + بد ) = لا بد ، ( لا + شيء ) = لاشيء ،  
( لا + ابالي + به ) = لا اباليه ، ( لا + مبالاة ) = اللامبالاة .

ويتبع هذا المنهج من مناهج المركب المزجي في معاجم اللغة العربية نلمس انه لم يكن له نصيب وانفر في صياغة الكلمات المركبة ، بينما نجد في الطور المعاصر من اطوار اللغة العربية ان مثل هذه الصياغة للمصطلحات الحديثة معتادة مألوفة .

وعلى ضوء هذه الحقيقة أقر المجمع العلمي العربي بدمشق صلاحية العديد من الكلمات المركبة طبقا للقاعدة المذكورة واجاز استعمالها في مجالات الفلسفة والاحياء والطب والصيدلة الخ مثل :

اللا ادريه ، اللادينية ، اللاسياسية ، لا تعري ، لا توبيجي ، اللاتراوحي اللاتراول ، اللادماغية ، اللامقلة اللامكوسية ، اللاجن ، لاسلكي ... الخ .

وهناك ايضا عدد من الكلمات المركبة نشأ من دمج الاداة ( ما ) فيما يتلوها من كلام مثل :

( ما + هي + ية ) ماهية ، ( ما + جري ) = مجريات اوماجريات ، ( قل + ما ) = قلما ، ( حيث + ما ) حيثما ، ( لا + سي + ما ) = لا سيما .

وهكذا نجد في اللغة العربية المعاصرة بعضا من تلك المصطلحات الفنية في ميادين الفلسفة والصيدلية وسائر فروع العلوم صيغت جريا على قاعدة دمج حرف ( ما ) فيما يلحقه من كلمات مثال ذلك :

( ال + ما + لا + حرف ) = المالايمرف .  
( ال + ما + كشف ) = المايكشرف ، ( ما + فوق ) = بنفسجي ) = مافوسجي ) .

وعلى اي حال فان استعمال تلك المصطلحات الحديثة على النمط المشار اليه - ما زال يحدهو عامل الندرة في الوقت الحاضر .

هذا وان استحالة التركيب اللفظي المستقل الى مزيج لغوي قد لوحظت فقط بالنسبة للغة العربية المصرية نتيجة لترجمة بعض المصطلحات الحديثة من اللغات الاوربية مثل :

وبانعام النظر في التركيب الاخير ( كباحد ) يتضح ان اشتقاقه تالي من وصل الحرفين الاولين في كل من المركبات الثلاثة بعضها ببعض .

وتحتوي اللغة العربية القديمة على مسدد من النماذج لم تمهدا في العصر الحديث مثال ذلك ما تضمنه من كلمات مركبة تصاغ باضافة الحرف الاول الصامت من المركب الثاني الى المركب الاول مثل :

( مين + دم ) - دمع حيث اخذت ع من عين واضيفت الى دم فصار دمع (خرم + شرم) - خرمش ، اضيف الحرف ش اخذا من شرم الى خرم فصارت خرمش .

ويمكن متابعة نفس القاعدة في الكلمات المركبة التي يرجع اصلها الى اللغة الفارسية والتي صار استعمالها من قبل اللغة العربية مثل :

( لك مأخوذة من كاه . P = ق A + خورن = خورذن . ) الخورنق A = خوردنكاه . P وليس ثمة جدال ان اللغة العربية كانت تشمل على الكثير من الانماط في كيفية صياغة الكلمات وان بحثا خاصا في تاريخ جذور اللغة العربية وصلتها بالالفات الاخرى التي كانت متأخية معها لبدو ضروريا للتعرف على ماهية هذه الانماط وتبيان معالمها .

ولقد استطاع اللغويون في العصور الوسطى ان يتعرفوا على العناصر او المركبات التي صيغت منها الكلمات التالية :

( برق + نقش - برقش ، ( برق + رقع ) = برقع الخ .

بيد انه من الصعوبة بمكان تحديد الاحرف الماخوذة من كل مركب في المثال السابق ، فبالنسبة للمصطلح الاول نجد انه يشتمل على الاحرف ب ، ر ، ق من الكلمة الاولى ، كما يشتمل على الحرفين ق ، ش من الكلمة الثانية . وايضا بصدد المصطلح الثاني نجد انه يشتمل على الحرف « ب » من ( برق ) والحرف «ع» من الكلمة الثانية . الا انه يعوزنا الاساس او الدليل حتى يتاتي لنا الجزم بان الحرفين (ر ، ق) انما ينتسبان الى واحدة من الكلمتين دون الاخرى لان كلا الكلمتين تشتملان على ذات الحرفين فليس من وسيلة الى ارجاع كلا الحرفين الى الكلمة الاولى دون الثانية او العكس . وما يقال عن المصطلح الاول في هذه الحثية ينصب على المصطلح الثاني .

جيهوائي = حي بالهواء - airobic ،  
الحلماة - التحليل بالماء = hydration يحلمه =  
يحلل بالماء hydrolyse (to)

ويتبين من استقراء تلك الامثلة ان النهج الذي اشيع في صياغة تلك الكلمات المركبة كان باضافة الحرفين الاولى من المركب الاول الى المركب الثاني ، وتلك القاعدة كانت متبعة من زمن بعيد في اللغة العربية تشهد بذلك الامثلة الآتية :

( مش « من شمس » + لوز ) - شلوز ،  
( شق « من شق » + حطب ) - شتقطب ، ( حب « من حب » + عب « من عب » - حبقر .

ونجد اليوم ان تلك الصياغة اضحت نسيبا مشمرا وان المصطلحات الحديثة التي صار تشكيلها على هذا النمط قد حظيت بموافقة المجمع العلمي العربي مثال ذلك ما تم اقراره منها مثل :

( حرارة + ماء ) الحرمائي ، ( بر + ماء ) = البرمائية ، ( تحت + تربة ) التحتوية ( شبه + بلور ) = شباور ، ( ماء + فول ) - ماغول ، ( شبه + فراء ) شيفراء .

( لبنان + أرز - لبارز ، ( حيسر + زمن ) = حيزمن ... الخ .

فاذا ما كان الحرف الاول او الثاني في التركيبين همزة ساكنة فانها تحذف عند صياغة المركب المزجي : مثل : ( رأس + مال ) - رسمال .

وقد كان العديد من الافعال والصفات الموصولة تتم صياغته منذ زمن بعيد يرتد الى العصور الوسطى بوصل الحرفين الاولين من كل مركب على وزن تفاعل ، فطل وقد كانت صياغة التركيب على هذا النحو اجدي في ابتكار العديد من التركيبات بالقياس الى غيره مثل :

( جملت فدالك ) - جمعفد ، ( عبد شمس ) = تمبشم ، ( عبد القيس ) = تمبقس ، ( عبد الدار ) - عبدري ، ( امري القيس ) - مرقسى .

ويظهر الكثير من تلك المصطلحات الحديثة في الادب العربي المعاصر مصوغا على نهج الامثلة السابق بيانها وقد حظيت هي ايضا بموافقة المجمع العلمي العربي عليها ومثال ذلك :

( أنف + لم ) - أنفمي ، ( بروم + حديد ) = برحد ، ( كبريت + أكسوجين + حديد ) = كباحد .



وأنه من المتمذر تحديد النمط أو النهج الذي استعمل في صياغة مثل هذين المصطلحين الأخيرين أو التعرف على الأسلوب المتبع في تدبيرها . كما أنه يتمذر أيضا مقارنتهما أو القياس عليهما بالنسبة للمصطلحات اللغوية الحديثة التي تشكلت في اللغة العربية المعاصرة .

هذا ولا غرابة في أن وصل الحرف الأخير من الكلمة الأولى بالحرف الأول من الكلمة الثانية من شأنه أن ييسر عملية الاشتقاق وتوليد المصطلح المقصود بمعنى أن نهج هذا الأسلوب من خاصيته توفير الجهد وتخفيف المشقة في صياغة الكلمات المركبة . مثل :

حيز + من أو حيز + زمن أو ( حيز + زمن ) - حيزمن .

وهناك عدد من التغيرات الحديثة في اللغة العربية المعاصرة تختلف عن المصطلحات المشار إليها في طريقة صياغتها وعن الأنماط التي يمكن اتباعها من أجل توليدها ، ويمكن تحديدها في النقاط التالية :

والتي صيغت من امتزاج المركبين (orthos + pteron) يتضح لنا أن الاختزال قد تناول المركبين معا وليس أحدهما فحسب كما بالنسبة لصورة الكلمة بالعربية السالف شرحها .

الكلمات المركبة التي تشير إلى طرفين الزمان والمكان والمترجمة حرفيا عن الأصل الأوروبي والتي صيغت من وصل المقطع الهجائي الأول من المركب الأول بالمركب الثاني مثل :

قبل التاريخ - قبتاريخ - وأصلها الفرنسي ... Préhistoire

ثم الصفات المركبة التي تكونت من تواكب اسمين جغرافيين متساويين . ومما يميز هذه الحالة من الصياغة أن المركب الثاني من تلك الصفة المركبة لا يفقد قوامه الذي كان عليه قبل التركيب بحيث يبدو دائما وكأنه كلمة مستقلة تؤدي ذات المعنى الذي كان متعلقا بها قبل الصياغة والكلمات التي من هذا القبيل قد صيغت في العربية مرتكزة على حرف الوصل « ي » الذي استبدل بحرف O في اللغات الأوروبية مثل :

انجلو امريكي Ingilu : amriki

أفرو آسيوي Ifru : asilavi

أسيوي أفريقي asilu : afriki

هذا وإن استعمال التراكيب المتشعبة طبقا لهذه الحالة في الخطابة ولغة الصحافة قد حظى بقبول المجمع العلمي العربي في سنوات 1946 - 1947 الأمر الذي ثارت بسببه الجادلات والمساجلات بل وأحيانا مشادة بين العلماء .

وختاما لهذا البحث لم يبق إلا أن نقرر أن نشأة المصطلحات الحديثة في ظل المركب المزجي وانتشارها إنما يركز على الأصول الآتية :

أولا : من المسلم به أن الكلمات المركبة قد شاع استعمالها في اللغات الأوروبية وهكذا نرى الكثير من المصطلحات الحديثة التي ذاعت في الوقت الحاضر في شتى مجالات العلوم ، قد قامت صروحها على هذا التركيب . كما أن تلك المصطلحات الحديثة قد وجدت طريقها إلى اللغات الأخرى ومنها اللغة العربية ومن ثم كان ظهور الكلمات المركبة وفقا لأسلوب التركيب المزجي فيها .

ثانيا : أن المصطلحات المركبة هذه ليست بالشيء الجديد أو الغريب على اللغة العربية التي عهدهت أنماطها وطرق صياغتها ومناهجها منذ زمن بعيد وهذا ما يفسر تقبل اللغة العربية المعاصرة لهذه المصطلحات وتبنيها .

1 - التعابير التي تتكون من تزاوج كلمتين مثال :  
( عرض + حال ) - عرضحال ، ( قائم + مقام ) = قائمقام ، ( قبل + فكى ) - قبلفكى ، ( يا + نصيب ) = يانصيب .

فإذا ما كانت الهمزة هي حرف استهلال المركب الثاني في مثل هذه الكلمات فإنه ، كقاعدة عامة ، تسقط من الحساب عند الصياغة كما تبين من الأمثلة التالية :  
( حمض + أمين ) حمضمين ، ( غول + أثير ) - غولثير .

وأحيانا ما تجوز الصياغة بتألف الكلمتين بتمامهما معا مثل :

البادزهر ، يوسف أفندي .

2 - الكلمات المركبة من حرفي التصدير من المركب الأول والحرفين الأخيرين من المركب الثاني على وزن فعلل مثل :

( قل « من قلم » + بر « من حبر » ) - قلبر .

والكلمات المركبة وفقا لهذا الاسلوب دخلت  
اللغة العربية من طريق استعارتها من اللغات الاوروبية  
بعد ترجمتها الى العربية وتشكيلها وفقا لما يتلادم  
وقوامدها مما ادى الى تباين في كيفية صياغة الكلمة في  
الفتين - ( لغة الاصل واللغة الناقلة ) - ففي كلمة  
مسجناحيات التي تانت من امتزاج المركبين  
( مستقيم + جناح ) يلاحظ انه عند الصياغة قد جرى  
الاختزال بالنسبة للمركب الاول وحده في الوقت الذي  
ظل بمنأى عن المركب الثاني اي ظل هذا بكامل هيئته .  
بينما لو ائمننا النظر في اصل كلمة مسجناحيات هذه  
في اللغة الفرنسية : orthoptères (1)

ثالثا : ان استعمال المصطلحات الحديثة يجب ان  
يكون بكيفية واضحة لا يكتنفها غموض .

رابعا : ان استمارة تلك الكلمات المركبة من  
اللغات الاخرى ونقلها الى اللغة العربية حرفيا دون  
تعديلها بما يتواءم وقوامد تلك اللغة قد يضربها بل قد  
ينتهي الامر تدريجيا الى اسادها .

3 - الكلمات المصوغة من المقطع الهجائي  
المكون من حرفين من المركب الاول والحرف الاخير  
من المركب الثاني فتاتي الكلمة المشتقة على وزن  
فعليل مثل :

( كهرباء + منطيس ) - كهروطيس .

4 - الكلمات المولدة من ربط المركب الاول  
بالحرفين الاخيرين من المركب الثاني وبدا تكون  
الكلمة الناتجة على وزن فعليل مثل :

( حمض + اسيل ) - حمضيل .

5 - الكلمات المركبة من اضافة الحرفين  
الاولين من المركب الاول الى المركب الثاني - اي الحالة  
العكسية للكلمات المشتقة وفقا للاسلوب المتبع في  
البند السابق - ومثل هذه المصطلحات تستعمل في  
حالات المجمع مثل :

( جوف + معى ) - الجومعيات ، ( مستقيم +  
جناح ) = مسجناحيات ، ( شمال + غرب ) -  
الشمفريات .

( 1 ) يبدو ان هناك نقصا في الاصل .



# الشعر العربي

## اللفظ عنصر من عناصر الحياة

يجب أن يتجدد باستمرار  
الأستاذ إلياس فنصل ، بويونس أيريس

ترجمة الأستاذ محمد محمد الخطابي

تلقينا هذا البحث القيم من الأستاذ إلياس فنصل وهو عبارة عن محاضرة ألقاها حضرة الأستاذ باللفة الإسبانية من الإذاعة الأرجنتينية تحت رعاية المعهد الثقافي الأرجنتيني - العربي بعنوان : « تمهيد لمعرفة الثقافة العربية » وقد نشرنا الأصل في مكان آخر من هذا المسد

سنجد في الشعر العربي الجاهلي تعبير الروح النقية الصافية لمشاكل الحياة المصرية ، هذه الروح التي هي شبيهة « برادار » كفيل بالتقاط أقل ذبذبات القلق الانساني .

لقد كانت « الكعبة » التي تقع في مدينة « مكة » بمثابة المكان المقدس لدى القبائل العربية ، وفي مطلع كل عام ، كان يهرع نحو هذه المنطقة ، ذوو الوقار والمهابة من مختلف الميول والاتجاهات ، لإقامة تجمعات كبيرة ، كانت ذات موضوع مميز الا وهو الادب ، حيث كانوا ينشدون القصائد التي تخضع لتقد بناء ، ويحللون فيها تلك التي تتواءم وأهواء العامة ، وأجود هذه القصائد - أي التي كانت تحظى برضى الحكام الثقات - كانت تكتت على رفوف فاخرة ثم تملق على « الكعبة » . في هذا المكان الذي كان ينال احترام الجميع من شيخ القبيلة العظيم الى الرجل العادي المجهول ، كان في إمكان الجميع قراءة هذه القصائد ، وبهذه الوسيلة يصبح للفن والبلاغة شعائر وطقوس . ولما جاء الإسلام التي هذه العادة التي كانت تتضمن بعضا من الوثنية البدائية . وفي تلك الحقبة نفسها كانت تقام دعائم المباريات الأدبية التي ما زالت لها ردود فعل عديدة في الوقت الحاضر . لقد كان « سوق عكاظ » ضربا من « الأولمبياد » الفني ، كان يضم

ليس هناك شئ من بين الشعوب القديمة فاق الجنس العربي في تقديره للشعر ، ونستعمل كلمة « تقدير » ونحن على علم أنها لن تستطيع أن تعطينا التعريف القاطع للاحترام الذي كان يوليه العرب لفن الشعر .

البدييات على ذلك كثيرة ، فحتى تاريخ العرب في الجاهلية إنما هو تاريخ الشعر .

وكل ما نعرفه من أخبار الحقبة التي سبقت الإسلام جاءت مروية ضمن « القصائد » التي وصلتنا منذ ذلك العهد ، والتي ما زالت حتى أيامنا هذه موضع بحوث ودراسات مختلفة .

تلك القطع الشعرية الموضوعة على نسق واحد - التي جادت بها القرائح في عزلة الصحراء وفي لحظات الضيق الروحي - رغم القرون البعيدة - ما زالت تحتفظ حتى الآن بالنكهة التي تصور لنا حيننا موسيقيا نحو الأوطان .

وإذا استثنينا من هذه القطع الشعرية الكلمات التي فقدت مدلولها بمرور الزمن - ونحن نعتبر اللفظ عنصرا مجهزا من عناصر الحياة ينبغي له أن يتجدد بصفة مستمرة - أي إذا استثنينا الكلمات التي لم تعد تكتسب صبغة الحاضر - والتي هي قليلة جدا - فإننا

أحسن الشعراء ينشدون أمام الجميع آلاف من أجود القصائد المنتقاة . ودالما كان هناك مراقبون من « حكام الكلمة » التسمين بالنزاهة والانصاف ، يدلون بانكارهم القيمة ، والذين كانوا صريحين في آرائهم وموجهين في احكامهم ، وكانت القصائد المختارة بمثابة البرهان الكبير على عظيمة القبيلة التي ينتمي اليها الشاعر الفاتح .

ان الاسلام لم يضع حجر العثرة في طريق الشعر المزدهر - كما يزعم ذلك بعض المستشرقين ذوي النظرة السطحية المبجل - وانما جعل الاسلام حدا لعبادة الوثنية وحولها الى اهتماماته العادية ؛ ويحسن القول انه احل محلها معرفة فنية خالصة .

« حسان ابن ثابت » الشاعر العظيم الذي كان صديقا حبيبا للرسول « محمد » رافقه في مديد من فزواته ، وتفنى بانتصاراته ، كان النبي يوليه اهمية خاصة واضعا بذلك الشعر في مكانه المناسب من الاعتبار دون ان يسو به الى قمة الالهوية او يهوى به الى سفح الانحطاط .

وحيثما بسط العرب نفوذهم حول العالم طفر الشعر العربي طفرات جديدة ، تحول الى وسيلة لنشر الانكار ، وتمضيد قوى الفتح الجديد ، وتسخير الاتجاهات السياسية ، وانفلا في ثوب جديد من الثواب البيان ؛ تحول الى قاعدة للنشر والذيع ، وقام بالدور الذي تقوم به الآن الجريدة والمدياح والتلفاز .

كانت الامور غريبة ، بحيث يحدث ان نجد اثنين من الشعراء المرموقين ذوي نزعات متباينة وهما يجاهدان تحت سياسة واحدة ، ذات مصلحة عليا تم العالم العربي واماراته التي كانت تمتد من الشرق الى الغرب .

وكانت للمعركة ايدولوجيات مختلفة ، فاحيانا تكون معمقا ذات سلاح متنوع قاطع ، تكون الكلمة البليغة احده واخطره ، واحيانا اخرى تكون سخرية حرة من خلال تطاحن الكلمات ، الشيء الذي يوضح لنا بجلاء التمکن التام من اللغة ، ويبرز لنا - في ذات الوقت - الذكاء الخارق للعادة المسخر لخدمة المثل العليا .

سيطول بنا الحديث اذا عددنا الامثال ، وترجمنا القصائد ، او اذا شرحنا المواقف ، غير انه لا يد لنا ان نورد ثلاثة من الشعراء الذين يشكلون في رأينا - صروح القمة في الشعر العربي القديم .

انهم الوان مختلفة ذات قدرة بلاغية ، دعالمها الخيال الخصب ، والملاحظة الحازمة والحجة اللاطعة . ان دواوين الشعراء الثلاثة ما زالت تدرس - حتى ايامنا هذه - في المدارس ، وسوف تظل دائما موضوعات بحث وتحليل .

« المتنبي » الشاعر الذي اودع الخيال العربي في القصائد ، وهو الذي عين في امثال سيرة طريقة التفكير عند العرب ووسيلة تصويرهم للحياة وكل ما هو موجود فيها من سمو وقوة .

ككل عبقرى كان « المتنبي » يعد من المفتونين الاكابر الذين ينشرون - في كل مكان - اشعارهم وامثالهم بين الامعاء المتطرفين الذين كانوا ينتقدون على المتنبي كبريائه وغروره اللذين جاوزا كل حد .

لقد كان المتنبي ، في نظره الرجولية يمي جيدا طموح الماضي العربي ، كان تذكيرا متحمسا لوحدة العرب ، وواحدا من المبشرين بالقومية النقية من كل تعصب .

الشاعر الثاني هو « المعري » الذي كان ضربا مند طفولته البعيدة ، الرجل الواسع المتبحر العارف باحاسيس البشرية ، لقد كان فيلسوفا بالمعنى الدقيق للكلمة ، وكانت فلسفته متنوعة بحيث شملت كل انواع الاضطرابات وجميع مستويات العقل ، سواء كان يتخللها حزن متعاقب او يعلوها حدث سعيد . انه ساخر رقيق تكاد تكون سخريته غير مرئية ، ولقد كان يضمن سخريته هذه افكاره التي كانت تمارض ووجهات نظر الحكام .

وحسب البحوث الاخيرة الخالية من كل تعصب ، فقد تآثر « دانتي » في كتابته لعمله الخالد « الجحيم » او ( الكوميديا الالهية ) - تآثر « برسالة الففران » للمعري التي كانت مترجمة في ذلك العهد الى لغات مختلفة .

الشاعر الثالث هو « ابن الرومي » وهو الذي يكمل الثالث الحاكم في الشعر العربي ، هذا الشاعر الذي اثرى الشعر العربي بفنائياته التي هي جديرة بكل اعجاب ، هذا الماشق الواله للجمال في جميع اشكاله ، لقد استطاع هذا الشاعر ان يسبر ابعاد افوار التفكير ، فطبع كل ذلك في قصائد حافلة بالحركة والحياة . لقد كانت عيناه المتلهفتان ابدا الى التقاط كل مظاهر الحياة ، بمثابة عدستين فوتوغرافيتين غاية

كل - القوالب المعقدة للحياة المعصرية ، ولا نجزم بأن الشعر العربي الحديث يسير في طريق محكم سهل توضحه بل انه قد تعرض لجميع المشاكل المتنوعة في حياتنا الراهنة .

ان المؤرخ النزبه الذي يؤرخ لتطور الشعر العربي المعاصر لا يستطيع الاستغناء عن ذكر - ظاهرة من ظواهر هذا الشعر - التي تكاد تنفرد بنفسها بين تواريخ الادب عامة . فاذا كان حقا ان الشعر العربي قد بلغ أوج عزه في موطنه الاصلية ، فانه لحق كذلك ان هذا الشعر قد اكتسب لمعانا واشراقا ملحوظين في بلاد امريكا .

ان مئات من الالاف المهاجرين وعلى الخصوص في الارجننتين والبرازيل - كان من بينهم شعراء كبار ، ساهموا مساهمة محمودة في الادب العربي .

ان سماء هاتين الجمهوريتين ، وجمهوريات اخرى قد جمعت تحتها كثيرا من الشعراء العرب الذين رفعوا عاليًا أمجاد اوطانهم النائية معبرين بذلك عن الحب الذي يكونه لبلادهم الام الكائنة وراء البحار ، ومشيدين - في نفس الوقت - بعظمة الاثر المكتوب

ان هؤلاء الشعراء البعيدين عن مساقط رؤوسهم والذين كانوا ملجمين من طرف قوات اجنبية ، قد وجدوا فرصة نشر قصائدهم الحماسية بعد ان هبوا لهم جو من الحرية ، كانوا يتوقون اليه من قبل .

لقد وجد هؤلاء الشعراء في المواطن الارجننتين الاخ الذي فتح لهم ذراعيه بحرارة وصدق - ونحن نقول هذا من تجربة - ووجدوا في الارجننتين نفسها الركن الذي رحب بهم اشد الترحيب ، وهو بالنسبة لهم ينبوع الهام لتفكيرهم وتاملاتهم .

بهذه الكلمات الختامية ، نقدم شكرنا عن هذا الكرم النبيل ، ونستأذن لنحمل لهذا الوطن الجديد تحية شعرية من اوطاننا الاصلية .. مرات تفوق الالاف .

في الحساسية تلتقطان ادق دقائق الامور ، باشتين الحياة في كل الاشياء ، ان اوصافه لما كان يراه او يحس به او يجري ورايه - انما هي استمرار متوال من الصور التي تفوق كل شيء حيوية ونقاوة ولمعانا .

لم تتوان المرأة العربية في مشاركتها المحمودة في الشعر العربي ، لقد مررت الكثيرات ممن قرصن الشعر ، ولكي تتضح لنا مشاركة المرأة في عالم الفن نورد الحكاية التالية :

سال خليفة احد رعاياه المشهورين مرة فقال له :  
— بلغني انك تستطيع ان تنشء الف قصيدة فهل هذا صحيح ؟ .

فاجاب الاعرابي :

— اجل يا صاحب المهابة ، ولكن هل تريدون ان اسمعكم الالف قصيدة من شعر الرجال أم من شعر النساء ؟ (1)

ان الشعر العربي المعاصر قد تأقلم مع طبيعة الحياة المعصرية ، مدفوعا بتجدد العقل العربي بعد ان عاش أحداث اربعمائة سنة من الضيق الخارجي محتفظا - في جوهره بكآبة خفية - عن اجياله الماضية .

ان الشاعر العربي المعاصر يقف حاملا بين اطراف قلبه حيرة يصعب تحديدها ، هذه الحيرة التي كانت تستولى على روح الاعرابي الذي كان عليه ان يقطع كل يوم صحاري لا نهاية لها ، محدقا في الافاق التي تنتهي عند خط مستقيم دون حافز للتساؤل .

ولا نفي القول بان الشعر العربي المعاصر قد احتفظ بماضيه المشرق ، ذلك لان « فن القول » في العالم قد تقهقر ازاء الاكتشافات العلمية الحديثة ، ولم تكن الثقافة تكتسب قيمتها من الخيال الفسيح ولا من الكلمة المؤثرة الجميلة ، ولكن رغم كل ذلك ما زال الشعر العربي يحتفظ - باصالته وقدرته الهائلتين - في عقل هذا الجنس ، وهذا عامل من الاهمية في شيء بالنسبة للنهوض العربي الفائق .

لا نقول ان الشعر العربي المعاصر يتميز بطابع معين يحدد هذا الشعر ، ذلك انه عائق كل - او تقريبا

( 1 ) وفي رواية اخرى ان شاعرا زار شاعرا آخر ، فلما طرق باب بيته خرج خادمه ، فقال له : ان سيدي لا يستقبل الا من كان يحفظ - على الاقل - الف قصيدة ا . فاجابه الشاعر الزائر : اذهب وقل لسيدك هل يعني الف قصيدة من شعر الرجال أم من شعر النساء ا ( المترجم )

# الألقاب عند العرب والمسلمين

## الشيخ طه الوبي «بيروت»

في لغتهم الرجل الذي يفرق بين الحق والباطل . وكان عثمان بن عفان يعرف «بذي النورين» لرواجه من اثنين من بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد اطلق على علي بن أبي طالب الخليفة الرابع بعد وفاته لقب «أبي تراب» هذا اللقب الذي قال قوم بأنه من صنع خصومه الأمويين لنبزه وتحقير شأنه بنسبته إلى التراب كما قال قوم آخرون بأنه من صنع شيعته الذين أرادوا به التمجيد من تواضعه وكثرة التصاق جبهته بالتراب للالتمته الصلاة أثناء الليل وأطراف النهار . ولعلنا نستطيع أن نعتبر كلمة «صحابي» من الكلمات التي أصبحت لقباً على كل رجل أدرك النبي صلى الله عليه وسلم واجتمع إليه وآمن به كما نستطيع أن نعتبر كذلك كلمة «تابعي» من الكلمات التي أصبحت لقباً على كل رجل أدرك ، وهو مسلم ، واحداً أو أكثر من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم واجتمع إليه .

ولكي لا نقف طويلاً عند عصر الرسالة النبوية والسنوات القليلة الأولى التي تلتها فإننا نأتي إلى العصر الأموي الذي اختلف المؤرخون فيما نسب إلى أركانه من الألقاب . فذهب قوم إلى أن الخلائف من بني أمية اتخذوا لأنفسهم القابا . بينما ذهب قوم آخرون إلى أن هؤلاء الخلفاء عرفوا بأسمائهم من غير القاب أضيفت إليها أو حلت محلها . وفي هذا يقول المسعودي في كتابه «الإشراف والتنبيه» :

إذا أردنا أن نتحدث عن الألقاب عند العرب والمسلمين ، فليس لنا بد من طي السنين بله القرون والمودة بأذهاننا إلى صدر الإسلام إذ نجد بين المؤرخين من يقول بأن الألقاب عرفت سبيلها إلى العرب منذ هاتيك الأيام . وبالفعل فإننا نعرف أن أول لقب اطلق بين يدي الإسلام كان ذلك الذي اطلقته قريش على النبي صلى الله عليه وسلم قبيل بعثته وهو «الأميين» فلما كانت البعثة أصبح لقبه عليه السلام : «رسول الله» وبهذا اللقب كان يخاطب الناس ويكتب رؤساء القبائل العربية وملوك الدول الأجنبية . وكانت كلمة «رسول الله» منقوشة على خاتمه الشريف الذي استعمله هو بنفسه كما استعمله من بعده ثلاثة من خلفائه الراشدين وهم أبو بكر وعمر وعثمان ، وفي عهد هذا الأخير سقط هذا الخاتم في يثر أريس وفقد منذ ذلك الحين كما هو معروف في التاريخ .

ثم إن كبار الصحابة رضي الله عنهم عرفوا كذلك القابا رافقت أسماءهم بل هي حلت محل هذه الأسماء في بعض الأحيان حتى أن بعض هؤلاء الصحابة عرفوا بالقابهم دون اسمائهم لدى المؤرخين فيما بعد ، وكان عبد الله بن أبي قحافة أبو بكر الخليفة الأول يعرف باسم «الصديق» الذي لقبه به النبي صلى الله عليه وسلم . وكان عمر بن الخطاب الذي تولى الأمر من بعده يعرف «بالفاروق» الذي قيل إن قوماً من السريان أطلقوه عليه لأن معناه

« وقد رأينا بعض المتأخرين من ينحرف عن الهاشميين ، الطالبيين منهم والعباسيين ، ويتحيز الى الامويين ويقول باماتهم ، يذكر انه كانت لمن ملك من بني امية القاب كلقاب خلفاء العباسيين وذكر في ذلك روايتين :

احدهما : قال ، روى محمد بن عبد الله بن محمد القرشي ، قال حدثنا مصعب بن عبد الله عن ابيه عن جده ، قال ، حدثني سابق موسى عبد الملك بن مروان قال : « سمعت امير المؤمنين عبد الملك يقول : « تلقب امير المؤمنين معاوية بن ابي سفيان ، « بالناصر لعق الله » ويزيد بن ابي سفيان « بالمنتصر على الربيع » ومعاوية بن يزيد « بالراجع الى الله » ومروان بالؤمن بالله » .

وبالثانية قال حدثنا ابو مطرف عن ابيه عن جده قال : تلقب عبد الملك « بالمؤثر لامر الله » والوليد بن عبد الملك « بالمنتقم لله » وسليمان بن عبد الملك « بالمهدي » لما احدث من قطع ما كان على المنبر ، وهده الى عمر بن عبد العزيز وتلقب هو « بالدامي بصنع الله » وسمي هشام بن عبد الملك « بالنصور » فلم يزل على ذلك حتى عهد ابيه يزيد فلقب بالتخير من مال الله . وتلقب الوليد بن يزيد « بالمكتفي بالله » ويزيد بن الوليد « بالشاكر لانعم الله » وابراهيم بن الوليد « بالتمزز بالله » ومروان بن محمد بالقائم بحق الله . وكان عبد العزيز بن مروان ، وكان ولي العهد ، يدعى على المنابر « بالمعظم لحرمت الله » وكان مسلمة بن عبد الملك لما بنى مدينة على خليج القسطنطينية سماها « مدينة القهر » وتسمى هو « بالقاهر بعون الله » .

على ان السعدي لم يكن مقتنعا بما نقل عن تنقيب ملوك بني امية فاردف قائلا على ما تقدم : ... ان الكافة على خلافه . فلو كان الامر على ما ذكر ، لظهر واشتهر واستفاض وجاء في الاخبار المتقولة القاطعة والاعمال المروثة . فلما لم يذكره الجمهور من حملة ونقل السير والانار ولا دونه مصنفو الكتب في التواريخ والسير . من ذكر اخبارهم ووصف ايامهم من تولاهم او انحرف عنهم ، علم ان ذلك لا اصل له .. »

على انه ما ان ادبرت ايام الامويين واقبلت ايام العباسيين حتى اصبح لكل من هؤلاء الاخيرين لقب يرافق اسمه الى جانب « امير المؤمنين » واول من

تلقب منهم كان اول خلافتهم : ابو العباس المعروف « بالسفاح » واختلف الناس في تفسير هذا اللقب ، فقالت طائفة بان الرجل تلقب بالسفاح لكثرة ما سفح من الاموال في التمهيد لوثوبه بالدولة الاموية واحتلال مكانها في السلطان والحكم . كما قالت طائفة ثانية ان هذا اللقب التصق باسم اول خليفة عباسي بعد ان اكثر هذا من وضع السيف في اعيان بني امية سافحا دماهم في سبيل تائيل ملك قومه بعد اجتنات كل اثر لاي اموي تتوهم قدرته على الثورة او التفكير في العودة الى دست الولاية .

وبقي بنو العباس على ما ابتدوا به من اعتماد الالتاق للخلفاء الى جانب اسمائهم الاصلية الى اخر عهدهم بالخلافة حين انتقل السلطان سليم العثماني بالتوكل على الله اخر الخلفاء العباسيين ، من مصر الى اسطنبول واضعاً بذلك حدا للعباسيين وانصارهم من سلاطين المالك في مصر والشام والعراق وباتي الجزيرة العربية . وهكذا كان اول القاب العباسيين : السفاح ، واورها : المتوكل على الله .

ففي اليوم الثامن من شهر محرم الحرام 923 هجرية ( 1517 م ) دخل الاتراك العثمانيون مدينة القاهرة واصبح سلطان اسطنبول سيد الشرق العربي بلا منازع وافلت دولة المالك بغير رجعة . وفي ذلك يقول محمد فريد في كتابه « تاريخ الدولة العلية العثمانية » : « ومما جعل لفتح وادي النيل اهمية تاريخية عظمى ان اخر ذرية الدولة العباسية الذي حضر اجداده لمصر بعد سقوط بغداد مقرر خلافة بني العباس في قبضة هولاء خان التتري سنة 656 هـ ( 1091 م ) وكانت له الخلافة بمصر اسما ، تنازل من حقه في الخلافة الاسلامية الى السلطان سليم العثماني وسلمه الانار النبوية الشريفة وهي البيروق والسيف والبردة وسلمه ايضا مفاتيح الحرمين الشريفين ، ومن ذلك التاريخ صار كل سلطان عثماني « اميرا للمؤمنين » و « خليفة لرسول رب العالمين » اسما وفلا . « ا . هـ .

غير اننا نجد في كلام محمد فريد عن انتقال لقب « امير المؤمنين وخليفة رسول رب العالمين » الى السلطان سليم العثماني وزواله عن المتوكل على الله العباسي ، مجرد استنتاج لا تدعمه الوثائق التاريخية لاسيما تلك التي كتبت من قبل المؤرخين الذين عاصروا تلك الفترة ودونوا وقائعها وتفاسيلها ، دون ان يدعوا من هذه الوقائع والتفاصيل لا شاردة

ولا واردة امثال ابن اياس الذي قال في كتابه «بدائع الزهور في وقائع الدهور» وهو من ادق ما كتب في هذا الموضوع . قال هذا المؤرخ وهو شاهد ميان :

« .. وفي يوم الجمعة سلخ سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة .. خطب باسم السلطان سليم شاه على منابر مصر والقاهرة ، وقد ترجم له بعض الخطباء فقال : « .. وانصر اللهم السلطان ابن السلطان ، مالك البرين والبحرين ، وكاسر الجيشين وسلطان العراقين وخدام الحرمين الشريفين ، الملك المظفر سليم شاه . اللهم انصره نصرا عزيزا وافتح له فتحا مبينا ، يا مالك الدنيا والاخرة يا رب العالمين » .

وفي حوادث سنة 923 هجرية قال ابن اياس : « .. وفي يوم الثلاثاء ثاني عشر جمادى الاولى خرج امير المؤمنين المتوكل على الله قاصدا للسفر الى اسطنبول ، وخرج صحبته اولاد ابن عمه خليل وهما ابو بكر واحمد ، وخرج صحبته الناصري محمد بن الملاي علي بن خاص بك صهر الخليفة .. وءآخرون من الايمان ، فتوجهوا الى بولاق ونزلوا من هناك في المراكب ليتوجهوا الى نهر رشيد . فحصل للناس على نقد امير المؤمنين من مصر فاية الاسف وقالوا : لقد انقطعت الخلافة من مصر وصارت في اسطنبول ، وهذه من الحوادث المهولة .. الخ » .

يتبين من هذا النص ان السلطان العثماني لم يجرد المتوكل على الله من لقب الخلافة وينتقله لنفسه وان الناس لم يقولوا يومئذ بان الخلافة انتقلت من بني العباس الى بني عثمان ، بل كل ما حصل هو ان السلطان التركي المنتصر اراد ان يفرض الاقامة الجبرية على الخليفة العباسي في اسطنبول كيلا يشكل بقاءه في القاهرة سببا لاثارة الناس الى خلق المتاعب في وجه المهد الجديد ، وربما لتصبح اسطنبول مقرا رسميا للخلافة .

غير انه مما لا شك فيه ، ان المتوكل على الله كان ءآخرا من حمل لقب « الخليفة و امير المؤمنين » من العباسيين وان هذين اللقبين بقيا شاغرين لم يحملهما احد من ملوك بني عثمان الا ابتداء من السلطان محمود الثاني ، فان هذا السلطان وجد ملكه يضطرب تحت وطأة ثورات داخلية اضرم نيرانها بعض حكام العرب المسلمين تحت شعارات اسلامية فما كان منه الا ان واجه هذه الشعارات بالانتحاء الى

لقب الخلافة العظمى كي يفسد على الثائرين به خطتهم الدينية ويتقوى عليهم باللقب الذي كان ءاباؤه واجدادهم بغير حاجة اليه لتمكنهم من اسباب الغلبة والقوة العسكرية بحيث لم يكن لقب الخلافة عنصرا مؤثرا في هذه الاسباب من قريب او بعيد .

اما عندما كانت السلطة العثمانية في اوج مجدها فان لقب ، او بالاصح ، القاب ملوكها كانت كما نقلها فيما يلي من مقدمة الرسالة الجوية التي ارسلها السلطان سليمان القانوني الى فرانسوا الاول ملك فرنسا الذي استنجد به على حماية مملكته من عدوه شارل كان ملك اسبانيا وذلك في سنة 922 هجرية ( 1526 م ) :

« الله العلي ، المغني ، المعطي ، الممين :

بمنابة حضرة عزت الله جلت قدرته وملت كلمته ، وبمعجزات سيد زمرة الانبياء وقدة فرقة الاصفياء محمد صلى الله عليه وسلم الكثيرة البركات ، وبمؤازرة قدس ارواح حماية الاربعة ابي بكر وعمر وعثمان وهابي رضوان الله تعالى عليهم اجمعين وجميع اولياء الله ،

انا ، سلطان السلاطين وبرهان الخوالمين متوج الملوك ، ظل الله في الارض ، سلطان البحر الابيض والبحر والاسود ، والاناضول ، والروملي ، وقرمان الروم ، وولاية ذي القدرية ، وديار بكر وكرديستان واذريجان والمعجم والشام ، وحلب ومصر ومكة والمدينة والقدس وجميع ديار العرب واليمن ، وممالك كثيرة فتحها ايضا ءابائي الكرام واجدادني العظام ، بقوتهم القاهرة اثار الله براهينهم ، وبلاد اخرى كثيرة افتحتها يد جلالتي بسيف الظفر ، انا السلطان سليمان خان ، ابن السلطان سليم خان ابن السلطان بايزيد خان ، .. الى فرنسيس ملك « ولاية » فرنسا .. وصل الى اعتساب ملجأ السلاطين المكتوب الذي ارسلتموه مع تابعكم فراقتيان النشيط .. الخ .. »

اما بعد ان هزمت الدولة العثمانية وتقطعت منها الاوصال بانفصال ما كان تابعا لها من الولايات الاوروبية واحتلال الاجانب لكثير من ولاياتها العربية في اسيا وافريقيا . بعد ان ءال امر هذه الامبراطورية الى هذه النهاية المحزنة فقد اصبح لقب السلطان العثماني في ايام المغفور له ساكن الجنان عبد الحميد الثاني ، « السلطان العظيم والخالفان الاعظم » امير



المؤمنين وخليفة المسلمين ومولانا السلطان ابن السلطان  
الغازي عبد الحميد خان .»

حتى اذا استمر دولاب مرز العثمانيين في  
تقهقره الى الوراة اخذت المدارس الحكومية في عهد  
السلطان محمد رشاد الملقب بالخامس تلمم طلابها  
لقب العاهل التركي كما يلي :

« جناب رب ، منان ، باديشاه ، خاقان البرين  
والبحرين وخدام الحرمين الشريفين ، ولي نعمت  
بي منت ، امير المؤمنين ، محمد رشاد افنديمير ،  
حظرتلري .. »

وبآخر من حمل لقب « امير المؤمنين الخليفة  
الاعظم » من ملوك بني عثمان ، كان السلطان محمد  
وحيد الدين الملقب بمحمد السادس الذي اقاله مصطفى  
كمال باشا من السلطنة ثم من الخلافة سنة 1923  
ميلادية وبانتهاء السلطنة والخلافة من بني عثمان  
اصبح لقب « امير المؤمنين والخليفة الاعظم » .. في  
ذمة التاريخ على الرغم من المحاولة التي قام بها  
الشريف حسين بن علي ملك الحجاز في بلدة  
الشويك الاردنية حينما استدعى اليه بعض اميان  
البلاد لمبايعته « خليفة للمسلمين واميرا للمؤمنين » .  
وهي محاولة لم يخلدها احد في ذلك الحين على  
محمل الجدد وسرعان ما تجاهلها المسلمون حينما  
تناقلت اسلاك البرق الانذار الذي وجهته الحكومة  
الانجليزية سنة 1922 الى حليفها بالامس القريب  
الذي طمع في الحنول محل سلاطين بني عثمان في  
حمل لقب « امارة المؤمنين وخلافة رسول رب  
العالمين » .. وهي البرقية التي تقول للحسين بن علي  
شريف مكة وسليل اشرفها :

« ان حكومة بريطانيا تصر بالحاح على وجوب  
مفادرتكم العتبة ، ولا يمكنها ان تسمح لكم بالبقاء اكثر  
من ثلاثة اسابيع »

ومن العتبة الى قبرس ، ففي هذه الجزيرة  
كان واخر المطاف باللاهث وراه لقب « امير المؤمنين  
وخليفة رسول رب العالمين » وكان ذلك في سنة  
1924 ميلادية .

ومنذ ذلك الحين .. لم يعد احد يحمل اعظم  
الانقلاب الاسلامية : امير المؤمنين وخليفة رسول رب  
العالمين ، بوصفه اعلى مرجع اسلامي في العالم .  
وان كان ما يزال في بعض الاقطار العربية من يدعي

الى الان بلقب امير المؤمنين . كما هي الحال في  
بلاد المملكة المغربية حيث لقب الملك فيها : امير  
المؤمنين . وكما هو الحال في المملكة المتوكلية  
اليمنية حيث بلقب امامها بامير المؤمنين . وكما هو  
الحال كذلك في بعض الجماعات الدينية المنتشرة في  
جنوب الجزيرة العربية حيث توجد بقايا الخوارج من  
الطائفة الاباضية ببلاد عمان التي ما تزال تدعو امامها  
بلقب امير المؤمنين .

وليس من شك في ان هذه البلدان وما فيها  
من فرق وطوائف ، حيث تلقب عاهلها او رئيسها  
بامير المؤمنين فانما تعني في الواقع انه « امير  
المؤمنين الخاضعين بالفعل لسلطته السياسية في  
حدود بلاده الجغرافية » . ومن الطبيعي انه لا يخطر  
ببال احد ان هذا اللقب ينسحب في ايماننا على المعنى  
الذي كان يحمله صاحب الخلافة العظمى الذي كان ،  
ولو شكليا ، المرجع الاعلى لجميع المسلمين في العالم  
على اختلاف بلدانهم وطوائفهم .

وما نحن الان ، ننتقل من لقب رئيس الدولة  
في الاسلام الى بيان لقب الشخص الذي كان يليه في  
حمل تسمات الادارة والاضطلاع بمسؤولية الحكم ،  
وهو الشخص الذي تواضع الناس من اهل زماننا على  
تسميته برئيس الحكومة او رئيس الوزارة .

قال القلقشندي : « كانوا في اوائل امر الخلافة  
يمرون منه بالكاتب ، لا يعرفون غير ذلك كما اشار  
اليه القضاعي في « عيون الاخبار » فلما جاءت الدولة  
المباسبية ولقب ابو العباس اول خلفائهم كاتبه ابا  
سلمة الخلال « بالوزير » استقر لقب الوزارة من  
حينئذ ورفض التلقب بالكاتب » .

ولقد استعملت كلمة « الوزير » مستقلة ،  
للدلالة على الرجل الذي يختاره الخليفة لمعاونته في  
تحريك اطارات الدولة وتهيئة اجهزة الحكم  
وعناصره . على ان كلمة « الوزير » لم تبق منفردة  
لوحدها مدة طويلة ، اذ ان الشمره ، ما لبسوا ان  
اضافوا اليها لقباً يتقدمها ، زيادة في تعظيم حاملها ،  
واشعارا للناس من خاصة او عامة ، بسمو المهمة  
التي يمارسها . فقد نقل الراهب الاصفهاني في  
محاضراته ان الشاعر جحظة البرمكي توجه الى  
الوزير الذي كان في ايامه بقوله :

قل لوزير ادام الله « دولته »

اذكر منادمتي والخبر خشكار

اذ ليس في الباب بواب «لدولتكم»  
ولا حمار ولا في الشط طيسار

**فانصاف الشاعسر لقب «الدولة» الى لقب  
(الوزير) فاصبح كلا اللقبين متلازمين لا يكاد ينفرق  
احدهما عن الآخر منذ ذلك الحين الى ايامنا هذه ،  
رغم جميع القرارات « الثورية » التي صدرت في  
المهود الاخيرة ، بالفاء الالقاب وعدم استعمالها ،  
لاسيما في المكاتب الرسمية .**

ثم ما لبث لقب الوزير ان اضيف اليه فيما بعد  
لقب اآخر ، فكان ابو سلمة الخلال وزير السفاح  
يعرف بلقب « وزير مال محمد » ولما ولي المهدي ابن  
ابي جعفر المنصور مدة الخلافة، لقب وزيره يعقوب بن  
داوود بن طهماز « الاخ في الله » ، والمأمون بن  
هرون الرشيد لقب وزيره الفضل بن سهل حين  
استوزره « بلدي الكفائيين » كما لقب اخوه الامين  
وزيره الحسن بن سهل « بلدي الرياستين » .

وان ارباب السيوف من امراء الدولة العباسية  
وكبار ممالها ، اصابهم ما اصاب غيرهم من المدنيين في  
الادارة . فكان لقب ابي مسلم الخراساني « امير مال  
محمد » وقيل (سياف مال محمد) ولقب ابو الطيب  
طاهر بن محمد « ذا اليمينين » ولقب الخليفة المعتمد  
قائد مسكره حيدر بن طاووس «بالافشين» من حيث  
انه اشروسني والافشين لقب على ملك اشروسنة .»

والى جانب لقب دولة الوزير الذي كان يقال  
لمساعد الخليفة في نفس عاصمة ملكه فلقد عرف  
المعهد العباسي لقباً اآخر استحدث فيما بعد لاطلاقه  
على ممثل الخليفة ، نفسه في البلدان التي كانت  
خاضعة لسلطانه . ذلكم هو لقب « الاستاذ »  
واستاذ ، كلمة فارسية الارومة ، وكانت تكتب  
« اوستاد » ومعناها بلغة الفرس «معلم او سيد»  
وعن الفرس اخذها العرب بعد ان كثر بين الامتين  
التداخل والاختلاط بعد الاسلام .

واول ما استعمل لقب « استاذ » كان في المعهد  
العباسي وذلك حين اطلق على نائب الخليفة في الديار  
المصرية والبلاد الشامية ابي المسك كافور بن عبد الله  
الاخشبيدي ، الذي عرف باسم الاستاذ كافور  
الاخشبيدي . وهو الخصي الاسود الذي اشتراه  
سيده ابو بكر محمد الاخشيدي بشمانية عشر ديناراً  
ورباه واعتقه قبل ان اصبح الحاكم المطلق باسم

الخليفة على مصر والشام وما اليهما من نفوذ وبلاد.  
والاستاذ كافور هذا هو الذي بالغ في مدحه المتنبئ  
عندما كان طامعا في بره وصلته ثم عاد فسلطه  
بأهاجيه المقدمة عندما وجد ان طمعه فيه كان في غير  
محلّه .

وقد استعملت كلمة «استاذ» في اوساط  
النحاسيين الذين كانوا يتعاطون تجارة الرقيق فكانت  
تداولها الالسة في هذه الاوساط للاشارة الى مالك  
رقبة المملوك فكانوا يقولون: فلان استاذ المملوكه الفلاني  
اي صاحبه ومالك رقبته بالرق ، ثم ما لبثت كلمة  
استاذ ان تطورت في العهد العثماني لاسيما في الهزيع  
الاخير من ايامه ، كما تطورت طريقة التلفظ بها .  
فلقد تحولت كلمة استاذ الى كلمة «لاوسطا» او  
«لاسطه» وبهذا الشكل الاخير ما زالت تلفظ  
في ايامنا . وقد اصبح لقب استاذ يطلق على ارباب  
الصنائع واصحاب الحرف اليدوية منهم على  
الاغلب . والمعاصرون من اهل مصر كثيرا ما يستعملون  
كلمة « اوسطا » بقصد المناذاة على الشخص الذي  
يجهلون اسمه ، وتقابلها في بلاد الشام سورية  
وفلسطين ولبنان ، كلمة « معلم » والفرض والمعنى،  
هنا وهناك واحد كما هو معروف .

على انه لا بد من القول ، بان كلمة استاذ قد  
تشعبت فيها اساليب الاستعمال في ايامنا حتى انها  
كثيرا ما غدت تطلق على الشخص العادي من الناس،  
ولو كان من سوقة القوم وصعاليكهم او حتى اراذلهم؛  
كما انها تطلق كذلك على واحد من اثنين من ارباب  
السن الفكرية . المحامي الذي يتوكل للترافع عن  
اصحاب القضايا المدنية ومعلم المدرسة مهما كانت  
درجته من الثقافة او رتبته من الوظيفة .

وعلى الجملة فان كلمة «استاذ» هي اليوم  
« عمومية » الاستعمال بدون ضابط ولا ميزان ، من  
اي انسان لاي انسان .

ونعود الى القاب حكم الولايات والاطراف في  
الدولة العباسية ، فنقول : انه عندما تراخت قبضة  
السلطة المركزية التي كانت تمارسها بغداد في علاقاتها  
مع ممالها في الولايات والاطراف التابعة لها ،  
واستشرى نفوذ هؤلاء العمال واصبحوا يتسامون الى  
الانفراد بالسلطة في مناطقهم ، عندما اصبح الامر  
كذلك نزع منهم الى مشاركة الخليفة بمظاهر المسك  
من مراسيم والقاب حتى اصبح الخليفة يجد نفسه

وقد أصبح شبه مجرد من كل حول ومن كل طول ، ان ينزل عند رغبات هؤلاء الموظفين الكبار في دولته ، وأن يلي رغباتهم ويحقق مطالبهم وأن يمنحهم من الألقاب السلطانية ما يتطلعون اليه رغبة أم كارها على حد سواء .

ويصف لنا ابن مسكويه في كتابه « تجارب الأمم » حالة الخلافة في تلك الأيام حين لم يبق للخليفة من آثار السلطان الا نقش اسمه على السكة والدعاء له فوق أهوار المنابر ، لا أكثر ولا أقل ، فيروي لنا هذا المؤرخ عن المطيع لله العباسي ( سنة 361 هـ ) انه لما سأل بختيار تزويده بالمال لأجل الغزو والجهاد ، أجابه الخليفة على طلبه بقوله :

« أن الغزو يلزمني اذا كانت الدنيا في يدي ، والى تدبير الاموال والرجال ، واما الآن ، وليس لي منها الا القوت القاصر من كفاي ، وهي في ايديكم وايدي اصحاب الاطراف ، فما يلزمني غزو ولا حج ولا شيء ، مما تنظر الائمة فيه ، وانما لكم مني هذا الاسم الذي يخطب به على منابركم ، تسكتون به وعيائكم ، فان احببتم ان اهتزل ، اهتزلت من هذا المقدار ايضا ، وتركتكم والامر كله ! ... »

وهكذا ، لما أصبح لقب الخلافة في مثل هذا التفاهت والوهن ، وعدم النفوذ وقلة الجدوى ، اذا بالقب الحکم والسلطان تأخذ سبيلها الى اولئك العمال الذين هم من حيث المبدأ والوضع القانوني مجرد موظفين لدى الخليفة خاضعين لولايته في التعيين والاعزل والسلطة والصلاحيه .

ويقال ان اول من اتخذ الألقاب لنفسه من هؤلاء الموظفين هو الحسين بن قاسم بن عبد الله الذي لقبه الخليفة المكتفي « بولي الدولة » فكان هذا الأمير اول من لقب بالاصالة الى الدولة في الاسلام

ثم وافت الدلالة لآل بويه الديلم ، فسمى الحسن بن بويه بن فناخسرو الديلمي « بركن الدولة » وهو الذي كان صاحب اصهبان والسري وهمدان ، وجميع عراق العجم ، واستمر في الملك اربعا واربعين سنة وشهرا وتسعة ايام ، ونحا نحوه في اتخاذ الألقاب ابناؤه الذين نسم عليهم الممالك التي كانت تحت يده اثناء حياته فتلقب ب« بغير الدولة » حتى ان اولهم فناخسرو اضاف الى لقبه « عضد الدولة » لقباً ثانيا طلبه من الخليفة الطائع لله ، وهو « تاج الملة » ثم انه لم يكتف بهذين اللقبين الساميين ،

وتطلع الى لقب ثالث ، يجعله فوق جميع اصحاب الألقاب من امثاله الماصرين له ، فتلقب بشاهنشاه ( اي ملك الملوك ) وامر خطباء المساجد ان يشركوه بالدعاء الى جانب الخليفة نفسه بهذا اللقب الاخير وهذا اللقب الذي كان الفقهاء يمانعون في اطلاقه على أي انسان ، مهما سما مركزه وقويت شوكته ، لما فيه من المعاني التي لا يجوز ان تقال الا لله عز وجل الذي هو جلت قدرته ، ملك الملوك وحده دون سائر خلقه من بني الانسان .

ولقد كان اطلاق اللقب على احد الحكام من قبل الخليفة ، يتم وسط مراسم حكومية تجري في غاية الابهة والفخامة ، فلقد حكى صاحب تاريخ الاسلام في اثناء الكلام من تلقيب عضد الدولة الذي اشرفنا اليه من قبل ، بتاج الملة :

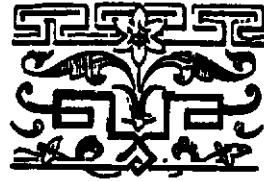
ان الخليفة ، الطائع لله ، جلس في هذه المناسبة على السرير ، وحوله مائة بالسيوف والزينة ، وبين يديه مصحف عثمان وعلى كتفه البردة ويده القضيب ، وهو متقلد سيف النبي صلي الله عليه وسلم ، وضربت ستارة بعضها عضد الدولة ، وساله ان تكون حجابا للطائع حتى لا تقع عليه عين احد من الجند قبله . ودخل الاتراك والديلم وليس مع احد منهم حديد .. ووقف الاشراف واصحاب المراتب من الجانبين ، ثم اذن لعضد الدولة ثم رفعت الستارة . فقبل عضد الدولة الارض ، فارتاب زياد القائد لذلك وقال ، بالفارسية : « ما هذا ايها الملك ، اهدا هو الله عز وجل ! » فالتفت اليه عبد العزيز ابن يوسف وقال له : « ففهمه » فقال له : « هذا خليفة الله في الارض » ثم استمر ( اي عضد الدولة ) يقبل الارض سبع مرات ، فالتفت الطائع الى خالص ، الخادم ، فقال : استدنه فصعد عضد الدولة ، فقبل الارض دفعتين ، فقال له ادن الي ، الى ان دنا وقبل رجله ، وثنى الطائع بيمينه عليه ، وامره فجلس على كرسي بعد ان كره عليه « اجلس » وهو يستعفي ، فقال له ، اقم لتجلس ، فقال : عندي معلوم ، فقال ، نيتك موثوق بها ، وعقيدتك مسكون اليها ، فاواماً براسه . ثم قال له الطائع : قد رايت ان افوض اليك ما وكل الله الي من امور الرعية في شرق الارض وغربها وتديرها في جميع جهاتها سوى خاصتي واسبابي . فتول ذلك مستخيراً بالله ، قال عضد الدولة يعينني الله على طاعة مولانا وخدمته ، واريد وجوه القواد ان يسموا لفظ امير المؤمنين ، فقال

الله ، وانهاك عما نهاك عنه ، وإبراء الى الله مما سوى ذلك، انهض على اسم الله . »

ثم اخذ الطائع سيفا كان بين المخذتين فقلده به مضافا الى السيف الذي قلده مع الخلعة ، وخرج من باب الخاصة ، وسار في البلدا .. »

والجدير بالذكر ، أن حكام الديلم من بني بويه المذكورين ، كانوا قدوة في هذا الباب ، لمن جاء بعدهم من أرباب الحكم في ولايات الإمبراطورية الإسلامية المباسية ، خارج بغداد ، فكثرت الاسماء التي التصقت بها الالقاب من مثل **صمصام الدولة** ، و**غضنفر الدولة** ، و**شرف الدولة** وما شابه ذلك .

الطائع : هاتوا الحسين بن موسى ، ومحمد بن عمر وابن معروف ، وابن أم شيبان ، والزينبي ، فقدموا. فأعاد الطائع لله القول بالتفويض ثم التفت الى طريف الخادم ، فقال ، يا طريف ، تفاض عليه الخلع ويتوج فنهض الى الرواق ، وألبس الخلع-وخرج فأومأ يقبل الارض ، فلم يطلق لكثرة ما عليه ، فقال له الطائع : حسبك ، حسبك ، وأمره بالجلوس ، ثم استلمى الطائع تقديم الويته ، فقدم لواوين واستخار الله ، وصلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعقدتهما ثم قال : يقرأ كتابه فقريء فقال له الطائع: « خار الله لك ولنا وللمسلمين ، أمرك بما أمرك



# تطور الفكر العلمي وكيفية التقنيات بالمغرب منذ العصور الوسطى

الأستاذ: عبد العزيز بن عبد الله الرباط

التكد الموصلي وابن سينا والرازي وداخرين ونظمت صناعة الطب منذ عام 295 هـ (2) باترار الخليفة المتندر نظام الامتحانات فتخرج في عام 319 هـ وحدها ببغداد 860 طبيبا واجري اول امتحان للصيدلة ايام المعتمم عام 221 هـ واول مارستان بنى في الاسلام كان بالشام في عهد الوليد الأموي عام 86 هـ (3) ثم في مصر في عهد أحمد بن طولون وكان في المارستان المعضدي اربعة وعشرون طبيبا فيهم الكحالون والطبائميون والجراحون .

ومن اطباء الأندلس وصيادلته في هذا العصر ابن جلجل ( وهو اعظم طبيب طبائمي ) والوليد المدحجي الذي دخل الأندلس مع عبد الرحمن بن معاوية وهو طبيبه الخاص، وعبد المالك بن حبيب السلمي المرداسي القرطبي المتوفى عام 238 هـ ، واول من أدخل الطب الى المغرب هو اسحاق بن عمران وابن الجزار صاحب « زاد المسافر وتوت الحاضر » وهو أحمد بن ابراهيم بن ابي خالد المتوفى عام 395 هـ (4) ومحمد بن عبدون الذي اشرف على مارستان القاهرة ورجع الى

لقد استعرضنا مختلف العوامل التي كان لها اثر قوي او ضعيف في تطور الفكر واللغة بالمغرب ومن تلك المؤثرات العناصر الحضارية الاموية والقيروانية والاندرلسية ثم الثغانية من قرآن ولغة ودين وادب وتصوف غير أن نظرنا الى هذا التطور لن تتم ما لم نستشف من خلال البحوث والدراسات ذات الطابع العلمي ما امكن للكيمائيين والرياضيين والطبائميين والاطباء والصيدلة والفلكيين والفلاسفة أن يسهموا به من آراء ونظريات ومصطلحات لبلورة اللغة العربية واستكمال تطورها في المغرب ، وبما أن المغرب الاتمى لم يكن يعيش في تفص متغل بالنسبة للشرق العربي وأنه دشن منذ القرن الثالث الهجري مع الأندلس عهد تبادل مكري اوثق فان من الضروري استكناه محتويات هذه الاواني المستطرقة (1) جميعها للتعرف على الهيكل العلمي ومقوماته ، فلي خصوص الطب والصيدلة والكيمياء المستجدة في المغرب الاتمى نلاحظ بان الأندلس ، وبالتالي المغرب ، كانا عالة على الشرق حيث ظهر امثال جابر بن حيان والحسن بن

(1) وهو يبدأ غاليلي Galilée المعروف بـ Vases Communicants

(2) (القطبي ص 130) .

(3) المغربي في الخطط والاثار ج 2 ص 405 طبعة بولاق .

(4) صبح الأمتى ج 3 ص 337 .